إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

**" الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم"**

**سورة الفرقان من الآية (21 – 77)**

**سورة الشعراء من الآية (1 – 110)**

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

اسم الطالب: أحمد محمود زكي شراب

Student's name

التوقيع:

Signature

التاريخ: ١٢/٨/٢٠١٥م

Date:

الجامعة الإسلامية – غزة

عمادة الدراسات العليا

كلية أصول الدين

قسم التفسير وعلوم القرآن

# "الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم"

## سورة الفرقان من الآية (٢١ – ٧٧)

## سورة الشعراء من الآية (١ – ١١٠)

**Analytical study of the purposes and goals of the party Thirty-seventh of the Koran**
**From Sura Al-Furqan ( 21-77 )**
**and Sura Al-Shoara ( 1-110 )**

إعداد الطالب

أحمد محمود زكي شراب

إشراف فضيلة الدكتور

إبراهيم عيسى إبراهيم صيدم

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي 1150

ج س غ/35/

الرقم..... Ref 2015/08/04م

التاريخ..... Date

# نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ أحمد محمود زكي شراب لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم، سورة الفرقان من الآية (21-77)، سورة الشعراء من الآية (1-110)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 19 شوال 1436هـ، الموافق 2015/08/04م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

| | | |
|---|---|---|
| د. إبراهيم عيسى صيدم | مشرفاً و رئيساً | ..... |
| د. عبد الكريم حمدي الدهشان | مناقشاً داخلياً | ..... |
| د. تميم ضيف الله ضهير | مناقشاً خارجياً | ..... |

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

*واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.*

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين هاتف
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

❖ إلى الإمام المصطفى، و سيد الخلق، رسولنا محمدﷺ.

❖ إلى من أمر اللّه بالإحسان والعطف والبرّ إليهما إلى من ربَّياني صغيراً وحرصا على تعليمي، والديّ الكريميْن أطال اللّه في عمرهما، وهو وفاء لبعض حقهما العظيم عليّ.

❖ إلى رفيقة دربي وقرة عيني؛ زوجتي الغالية التي عانت وصبرت أم البراء حفظها اللّه.

❖ إلى أبنائي وفلذة كبدي البراء وديمة ولينة ومحمد حفظهم اللّه.

❖ إلى من حبهم يجري في عروقي، ويلهج بذكراهم فؤادي إلى اخوتي وأخواتي.

❖ إلى أرواح الشهداء الذين هم أكرم منا جميعاً، وإلى إخواننا الأسرى فك اللّه أسرهم.

❖ إلى شباب وشيوخ وأشبال مسجد الشهداء بمدينة خانيونس.

❖ إلى من صاغوا لنا علمهم حروفاً وفكرهم منارة تنير لنا مسيرة العلم والنجاح إلى أساتذتي الكرام في كلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية.

إليهم جميعاً أهدي رسالتي، واللهَ اسأل حسن الثواب وجزيل العطاء بمنه وكرمه.

# شكر وتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، أما بعد: فلا يسعُني إلا أن أتوجه إلى المولى ﷻ بالحمد الخالص والشكر الجزيل، على ما أنعم وأجزل، وامتنَّ به وتفضَّلَ، فله الحمد في الأولى والآخرة، على ما أعانَ وسهلَ وأسبلَ من النّعم ويَسَّرَ، وما لطف به وقدَّر، له الحمد على أن أعانني على إتمام هذا البحث الذي اسأل الله ﷻ أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله قبساً ينير درباً من دروب الباحثين والمطلعين.

**وانطلاقاً من قوله ﷻ : ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ [لقمان : ١٢] ومن قول النبي ﷺ: " لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ "** [1]. **فإنني أتقدم في بداية بحثي بأسمى آيات الشكر والعرفان لأهل الفضل على فضلهم لأستاذي ومشرفي فضيلة** *الدكتورا إبراهيم عيسى صيدم*،،، **حفظه الله ورعاه، على ما أكرمني به من علمٍ ونصحٍ وتوجيهٍ وإرشادٍ؛ طوال فترة الإشراف، مع تواضع وحسن خلق، فجزاه الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته.**

**كما أشكر أستاذيّ الكريمين عضوي لجنة المناقشة:**

**فضيلة الدكتور/** *عبدالكريم حمدي الدهشان* **حفظه الله.**

**فضيلة الدكتور/** *تميم ضيف الله ضهير* **حفظه الله.**

**وذلك لقبولهم مناقشة هذه الرسالة ، ولجهدهم لرفع مستواها .**

**ثم أتوجه بالشكر والتقدير إلى جامعة الطهر والنقاء الجامعة الإسلامية ؛ التي أتاحت لي فرصة الدراسة فيها، ممثلة في عمادة الدراسات العليا.**

---

(١) سنن الترمذي: كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٤/٣٣٩) رقم حديث (١٩٥٤)، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح.

ولا يفوتني تسجيل شكري ودعائي لجميع أساتذتي الذين أفادوني كثيراً، ولجميع إخواني الزملاء، فمنهم من أبدى لي رأياً أو مشورة ومنهم من قدم مساعدةً، أو أعارني كتاباً، أو أسدى إليَّ نصيحةً أو زادني تشجيعاً.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن يغفر لي تقصيري، ويتجاوز عن هفواتي، فهذا الجهد المتواضع لا شكّ في أنه لم يخلُ من الخطأ والنقص والتقصير، فإن أصبت فمن الله ﷻ وحده، وإن أخطأت فمني ومن والشيطان، وأسأل الله مغفرته ورضوانه، كما وأسأله ﷻ أن ينفعني بما علمني، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يجعل أعمالي خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبلها مني، إنه بي وبالمؤمنين رؤوفٌ رحيمٌ.

# بسم الله الرحمن الرحيم

## المُقَدِّمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ هادياً ومُبشِّراً، ونذيراً، صلاةً وسلاماً متلازمين أبداً إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله في أوجز لفظ، وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغته البلـغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، وأبكمت فصاحته الخطباء، وتحدى الله به الإنس والجن قال ﷻ ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[ الإسراء:٨٨ ]. فكان بذلك حجة على الناس في كل عصر ومصر، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن تمام هذه المعجزة أن الله تكفل بحفظه من التغيير والتبديل، ومن الزيادة والنقصان، قال ﷻ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [ الحجر: ٩] إن المتدبر والمتأمل لكتاب الله ﷻ يجد أنه لا تخلو آيةٌ من آياته إلا وتحمل بين طياتها معنى جميلاً، وهدفاً أسمى، أو فائدة عظيمة، أو حكمة بليغة، أو تشريعاً سماوياً، سواء اهتدينا لها أم لا، وكل آية منه تحتوي عدداً من المقاصد والأهداف، التي إن ظهرت وكُشِفت كانت علاجاً شافياً وسبباً ناجحاً في تشخيص المشاكل والهموم للأمة جميعها ولأفرادها، ومن إحكام الله وإبداعه أن جعل كتابه الكريم معجزاً في ألفاظه وتراكيبه ومعانيه، يعجزُ عن الإتيان بمثله كُلُ مخلوق. ومن هذا المنطلق أسميت بحثي هذا

**الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم من سورتي الفرقان من الآية (٢١-٧٧) والشعراء من الآية (١-١١٠)**

وقد فتح قسم التفسير وعلوم القرآن مشروعاً حول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم كله، " مشروع الأهداف والمقاصد " وسوف تكون هذه الدراسة حلقة من حلقات المشروع التي أقرَّها قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة.

عسى أن تكون مساهمة مني في خدمة الباحثين في مجال العلم الشرعي.

## أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

١- المشاركة في مشروع كلية أصول الدين، قسم التفسير وعلوم القرآن، الذي يتناول مقاصد وأهداف سور القرآن الكريم في إطار دراسةٍ تحليليةٍ.

٢- إن دراسة سورتي الفرقان والشعراء تبين لنا وسائل الدعوة إلى الله ﷻ وشروطها، وعاقبة المطيعين وعاقبة المعاندين في الدنيا والآخرة.

٣- إظهار وجه الإعجاز في القرآن الكريم من خلال هذه الدراسة.

٤- إضافة دراسة جديدة للمكتبة الإسلامية ليستفيد منها طلاب العلم.

٥- ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

## ثانياً: أهمية الموضوع:

١- معرفة مقاصد الآيات وأهدافها يبعث على رسوخ الإيمان في القلب، والعناية بالقرآن، والإقبال عليه، والاحتكام إليه، مما يجعل العبد صالحاً ظاهراً وباطناً، وقويم السلوك في الحياة.

٢- إبراز جمال القرآن الكريم وبلاغته، ووحدة بنائه وترابطه، من خلال التعرف على مقاصد السور والآيات وفق المنهج السليم الذي يجعل معنى كلام الله ﷻ مؤتلفاً منتظماً.

٣- استفادة الداعية المسلم من أسلوب القرآن في الدعوة إلى الله ﷻ.

٤- هذه الدارسة متعلقة بمقاصد وأهداف مجموعة من آيات القرآن الكريم المعجِز، ولا شك أنها تكشف عن إعجاز القرآن بما يؤكد أنه كلام رب العالمين، ويصدّق الرسول الكريم ﷺ .

## ثالثاً: أهداف البحث:

١- ابتغاء الأجر والثواب من الله ﷻ في الدنيا والآخرة، من خلال خدمة كتاب الله تعالى.

٢- إظهار الموضوعات الأساسية للحزب السابع والثلاثين بما يظهر المقاصد العامة والأهداف الحقيقية المراد إرساءها في المجتمع الإسلامي.

٣- ربط مقاصد الآيات وأهدافها بالمحور الأساسي بواقع المسلمين المعاصر، ومحاولة وضع الحلول المناسبة.

٤- التنقيب عن مقاصد السور وربطها بموضوع واحد.

٥- إثراء المكتبة الإسلامية بمبحث علمي محكم يتناول دراسة تحليلية شاملة للمقاصد والأهداف المستنبطة من هذا الحزب بأسلوب علمي سهل وميسر.

٦- بيان الجانب الإعجازي في القرآن الكريم ما أمكن، وذلك من خلال الدراسة التحليلية لأهداف آيات الدراسة.

## رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والمطالعة في الدراسات السابقة، تبين لي أنه لم يُكتب في هذا الموضوع بشكل مستقل، ولم أعثر على أي رسالة علمية تناولت هذا الموضوع في إطار دراسة علمية متخصصة محكمة. وقد فتح قسم التفسير وعلوم القرآن مشروعاً حول الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم كله، وقد كان نصيبي من التفسير قد وقع على الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم من هذا المشروع " مشروع الأهداف والمقاصد " وسوف تكون هذه الدراسة حلقة من حلقات المشروع التي أقرَّها قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة.

## خامساً: منهج الباحث:

١- اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الاستقرائي التحليلي في الدراسة التحليلية لأهداف ومقاصد الآيات القرآنية.

٢- تقسيم الحزب السابع والثلاثين إلى مقاطع متناسبة في المعاني.

٣- الدراسة التحليلية لكل مقطع على حدة، ويشتمل على مناسبة المقاطع مع بعضها، والتحليل اللغوي، وإظهار اللطائف البلاغية، وإعراب ما يلزم، وبيان أسباب النزول، والقراءات، وكل ما يحتاجه البحث .

٥- عزو الآيات القرآنية إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، وذلك كله في متن الدراسة.

٦- تخريج الأحاديث النبوية الواردة في البحث من مصادرها الأصلية، فإن وجد في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منه، وإلا خرَّجته من مظانه مع نقل رأي العلماء في الحكم عليه إن وجد.

٧- بيان معاني المفردات الغريبة في البحث، وذلك في حواشي الصفحات.

٨- الموضوعية في النقل، وذلك بعزو الأقوال لأصحابها، ومناقشتها عند الحاجة.

٩- الترجمة للأعلام المغمورة الواردة في البحث .

١٠- اكتفيت في التوثيق في الحواشي بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة.

١١- إعداد الفهارس اللازمة الخاصة بالبحث، وذلك لتسهيل عملية الرجوع إلى الموضوعات عند الحاجة.

**سادساً: خطة البحث:**

**يتكون هذا البحث من مُقدِمَةٍ وتَمهِيدٍ وأَربَعةِ فُصولٍ وخاتمةٍ وفهارس، وهو على النحو التالي:**

## المقدمة

وتشتمل على العناصر الآتية:

**أولاً: أسباب اختيار الموضوع.**

**ثانياً: أهمية الموضوع.**

**ثالثاً: أهداف البحث.**

**رابعاً: الدراسات السابقة.**

**خامساً: منهج الباحث.**

**سادساً: خطة البحث.**

# التمهيد

ويتألف من أربعة مباحث:

## المبحث الأول: تعريف سورة الفرقان:

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: اسم سورة الفرقان وترتيبها وعدد آياتها.**

**المطلب الثاني: زمن نزول سورة الفرقان وجو نزولها.**

## المبحث الثاني: محور سورة الفرقان ومناسبتها لما قبلها وما بعدها:

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: محور سورة الفرقان وخطوطها الرئيسة.**

**المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.**

## المبحث الثالث: تعريف سورة الشعراء:

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: اسم سورة الشعراء وترتيبها وعدد آياتها.**

**المطلب الثاني: زمن نزول سورة الشعراء وجو نزولها.**

## المبحث الرابع: محور سورة الشعراء ومناسبتها لما قبلها وما بعدها:

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: محور سورة الشعراء وخطوطها الرئيسة.**

**المطلب الثاني: مناسبة سورة الشعراء لما قبلها وما بعدها.**

# الفصل الأول

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٢١-٥٥)

يشتمل على ثلاثة مباحث:

**المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٢١-٣٤)**

وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول: تعنت الكافرين واستكبارهم وبيان مآلهم يوم القيامة.**

**المطلب الثاني: ندم الظالمين بعد فوات الأوان.**

**المطلب الثالث: شكوى الرسول ﷺ من هجْرِ القرآن.**

**المطلب الرابع: معاداة المجرمين لرسل الله.**

**المطلب الخامس: اعتراض المشركين على عدم نزول القرآن جملة واحدة وبيان عاقبتهم.**

## المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٣٥-٤٤)

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: أمثلة لهلاك المكذبين.**

**المطلب الثاني: استكبار المشركين وتوبيخهم.**

## المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٤٥-٥٥)

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: بعض الدلائل الكونية على قدرة الله.**

**المطلب الثاني: الاعتبار بآيات الله وتحريم طاعة الكافرين.**

**المطلب الثالث: بعض الآيات الكونية على قدرة الله.**

**المطلب الرابع: التعجيب من حال المشركين مع آيات الله.**

# الفصل الثاني

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٥٦-٧٧)

ويشتمل على مبحثين:

### المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٥٦-٦٢)

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: مهمة الرسول ﷺ هداية الناس وتعبيدهم للحي الذي لا يموت.**

**المطلب الثاني: مقابلة المشركين لدعوة الرسول ﷺ باستهتار.**

**المطلب الثالث: من المظاهر الكونية على قدرة الله وتقديسه.**

### المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٦٣-٧٧)

صفات عباد الرحمن وعاقبتهم، وفيه اثنا عشر مطلباً:

**المطلب الأول: التواضع والحلم.**

**المطلب الثاني: التهجد.**

**المطلب الثالث: الخوف من الله.**

**المطلب الرابع: الاعتدال في الإنفاق.**

**المطلب الخامس: التوحيد الخالص.**

**المطلب السادس: تجنب القتل.**

**المطلب السابع: التنزه عن الزنا.**

**المطلب الثامن: التوبة إلى الله.**

**المطلب التاسع: تجنب شهادة الزور والكلام الباطل.**

**المطلب العاشر: قبول الموعظة.**

**المطلب الحادي عشر: الدعاء.**

**المطلب الثاني عشر: بيان عاقبة المطيعين وتهديد المخالفين.**

# الفصل الثالث

## الدارسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١-٦٨)

يشتمل على مبحثين:

### المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١-٩)

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: تسلية الرسول ﷺ من إعراض قومه.**

**المطلب الثاني: وعيد المكذبين بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة.**

**المطلب الثالث: دعوة إلى النظر في آيات الله.**

### المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠-٦٨)

وفيه أحد عشر مطلباً:

**المطلب الأول: خطاب تكليف موسى وهارون عليهما السلام بالرسالة.**

**المطلب الثاني: المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون.**

**المطلب الثالث: سياسة الإعلام التحريضي والموجه.**

**المطلب الرابع: تآمر الباطل في مواجهة الحق واستعمال أساليب الإغراء.**

**المطلب الخامس: المبارزة بين الحق والباطل ونتيجتها.**

**المطلب السادس: عنجهية فرعون وتمرده على الحق.**

**المطلب السابع: ثبات المؤمنين أمام غطرسة المتمردين.**

**المطلب الثامن: وحي الله لموسى عليه السلام بالسَّري ليلاً.**

**المطلب التاسع: إصرار فرعون على الانتقام من الذين آمنوا.**

**المطلب العاشر: معية الله مع المؤمنين.**

**المطلب الحادي عشر: نجاة موسى عليه السلام وقومه وإغراق فرعون وجنده.**

## الفصل الرابع

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (٦٩-١١٠)

ويشتمل على مبحثين:

### المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (٦٩-١٠٤)

وفيه سبعة مطالب:

**المطلب الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه إلى التوحيد ونبذ الشرك.**

**المطلب الثاني: بيان صفات الإله الحق.**

**المطلب الثالث: التقرب إلى الله بالدعاء.**

**المطلب الرابع: من مشاهد يوم القيامة الحساب والجزاء.**

**المطلب الخامس: عقيدة الشرك موْرِد المهالك.**

**المطلب السادس: تخاصم أهل النار وأمانيِّهم فيها.**

**المطلب السابع: العبرة في قصة إبراهيم عليه السلام.**

### المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠٥-١١٠)

ويشتمل على مطلبان:

**المطلب الأول: دعوة نوح عليه السلام قومه إلى تقوى الله وطاعته عليه السلام.**

**المطلب الثاني: القصص في سورة الشعراء لا تتبع التسلسل التاريخي.**

**الخاتمة:**

وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات.

**الفهارس العلمية للبحث وهي:**

**أولاً: فهرس الآيات القرآنية.**

**ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.**

**ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.**

**رابعاً: ثبت المصادر والمراجع.**

**خامساً: فهرس الموضوعات.**

**سائلا المولى القدير التوفيق والسداد والرشاد**

# التمهيد

## تعريف عام بسورتي الفرقان والشعراء، ومحور خطوطهما الرئيسة، ومناسبتهما

ويتألف من أربعة مباحث:

**المبحث الأول: تعريف سورة الفرقان**

**المبحث الثاني: محور السورة ومناسبتها لما قبلها وما بعدها**

**المبحث الثالث: تعريف سورة الشعراء**

**المبحث الرابع: محور السورة ومناسبتها لما قبلها وما بعدها**

# المبحث الأول

# تعريف بسورة الفرقان

وفيه مطلبان :

**المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.**

**المطلب الثاني: زمن نزول السورة وجو نزولها.**

## المطلب الأول

## اسْمُ السُّورةِ وتَرْتيبهَا وعددُ آياتِهَا

**اسم السورة:**

تسمى هذه السورة بسورة الفرقان، لما ورد في الصحيحين **عن عمر بن الخطاب** ﷺ « **قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله** ﷺ **فاستمعت القراءة، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله** ﷺ، **فكدت أساوره في الصلاة.....** »**الحديث** [(١)] وقد سمّيت هذه السورة بهذا الاسم، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١] [(٢)].

**مكية السورة:**

سورة الفرقان : مكية كلها في قول الجمهور. وقال ابن عباس وقتادة: إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي: قوله ﷻ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان٦٨ :٧٠] [(٣)].

**عدد آيات السورة وترتيبها:**

عدد آيات سورة الفرقان سبع وسبعون آية في قول جميع القراء[(٤)]، وعدد كلماتها ثمانمائة واثنتان وسبعون كلمة وحروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثة وثلاثون حرفا[(٥)]، ويوجد في القرآن سورتان مبدوءتان بلفظ تبارك هذه وسورة الملك[(٦)]، وهي السورة الثانية والأربعون في ترتيب النزول، نزلت بعد سورة يس وقيل سورة فاطر [(٧)] وهي السورة الخامسة والعشرون في ترتيب المصحف.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن باب ٥ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٤ /١٩٠٩ ،حديث رقم (٤٧٠٦) والإمام مسلم، كتاب باب الحديث رقم (٨١٨).باب ٤٨ باب بيان ان القرآن على سبعة أحرف ١ /٥٦١ ،حديث رقم(٢٧١).

(٢) ينظر: الموسوعة القرآنية، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (٦ /١١١).

(٣) ينظر: تفسير الماوردي (١٣٠/٤) ، وتفسير القرطبي (١/١٣).

(٤) ينظر: منار الهدى للأشموني ( ص: ١٩٨) ، وحاشية الشهاب على البيضاوي ( ٤٠٥/٦).

(٥) ينظر: منار الهدى للأشموني (ص:١٩٨).

(٦) بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش العاني ( ٦٥/٢).

(٧) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي( ٧٢/١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.

## المطلب الثـاني

## زمن نزول السورة و جو نزولها

نزلت سورة الفرقان بعد سورة يس، ونزلت سورة يس بعد سورة الجن، وكان نزول سورة الجن في رجوع النبي ﷺ من الطائف، وكان قد سافر إليها في السنة العاشرة من بعثته، فيكون نزول سورة الفرقان في السنة نفسها، وتكون من السّور التي نزلت بين الهجرة إلى الحبشة وبين الإسراء[١].

لقد كانت هذه الفترة من أشد الفترات العصيبة على حبيبنا محمد ﷺ حيث اشتد إيذاء قريش له بعد وفاة زوجته خديجة وعمه أبي طالب، وبعد هجرته إلى الطائف التي لاقى فيها من الإيذاء ما لاقى، فنزلت سورة الفرقان في هذا الجو الشديد العصيب تسلية للنبي ﷺ لتطمئن قلبه وتشد على أزره وهو يواجه عناد قريش وتكذيبها وإيذائها له ﷺ[٢].

---

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية ، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (١١١/٦).

(٢) ينظر: تفسير القرآن الكريم ، د .عبدالله شحادة (٣٦٦٤/٩).

# المبحث الثاني

# محور السورة ومناسبتها لما قبلها وما بعدها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: محور السورة وخطوطها الرئيسة.**

**المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.**

## المطلبُ الأولُ

## محور السورة و خطوطها الرئيسة

١- تتألف السورة من مقدمة، ومقطعين، وكلها تدور حول كون محمد ﷺ بشيراً و نذيراً، وأن الله قد أنزل عليه الكتاب، وكيف كان موقف الكافرين، وما هو الرد عليه، وما هي أمهات القضايا؛ كان فيها التبشير والإنذار، وما هو موقف الناس منها، وإذا كانت السورة اسمها سورة الفرقان فقد كان فيها من المعجزات الزائدة على الإعجاز العام في القرآن ما به تظهر الحجة ظهوراً كاملاً، و يتم الفرق بين الحق والباطل.

وأمام المواقف الكافرة من هذا الفرقان ومن هذا البشير والنذير تُبين السورة كيف ينبغي أن تكون مواقف البشير والنذير، وما هي المعاني التي يجابه بها هذه المواقف كل هذه المعاني تجدها في السورة[١].

٢- إن محور سورة الفرقان هو القرآن باعتباره معجزة رسول الله ﷺ ودليل صدقه، ووفق المنهج المتبع عادة للتعرف على محور السورة وهو التعرف على المحور من خلال اسم السورة، أو من خلال المناسبات في السورة، أو من خلال المرحلة الزمنية لنزول السورة، أو من خلال القضايا المعروضة في السورة. لو طبقنا هذا المنهج على سورة الفرقان للتعرف على محورها لوجدناه الاستدلال على صدق رسول الله ﷺ من خلال معجزة القرآن.

٣- اشتملت هذه السورة على الابتداءِ بتحميد الله ﷻ وإنشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلهية و الوحدانية فيها. أُدمجَ في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال منزلته، وما فيه من الهدى، وتعريضٌ بالامتنان على الناس بهديه إرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي ﷺ.

---

(١) ينظر: الأساس في التفسير لسعيد حوى (مجلد٤ /٣٨٣٥).

وقد أقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم :

**الدعامة الأولى :**

إثبات أن القرآن منزلٌ من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه ﷺ ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، و من ذلك تلقى قومه دعوته بالتكذيب.

**الدعامة الثانية :**

إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول، وعلى إشراكهم، واتباع أئمة كفرهم.

**الدعامة الثالثة :**

الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولدٌ أو شريكٌ، وإبطال ما زعموه من بُنوةِ الملائكة لله ﷻ. وافتتحت في آيات كل دعامةٍ من هذه الثلاث بجملة ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى...﴾. ومدار هذه السورة على كونه ﷺ مبعوثا إلى الناس كافةً ينذرهم ما بين أيدهم وما خلفهم؛ ولهذا جعل براعة استهلالها بقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وذكر بدائع من صنعه ﷻ جمعاً بين الاستدلال والتذكير. وأعقب ذلك بتثبيت الرسول ﷺ ومقاومته الكافرين. وضرب الأمثال للحاليين ببعثة الرسل السابقين، وما لقوا من أقوامهم مثل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط. والتوكل على الله ، والثناء على المؤمنين به، ومدح خصالهم ومزايا أخلاقهم، والإشارة إلى عذاب قريب يحل بالمكذبين[1].

---

(١) ينظر: أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (ص٥٤/٥٥).

## المطلب الثاني

## مناسبة السورة لما قبلها و ما بعدها

**تظهر مناسبة سورة الفرقان لسورة النور من وجوه، أهمها:**

أن سورة النور ختمت بأن الله ﷻ مالك جميع ما في السموات والأرض، وبدئت سورة الفرقان بتعظيم الله الذي له ملك السموات والأرض من غير ولد ولا شريك في الملك. وأوجب الله ﷻ في أواخر سورة النور إطاعة أمر النبي ﷺ، وأبان مطلع الفرقان وصف دستور الطاعة، وهو هذا القرآن العظيم الذي يرشد العالم لأقوم طريق.

وتضمنت سورة النور القول في الإلهيات، وأبانت ثلاثة أنواع من دلائل التوحيد: أحوال السماء والأرض، والآثار العلوية من إنزال المطر وكيفية تكون الثلج والبرد، وأحوال الحيوانات، وذكر في الفرقان جملة من المخلوقات الدالة على توحيد الله، كمدّ الظل، والليل والنهار، والرياح والماء، والأنعام، والأناسي، ومرج البحرين، وخلق الإنسان والنسب والصهر، وخلق السموات والأرض في ستة أيام، والاستواء على العرش، وبروج السماء، والسراج والقمر ونحو ذلك مما هو تفصيل لقوله ﷻ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢ ] فقال في النور ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾[ النور:٤٣] وقال في الفرقانَ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾[الفرقان/٤٨ ] وقال في النور ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾[ النور: ٤٥ ]وقال في الفرقان ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[الفرقان: ٥٤] في كلتا السورتين وصف أعمال الكافرين والمنافقين يوم القيامة وأنها تكون مهدرة باطلة، فقال في النور ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ [النور:٣٩] وقال في الفرقان ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان:٣٣] وشمل آخر سورة النور الكلام على فصل القضاء ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ [النور:/٦٤ ] وافتتحت سورة الفرقان بالثناء على الله ﷻ مالك الملك، وصاحب السلطان المطلق[1].

**مناسبتها لما بعدها:**

لما فرق ﷻ في تلك بين الدين الحق والمذهب الباطل، وبين ذلك غاية البيان، وفصل الرحمن من عباد الشيطان، وأخبر أنه عم برسالته ﷺ جميع الخلائق، وختم بشديد الإنذار، قال ﷻ ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ وكان حين نزولها لم يسلم منهم إلا القليل، وكان ذلك ربما أوهم قرب إهلاكهم وإنزال البطش بهم، كما كان في آخر سورة مريم، وأشارت الأحرف المقطعة إلى مثل ذلك، فأوجب الأسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالإيمان، والحفظ عن نوازل الحدثان، وكان

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/٥-٦).

ذلك أيضاً ربما أوجب أن يظن ظان أن عدم إسلامهم لنقص في البيان، أزال ذلك ﷻ أول هذه فقال ﴿تِلْكَ﴾ أي الآيات العالية المرام، الحائزة أعلى مراتب التمام، المؤلفة من هذه الحروف التي تتناطقون بها وكلمات لسانكم، ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي الجامع لكل فرقان، ﴿ٱلْمُبِينِ﴾ أي الواضح في نفسه أنه معجز، وأنه من عند الله، وأن فيه كل معنى جليل، الفارق لكل مجتمع ملتبس بغاية البيان، فصح أنه كما ذكر في التي قبلها، فإن الإبانة هي الفصل والفرق، فصار الإخبار بأنه فرقان مكتنفاً الإنذار أول السورة التي قبلها وآخرها.

قال الإمام البقاعي[1]:" لما عرفت سورة الفرقان بشنيع مُرْتَكَبِ الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد، كان ذلك مظنة لإشفاقه عليه السلام وتأسفه على فوات إيمانهم، لما جبل عليه من الرحمة والإشفاق، فافتتحت السورة الأخرى بتسليته عليه السلام "[2]، سورة الشعراء بسطت وفصلت ما أشير إلى ذكره في سورة الفرقان من قصص الأنبياء. فقد وردت الإشارة في سورة الفرقان إلى إهلاك الله ﷻ لقوم موسى وهارون ونوح وعاد وثمود عليهم السلام بسبب تكذيبهم وكفرهم بالله ﷻ ورسله ورتب ذكرها في الشعراء على ترتيب ذكرها في الفرقان[3] وكما كانت سورة الفرقان تسلية للنبي ﷺ كانت سورة الشعراء كذلك لاشتمالها على تفصيل قصص الأنبياء عليهم السلام وما لاقوه من أقوامهم من تكذيب وإيذاء وتعذيب وما في ذلك تسلية للرسول ﷺ. كما أن السورتين افتتحتا بما يفيد مدح القرآن الكريم وختمتا بتوعد الكافرين بالهلاك والعذاب.

---

(١) برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق(٨٠٩هـ). و من مؤلفاته (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) (مصرع التصوف) و ( (القول المفيد في أصول التجويد) و (مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣٣٩/٧).

(٢) نظم الدرر من تناسب الآيات والسور (٢/١٤-٣ ).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٠ /٥٨) ، تناسق الدرر (ص١٠٦-١٠٧).

## المبحث الثالث

## تعريف بسورة الشعراء

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها.**

**المطلب الثاني: زمن نزول السورة وجو نزولها.**

## المطلب الأول

## اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها

**أولاً: اسم السورة:**

سورة الشعراء يطلق عليها عدة أسماء منها :

١- سميت سورة الشعراء بهذا الاسم لما ختمت به من المقارنة بين الشعراء الضالين والشعراء المؤمنين في قوله ﷻ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾[ الشعراء:٢٢٤] إلى قوله﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾بقصد الرد على المشركين الذين زعموا أن النبي ﷺ كان شاعراً، وما جاء به من قبيل الشعر[١] وهي في القرآن الكريم تسمى سورة الشعراء لورود لفظ الشعراء فيها[٢].

٢- ويطلق عليها اسم سورة﴿طسٓمٓ﴾ لافتتاحها بهذه الأحرف[٣].

**ثانياً: ترتيبها وعدد آياتها:**

هي السورة السابعة و الأربعون في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل والسورة السادسة والعشرون في ترتيب المصحف[٤]. وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة وأربعون حرفا[٥]. قال محمد دروزة[٦]: "وهي ثاني سورة من القرآن من حيث عدد الآيات. وفصولها مترابطة منسجمة وأواخر آياتها متوازنة. ومع أن أسلوبها مسجع بشكل ما فهو أقرب إلى الترسل المطلق مع التوازن"[٧].

قال ابن عاشور: وقد جعل أهل المدينة وأهل مكة وأهل البصرة عدد آياتها مائتين وستا وعشرين، وجعله أهل الشام وأهل الكوفة مائتين وسبعا وعشرين[٨].

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٨).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤ /٩٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٤ /٩٢).

(٤) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١ /٢٤٩).

(٥) ينظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٣٢١). وروح المعاني (٥٨/١٠). مدارك التنزيل (٣ /٨٠٥).

(٦) محمد عزة بن عبد الهادي دروزة، ولد غي نابلس سنة ١٨٨٨م، مفكر وكاتب ومناضل قومي عربي، إضافة إلى نضاله السياسي، كان أديباً وصحفياً و مترجماً و مفسراً للقرآن، ومن مؤلفاته" الجهاد في سبيل الله في القرآن الكريم و الحديث" و"التفسير الحديث" و"الاسلام والاشتراكية" توفي ١٩٨٤م. ينظر: "تتمة الأعلام"، (٢/١٩٦-١٩٨).

(٧) التفسير الحديث لمحمد دروزة (٣/ ٢٤١).

(٨) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٩٠).

## المطلب الثاني

## زمن نزول السورة وجو نزولها

ذهب بعض العلماء إلى أن سورة الشعراء مكية، وبعض العلماء قال إنها مكية إلا أربع آيات أو خمس آيات في آخرها.

من قال بمكيتها: الإمام القرطبي[١]، و ابن كثير[٢]، والإمام الألوسي، وغيرهم، استناداً إلى ما نُقل عن ابن عباس وعبدالله بن الزبير ﷺ "إطلاق القول بمكيتها"[٣].

ومن الذين قالوا: بمكيتها إلا أربع آيات أو خمس، الإمام الزمخشري[٤]، والإمام البغوي[٥] وغيرهم، استناداً إلى قول قتادة، ومقاتل: " منها- أي سورة الشعراء- مدنية الآية التي يذكر فيها الشعراء، وهي قوله﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء:٢٤-٢٧] وقوله ﷻ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧]

الرأي الراجح: إن الذين قالوا بمدنية الآيات التي يذكر فيها لفظ الشعراء، حجتهم أن الشعراء كانوا في المدينة وليس في مكة، فهذا قولٌ فيه نظر، لأن الشعراء الغاوين هم من مكة المكرمة. يقول الإمام ابن عاشور[٦]: "سورة الشعراء مكية كلها"، وردَّ على القائلين بأن آخر السورة مدنية لذكر لفظ لفظ الشعراء، مثل حسان بن ثابت، وابن رواحه، وكعب بن مالك ﷺ فقال: " وأقول: كان شعراء بمكة يهجون النبي ﷺ منهم النضر بن الحارث، والعوراء بنت حرب زوج أبي لهب ونحوهما، وهم المراد بآيات والشعراء يتبعهم الغاوون. وكان شعراء المدينة قد أسلموا قبل الهجرة، وكان في مكة شعراء مسلمون من الذين هاجروا، وعن مقاتل: أن قوله ﷻ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧] نزل بالمدينة. وكان الذي دعاه إلى ذلك أن مخالطة علماء بني إسرائيل كانت بعد الهجرة. ولا يخفى أن الحجة لا تتوقف على وقوع مخالطة علماء بني إسرائيل فقد ذكر القرآن مثل

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣ /٦٨).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٣٥/٦).

(٣) ينظر: روح المعاني للألوسي (١٩ /٥٧).

(٤) ينظر: الكشاف (٣٠٥/٣).

(٥) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٦/ ١٠٦).

(٦) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. وتوفي ١٩٧٣م، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) وكتب كثيرا في المجلات. ينظر: "الأعلام" للزركلي (١٧٤/٦).

هذه الحجة في آيات نزلت بمكة، من ذلك﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣] وهي مكية، وقوله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [القصص:٥٢] وهي مكية النزول" (١).

وبعد أن استدل على قوله بعدة آيات قال: "وشأن علماء بني إسرائيل مشهور بمكة وكان لأهل مكة صلات مع اليهود بالمدينة ومراجعة بينهم في شأن بعثة محمد ﷺ كما تقدم عند قوله ﷻ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ ﴾ [الإسراء: ٨٥] ، ولذا فالذي نوقن به أن السورة كلها مكية .

أحسب أنها نزلت إثر طلب المشركين أن يأتيهم الرسول بخوارق، فافتتحت بتسلية النبي ﷺ وتثبيت له ورباطة جأشه بأن ما يلاقيه من قومه" (٢).

**ويرى الباحث:** إن سورة الشعراء كلها مكية النزول، تبعاً لما عليه جمهور العلماء من المفسرين وما في الآيات من طابع وخصائص الأسلوب المكي، من قِصر الآيات، وقوة الألفاظ وايجازها وهو الأوجه والأظهر، ولا يلزم من ذكر الشعراء في السورة حمله على شعراء المدينة، وإنما كان في مكة شعراء، فقد اتهموا النبي ﷺ بأنه شاعر، وهذا يدلل على علمهم بالشعر وطرقه، والله أعلم.

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٩٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٩/ ٩٠).

# المبحث الرابع
# محور السورة ومناسبتها لما قبلها وما بعدها

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: محور السورة وخطوطها الرئيسة.**

**المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.**

## المطلب الأول

## محور السورة وخطوطها الرئيسة

تضمنت هذه السورة كالسور المكية كافة الكلام عن أصول الاعتقاد والإيمان من إثبات «التوحيد والرسالة النبوية والبعث» لذا كانت آياتها قصاراً للزجر والردع وشدة التأثير.

وابتدأت الكلام عن القرآن الكريم وبيان هدفه في الهداية، وتبشير المؤمنين الصالحين بالجنة، وإنذار الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة بسوء العذاب، وإثبات إنزال القرآن وحياً على النبي ﷺ، وتسليته عن إعراض قومه عن الإيمان برسالته، والاستدلال بخلق النباتات على وجود الله وتوحيده. ثم أوردت قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم لعظة المكذبين، مبتدئة بقصة موسى ومعجزاته، ومحاورته مع فرعون الجبار وقومه في شأن توحيد الله، وتأييده بالآيات البيّنات، وإيمان السحرة برب موسى وهارون، ثم تلتها قصة إبراهيم الخليل مع أبيه وقومه عبدة الأوثان، وإبطاله عبادتها، وإثباته وحدانية الله ﷻ.

ثم جاء بعدها قصص « نوح وهود وصالح ولوط وشعيب » عليهم السلام وما فيها من حملاتهم العنيفة ضد الوثنية، والفساد الخلقي والاجتماعي، وبيان عاقبة التكذيب للرسل، ونهاية الجبابرة العتاة بأنواع رهيبة من العذاب.

وأعقب ذلك جعل الخاتمة كبدء السورة بإثبات كون القرآن العظيم وحياً وتنزيلاً من رب العالمين لا من كلام الشياطين، وأن محمداً ﷺ رسول من الله لتبليغ رسالته إلى عشيرته والأمم جميعاً، ليس بكاهن ولا شاعر، وأنه من سلالة الموحدين، وبراءته من أفعال المشركين، والرد على افترائهم وزعمهم أن القرآن من تنزل الشياطين التي تتنزل على كل أفّاكّ أثيم، وإعلامهم بأن الغاوين الضالين هم أتباع الشعراء، وليسوا المؤمنين الصلحاء المجاهدين[1].

---

(١) ينظر التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٠).و أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ص (٥٦-٥٧)

## المطلب الثاني

## مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها

**مناسبة سورة الشعراء مع ما بعدها وهي سورة النمل.**

إن سورة النمل، وسورة الشعراء مكيتان، وهناك تشابه في الخطاب، فكلتا السورتين تعالجان قضية توحيد الله ﷻ، وإثبات أن القرآن من عند الله ﷻ.

ومن المناسبة بين السورتين، أن سورة النمل تتمة لسورة الشعراء، حيث زاد ﷻ في سورة النمل ذكر داوود وسليمان، وبَسَّطَ فيها قصة لوط عليه السلام أبسط مما هي قبل، وقد وقع فيها إذ قال موسى لقومه ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١] وقد اشتمل كل من السورتين على ذكر القرآن وكونه من الله ﷻ، وعلى تسليته للنبي ﷺ[١].

وذكر أبو حيان، أن المناسبة بين السورتين واضحة، حيث قال في سورة الشعراء ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴾ [ الشعراء:٢١٠] و قبله قال:﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢] وقال في سورة النمل ﴿ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [ النمل: ١] أي الذي هو تنزيل رب العالمين[٢]. أي هذا الكتاب الواضح، نزل من عند الله ﷻ، ولم تأت به شياطين الإنس من السحرة والشعراء الغاوين، ولا من عند شياطين الجن، بل هو كلام رب العالمين نزل به جبريل عليه السلام إلى النبي محمد ﷺ.

وأشار الإمام البقاعي إلى هذا الترابط بين الآيتين، حيث قال " لما ختم التي قبلها ـ أي سورة الشعراء ـ بتحقيق أمر القرآن، و أنه من عند الله، نفى الشبه عنه، وتزييف ما كانوا يتكلفونه متفرقين القول فيه بالنسبة إلى السحر، والأضغاث والافتراء والشعر الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين، وابتدأ هذا أي سورة النمل بالإشارة إلى أنه من الكلام القديم المسموع المطهر تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم مجموع لفظاً ومعنى، لا فصم فيه ولا خلل، ولا وصم ولا زلل فهو جامع لأصول الدين ناشر لفروعه " [٣].

وهناك فائدة في المناسبة بين السور، حيث قال السيوطي: "إذا وقعت سورة مكية بين سورة مدنية افتتح أولها بالثناء على الله، كالأنعام بعد المائدة والإسراء بعد النحل والفرقان بعد النور"[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/٩٠).

(٢) ينظر: روح المعاني للألوسي (١٩/١٥٤).

(٣) ينظر: نظم الدرر (٥/٤٠٤-٤٠٥).

(٤) أسرار ترتيب القرآن ، تأليف جلال الدين السيوطي ( ص:١١٨).

# الفصل الأول

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٢١-٥٥)

يشتمل على ثلاثة مباحث:

## المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٢١-٣٤)

## المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٣٥-٤٤)

## المبحث الثالث: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٤٥-٥٥)

# المبحث الأول

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٢١-٣٤)

وفيه خمسة مطالب:

**المطلب الأول: تعنت الكافرين واستكبارهم وبيان مآلهم يوم القيامة.**

**المطلب الثاني: ندم الظالمين بعد فوات الأوان.**

**المطلب الثالث: شكوى الرسول ﷺ من هجْرِ القرآن.**

**المطلب الرابع: معاداة المجرمين لرسل الله.**

**المطلب الخامس: اعتراض المشركين على عدم نزول القرآن جملة واحدة وبيان عاقبتهم.**

## المطلب الأول

## تعنت الكافرين و استكبارهم و بيان مآلهم يوم القيامة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الفرقان: ٢١ – ٢٦]

**أولاً: المناسبة:**

لما أخبَر اللهُ ﷻ إنكار المشركين لنبوة محمد ﷺ وتكذيبهم للقرآن، أعقبه بذكر بعض جرائمهم الأخرى(١).

**ثانياً: المفردات اللغوية :**

١-﴿ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾: وَالْعُتُوُّ: تَجَاوُزُ الْحَدِّ فِي الظُّلْمِ. وعتوا عتواً كبيراً: أي طغوا طغياناً كبيراً حتى طالبوا بنزول الملائكة ورؤية الرب ﷻ(٢). العتو: أشد الكفر وأفحش الظلم(٣).

٢-﴿ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾: أي حرامًا محرمًا عليكم البشرى(٤)، وأصل الحَجْر في اللغة: المنع، وحَجْرُ القضاةِ على الأيتام إنما هو منعهم، والحُجْرَة: ما حُوِّط عليه، وما مُنِعت من الوصول إليه فهو: حِجر، بكسر الحاء(٥).

٣-﴿هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾: أي باطلا(٦)،" وأصل " الهباء المنثور": ما رأيته مثل الغبار، في شعاع الشمس الشمس الداخل من الكوى"(٧).المنثور: المتفرق(٨).

---

(١) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (٢/ ٣٢٩).

(٢) أيسر التفاسير لكلام الغلي الكبير لأبو بكر الجزائري (٣/ ٦٠٧).

(٣) ينظر: تفسير أيسر التفاسير للجزائري (٣ / ٦٠٨).

(٤) قاله ابن عباس، وجميع المفسرين "تفسير مقاتل" (ص: ٤٤).

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦٣). ونقله عنه الأزهري، "تهذيب اللغة"( ٤/ ١٣٢) (حجر)

(٦) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٦٦).

(٧) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ص ٦٠٧).

(٨) ينظر: صفوة التفاسير محمد الصابوني (٢/ ٣٢٩).

٤- ﴿مُّسْتَقَرًّا﴾: المستقر المكان الذي تستقر أنت فيه، والإنسان لا يُؤْثِر الاستقرار في مكان عن مكان آخر، إلا إذا كان المكان الذي استقر فيه أكثرَ راحةً لنفسه من غيره[١].

٥- ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾: والمقيل المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم والتمتع بمغازلتهنّ وملامستهنّ[٢].

٦- ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾: الغَمَامُ هُوَ سحابٌ أبيضُ رَقِيقٌ[٣]. قال الطبري: "إن ذلك غمام أبيض مثل الغمام الذي ظلل على بني إسرائيل، وجعلت الباء، في قوله: ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ مكان "عن" كما تقول: رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس، بمعنى واحد"[٤].

٧-﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ : أي صعباً شديداً[٥].

**ثالثاً: القراءات:**

- ﴿تَشَقَّقُ﴾: قرأ عاصم وحمزة وعلي وخلف وأبو عمرو بتخفيف الشين على حذف تاء التفاعل. والآخرون بالتشديد للإدغام[٦].
- ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قرأ ابن كثير وننزل الملائكة: من الإنزال الملائكة بالنصب: و قرأ الباقون وينزل ماضياً مجهولاً من التنزيل الْمَلائِكَةُ بالرفع[٧].

**رابعاً: اللطائف البلاغية:**

١- ﴿وَعَتَوْ ...عُتُوًّا﴾ و ﴿حِجْرًا ...مَّحْجُورًا﴾ جناس الاشتقاق[٨].

٢- المبالغة بنفي الجنس ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ ومعناها لا يُبَشِّر يومئذٍ المجرمون وإنما عدل عنه للمبالغة.

٣- التشبيه البليغ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ أي كالغبار المنثور في الجو في حقارته وعدم نفعه، حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه فأصبح بليغاً [٩].

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧ /١٠٤١٨).

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (٣/ ٢٧٥).

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن للكواري (٢٥ /٢٥).

(٤) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ( ١٩ / ٢٦٠).

(٥) ينظر: تفسير التفاسير لأبو الجزائري (٣ / ٦٠٩).

(٦) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٥٠).

(٧) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٥/ ٢٣٠).

(٨) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩ /٤٢)، وصفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٢٣٢).

(٩) صفوة التفاسير للصابوني (٢ /٢٣٣).

٤- ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾: وَوُصِفَ الْيَوْمُ بِعَسِيرٍ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنْ أُمُورٍ عَسِيرَةٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. وَتَقْدِيمُ عَلَى الْكافِرِينَ لِلْحَصْرِ. وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ، أَيْ دون الْمُؤمنِينَ[١].

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

بعد أن أخبرَ اللهُ ﷻ أباطيل المشركين السالفة بطعنهم في نبوة محمد ﷺ بقولهم ﴿لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[الفرقان:٧] أردف ذلك بذكر سخافات أخرى لهم في هذا الصدد فقالوا: هلا أنزل علينا الملائكة فيخبرونا بصدقه، أو نرى ربنا فينبئنا بذلك، ثم بين أن هذا عتو عظيم منهم، ثم أعقب هذا ببيان أنهم سيرون الملائكة حين الهول يوم الجزاء والحساب حين يقولون لهم: لا بشرى لكم اليوم بل فيه منعكم من كل خير، فإن ما قدمتم من عمل صالح في الدنيا صار هباء منثوراً، ثم أخبر بما يكون لأهل الجنة من خير المستقر، وحسن المقيل، في ظل ظليل، ونعم لا مقطوعة ولا ممنوعة، حين يقولون﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر:٧٤]ولعل في ذكر هذا ما يكون حافزاً لهم على مراجعة أنفسهم وتخمير الرأي، ليرشدوا إلى طريق السّداد، ويقلعوا عما هم فيه من هوى متّبع، وشيطان مطاع[٢].

**سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- عناد الكفار واستكبارهم قادهم إلى العُتُوِّ والظلم والفساد[٣].

٢- الجاحد المعاند يتفنن في مطالبه لتبرير موقفه على ما هو عليه من الكفر، ولو أعطي كل طلب لم يكن ليغير موقفه، لأنه يريد التعجيز لا الوصول إلى الحق، كما قال الله ﷻ عنهم ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾[الأنعام:١١١] [٤].

٣- حبوط عمل المشركين وبطلانه حيث لا ينتفعون بشيء منه البتة ، فأعمال الكفار ضائعةٌ لا تنفعهم و ذاهبةٌ لا تُقبل منهم ، بسبب كفرهم. لذا فإن الكافر لا ينتفع بأعمال البر التي عملها كإكرام الضيف والإنفاق على الفقراء والمساكين وغيرها في الآخرة لافتقارها إلى الشرطين الأساسين: الإخلاص فيها لله ﷻ ومتابعة شرع الله ﷻ ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[ الكهف: ١١٠] فكل عمل لا يكون خالصا لوجه الله الكريم، وليس على منهج الشريعة المرضية لله فهو باطل، وأعمال الكفار تفقد أحد الشرطين أو كليهما، فتكون مردودة عليهم لا يقبلها الله ، ولكن الله يعوضهم

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩ /١١).

(٢) ينظر: كتاب تفسير المراغي ج (١٩ / ٤). (بتصرف).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي (١٣ /٣١) وهو عبارة عن سلسلة تفسير القرآن الكريم ،تأليف. نخبة من العلماء، و هذا المجلد للدكتور/ صلاح الخالدي.

(٤) ينظر: المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان (ص :٩٩) تأليف د. مصطفى مسلم، دار القلم دمشق الطبعة الأولى٢٠٠٧.

في الدنيا بالصحة والجاه والغنى أما في الآخرة ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾[1].

٤- في الآية رد على المعتزلة، القائلين بنفي رؤية الله ﷻ في الآخرة[2] وقال الشنقيطي:" وَاسْتِدْلَالُ الْمُعْتَزِلَةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَأَمْثَالِهَا عَلَى أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ مُسْتَحِيلَةٌ اسْتِدْلَالٌ بَاطِلٌ وَمَذْهَبُهُمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ أَكْبَرِ الضَّلَالِ، وَأَعْظَمِ الْبَاطِلِ، وَقَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي كَلَامِهِ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى، قَوْلٌ بَاطِلٌ، وَكَلَامٌ فَاسِدٌ.

وَالْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ بِأَبْصَارِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَوَاتَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ عَنِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ ﷺ وَدَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ مَنْطُوقًا وَمَفْهُومًا"[3].

٥- تقرير عقيدة البعث و الجزاء بذكرهما و أحوالهما وبعض أهوالهما و بيان مصير العباد يوم القيامة " إن عدم الخوف من البعث ولقاء الله، أي عدم الإيمان بذلك هو سبب التمادي في إنكار صدق القرآن والنبي المنزل عليه، والعناد والإصرار على الكفر. ثم إن التستر على الكفر والدفاع عنه يجعل الكفرة يطالبون بما فيه تعجيز وشطط وخروج عن المألوف، مثل المطالبة بإنزال الملائكة عليهم لإخبارهم أن محمداً ﷺ صادقاً، أو رؤية الله عياناً لإخبارهم برسالته، كما قال ﷻ حاكيا مطالبهم في آيات أخرى﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾إلى قوله ﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾[الإسراء: ٩٠- ٩٢] [4].

٦- أصحاب الجنة في مكان مستقر ومأوى ثابت، ومنزل حسن مريح طيب الإقامة، فالمؤمنون مُنعَّمون في الجنة ، على النقيض من حال أهل النار. قال ﷻ:﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ وقال ﷻ: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ١٥ ] [5].

٧- يكون الملك الثابت الدائم في ذلك اليوم لله الرحمن الرحيم، وهذا دليل الألوهية لأن الملك الذي يزول وينقطع ليس بملك، فبطلت يومئذ أملاك المالكين وانقطعت دعاويهم، وزال كل ملك ومُلْكَه،

---

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (١٧ /٤٧). وأيسر التفاسير للجزائري (٣ /٦٠٩). والتفسير المنهجي (١٣ /٣١)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٢) ينظر: "متشابه القرآن" للقاضي عبدالجبار(ص: ٥٢٩)..

(٣) ينظر: من تفسير أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٦ / ٣٨).

(٤) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة و المنهج للزحيلي (١٧ /٤٧).و أيسر التفاسير للجزائري (٣ /٦٠٩).

(٥) ينظر: التفسير المنير (١٧ /٤٨). والتفسير المنهجي (٣١/١٣).تأليف د:صلاح الخالدي

وبقي الملك الحق لله وحده، فيا ليت ملوك الدنيا يعتبرون، ويتفكرون بمآلهم ومصيرهم فلو كانوا كذلك لما رأينا سفك دماء المسلمين ولا سجون ولا معتقلات ولا ظلم.

٨- إثبات رؤية الملائكة عند قبض الروح، ويوم القيامة، روى الإمام أحمد في المسند عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه .... الحديث[١].

٩- نفي البشرى عن المجرمين وإثباتها للمؤمنين المتقين.

١٠- بيان ما كان عليه غلاة المشركين من قريش من كبر وعتو وطغيان.

١١- إثبات مجيء الرب ﷻ لفصل القضاء يوم القيامة[٢].

١٢- إن حساب أهل الجنة يسير، وإنه ينتهى في وقت قصير، لا يتجاوز نصف النهار لأن قوله ﷻ ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ يدل على أنهم في وقت القيلولة، يكونون في راحة ونعيم، ويشير إلى ذلك قوله ﷻ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۝٩﴾ [الانشقاق: ٧ – ٩].

وأما أهل النار والعياذ بالله فهم ليسوا كذلك لأن حسابهم عسيرٌ شاقٌ عليهم غير يسير، ولا بدَّ من أن يخافه المؤمن[٣].

١٣- الملائكة لا تنزل على الكفار إلا بالعذاب[٤].

١٤- قررت الآيات مسائل مختلفة في العقيدة منها: إثبات رؤية الله ﷻ، إثبات البعث والنشور والحساب والجزاء والجنة والنار وإثبات مجيئ الرب لفصل القضاء.

---

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث البراء بن عازب ﷺ ٣٠/٤٩٩ ، حديث رقم (١٨٥٣٤) . قال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على الحديث: إسناده صحيح رجاله رجال الصحيح.

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣ /٦٠٩).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠ /١٨٩).و التفسير المنهجي (٣١/١٣) د:صلاح الخالدي

(٤) التفسير المنهجي (١٣ /٣٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

## المطلب الثاني

## ندم الظالمين بعد فوات الأوان

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾

**[الفرقان: ٢٧ – ٢٩]**

**أولاً: المناسبة:**

بعد بيان طلب المشركين إنزال الملائكة، أخبر الله ﷻ عن هول يوم القيامة وعن نزول الملائكة حينئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، فيعض الظالم على يديه ألما وحسرة على ما فات، ويتمنى أن لو كان أطاع الرسول فيما أمر ونهى، ولم يكن ممن أطاع الشيطان من الإنس والجن، ثم يفصل الله ﷻ القضاء بين الخلائق[١].

**ثانياً: سبب النزول:**

قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ اختلف المفسرون في سبب نزوله. فقال الإمام الطبري في تفسيره : إن عقبةَ[٢] دعا مجلساً فيهم النبي ﷺ لطعام، فأبى النبي ﷺ أن يأكل، وقال: "لا آكل حتى تشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله" فشهد بذلك عقبة، وطعم النبي ﷺ من طعامه، فبلغ ذلك أمية ابن خلف[٣] فقال: صبوتَ يا عقبة، وكان خليله، فقال: لا والله ما صبوت فإن أخاك على ما تعلم، ولكنْ صنعتُ طعامًا فأبى أن يأكل حتى قلت ذلك، استحييت أن يخرج من بيتي قبل أن يطعم، فشهدت له وليس من نفسي[٤].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩ /٥١).

(٢) هو عقبة بن أبي معيط، واسم أبيه: أبان بن ذكوان بن أمية، من مقدمي قريش في الجاهلية، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، قتله يوم بدر عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، أخو بني عمرو بن عوف. سيرة ابن هشام(٢/ ٣٦٦) ، و"الأعلام" (٤/ ٢٤٠).

(٣) أمية بن خلف بن وهب الجمحي، من بني لؤي. أحد جبابرة قريش في الجاهلية، أدرك الإسلام ولم يسلم، وهو الذي عذب بلالاً الحبشي ﷺ في أولى ظهور الإسلام، قتل يوم بدر. "السيرة النبوية" لابن هشام ٢(/ ٢٨٣) ، و"الأعلام" (٢/ ٢٢).

(٤) تفسير الطبري جامع البيان (١٩/ ٢٦٣) .

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿يَعَضُّ﴾: يَعَضُّ الظَّالِمُ مِنْ عَضِضَ بِكَسْرِ الْعَيْنِ فِي الْمَاضِي، يَعَضُّ بِفَتْحِهَا فِي الْمُضَارِعِ عَلَى الْقِيَاسِ[١].

وَالْعَضُّ: الشَّدُّ بِالْأَسْنَانِ عَلَى الشَّيْءِ لِيُؤْلِمَهُ أَوْ لِيُمْسِكَهُ، وَحَقُّهُ التَّعْدِيَةُ بِنَفْسِهِ إِلَّا أَنَّهُ كَثُرَتْ تَعْدِيَتُهُ بِـ {عَلَى} لِإِفَادَةِ التَّمَكُّنِ مِنَ الْمَعْضُوضِ إِذَا قَصَدُوا عَضًّا شَدِيدًا كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ[٢].

٢- ﴿ٱلظَّالِمُ﴾: الظالم هو من اتصف بالظلم في عبادته فأشرك، وإن الشرك لظلم عظيم، أو آذى المؤمنين أو كان يعثوا في الأرض فسادا[٣]. المقصود بالظَّالِمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ: هُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَأَنَّ فُلَانًا الَّذِي أَضَلَّهُ عَنِ الذِّكْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، أَوْ أَخُوهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ[٤]، الظالم: هو كل من كفر بالله، واتبع خطوات الشيطان[٥].

٣- ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ﴾: أي: يا هَلَكَتِي[٦] وهو دعاء بالويل و الهلاك والثبور على نفسه[٧].فهو يدعو بالهلاك وينادي أنْ يحلّ به، والإنسان لا يطلب الهلاك لنفسه إلا إذا تعرّض لعذاب أشدّ من الهلاك[٨].

٤-﴿فُلَانًا﴾: عني بفلان: الشيطان[٩]، وَالدَّاعِي إِلَى الْكِنَايَةِ بِفُلَانٍ إِمَّا قَصْدُ إِخْفَاءِ اسْمِهِ خِيفَةً عَلَيْهِ عَلَيْهِ أَوْ خِيفَةً مِنْ أَهْلِهِمْ أَوْ لِلْجَهْلِ بِهِ، أَوْ لِعَدَمِ الْفَائِدَةِ لِذِكْرِهِ، أَوْ لِقَصْدِ نَوْعِ مَنْ لَهُ اسْمٌ عَلَمٌ[١٠].

٥- ﴿خَلِيلًا﴾: الخليل: من الخُلَّة والمخالَّة يعني: الصداقة المتداخلة المتبادلة[١١].

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٤٧/٦).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٢/١٩).

(٣) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (٥٢٧١/١٠).

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٦ /٤٥).

(٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب (٥٢١١/٨).

(٦) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٩٣/٤).

(٧) ينظر:" الموسوعة القرآنية " لعبد الكريم الخطيب (١٠ /٤١٥).

(٨) ينظر: تفسير الشعراوي (١٠٤٢٥/١٠).

(٩) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ( ٥٢١١/٨).

(١٠) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٤/١٩).

(١١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٠٤٢٦/١٠).

٦- ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي﴾: صرفني وردّني[١]، وكل ما أضلك عن شيء حتى لا تجده فقد صرفك وردك عنه[٢]، والمعنى: لقد أبعدني وأوقعني في الضلالة منصرفا عن الذكر الذي يذكرني بربى وهو القرآن والنبي ﷺ[٣].

٧- ﴿ٱلذِّكْرِ﴾: يعني القرآن، والإيمان وقيل: الإسلام[٤].

٨- ﴿خَذُولًا﴾: كَثِيرَ الخِذْلاَن لِمَنْ يُوَالِيه[٥]. ﴿خَذُولًا﴾ :صيغة مبالغة من الخذلان، نقول: خاذل وخذول، ومعنى خذلك أي: تخلّى عنك في الأمر بعد أنْ مدَّ لك حبالَ الأمل، فإذا ما جاء وقت الحاجة إليه تخلّى عنك وتركك[٦].

**رابعاً: القراءات:**

- ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ﴾ قرأ البصري بفتح الياء، والباقون بالإسكان[٧].

**خامساً: اللطائف البلاغية:**

١- ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾: كناية عن الندم والحسرة[٨]، قال الزمخشري "عَضُّ الْأَنَامِلِ وَالْيَدَيْنِ وَالسُّقُوطُ فِي الْيَدِ وَأَكْلُ الْبَنَانِ وَحَرْقُ الْأَسْنَانِ وَالْأَرَمُ وَفُرُوعُهَا كِنَايَاتٌ عَنِ الْغَيْظِ وَالْحَسْرَةِ لِأَنَّهَا مِنْ رَوَادِفِهَا فَتُذْكَرُ الرَّادِفَةُ. وَيُدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَرْدُوفِ فَيَرْتَفِعُ الْكَلَامُ بِهِ فِي طَبَقَةِ الْفَصَاحَةِ، وَيَجِدُ السَّامِعُ عِنْدَهُ فِي نَفْسِهِ مِنَ الرَّوْعَةِ وَالِاسْتِحْسَانِ مَا لَا يَجِدُ عِنْدَ لَفْظِ الْمُكَنَّى عَنْهُ" [٩].

٢- ﴿يَٰلَيْتَنِي﴾ الخ محكيٌّ به ويَا إمَّا لمجرَّدِ التَّنبيهِ من غيرِ قصدٍ إلى تعيينِ المنبَّهِ أو المُنادي محذوفٌ أي يا هؤلاءِ ليتني ﴿ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾[١٠].

٣- ﴿فُلَانًا﴾ : كناية عن الصديق الضال المضل[١١].

---

(١) ينظر: تفسير مقاتل ( ص: ٤٥).

(٢) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ( ١٦/٤٨٠).

(٣) ينظر: "زهرة التفاسير" لمحمد أبو زهرة (١٠/٥٢٧٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في كتابه تفسير القرآن العظيم (٨/ ٢٦٨٧).

(٥) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (١/٢٧٧٦).

(٦) تفسير الشعراوي (١٠/١٠٤٢٦).

(٧) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/ ٣٣٥).

(٨) ينظر: تفسير البحر المحيط لابن حيان ( ٨/١٠٢).

(٩) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٢٧٦)

(١٠) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود (٦/٣١٣).

(١١) ينظر: تفسير المنير للزحيلي ( ١٩/٤٩).

٤- ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ تعليلٌ لتمنيه المذكورِ وتوضيحٌ لتعللُّهِ وتصديُره باللامِ القسميَّةِ للُمبالغةِ في بيانِ خطئِه وإظهارِ ندمهِ وحسرتِه أي والله لقد أضلَّني عن ذكرِ الله ﷻ أو عن القرآنِ أو عن موعظةِ الرسول ﷺ أو كلمةِ الشَّهادةِ ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾[١].

**سادساً: التفسير الإجمالي:**

تبين الآيات ندم الظالم يوم القيامة غاية الندم ، حتى يعض على يديه من شدة ما اجترح من الآثام ، ورفقة سيئ الخلان، حتى أسرف على نفسه بالكبر والكفر وطاعة الشيطان، وهنالك يتبرأ اللعين منه ويخذله كما خذله في الدنيا عن طاعة ربه، وزين له المعصية ليركبها، ومازال يُمنيه الطاعة ليسوفها. يتمنى أن يكون في الدنيا قد اتبع الرسول، وسلك معه سبيله.

ويتمنى أنه لم يكن قد اتخذ فلاناً من الأخلاء في الحياة الدنيا خليلاً ويسميه، ويعلن أنه قد كان سبب ضلاله. يتمنى أن ينزل به الهلاك وهو الموت، ليتخلص من العذاب المقيم ويصرخ بذلك نادباً نفسه قائلاً ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾.

ويستنصر بالشيطان الذي أغواه، ويستعين به، فيخذله، ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾.

قال ابن كثير: قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾: يُخْبِرُ ﷻ عَنْ نَدَمِ الظَّالِمِ الَّذِي فَارَقَ طَرِيقَ الرَّسُولِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِنَ الْحَقِّ الْمُبِينِ، الَّذِي لَا مِرْية فِيهِ، وَسَلَكَ طَرِيقًا أُخْرَى غَيْرَ سَبِيلِ الرَّسُولِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَدِمَ حيثُ لَا يَنْفَعُهُ النَدَمُ، وَعَضَّ عَلَى يَدَيْهِ حَسْرَةً وَأَسَفًا.

وَسَوَاءً كَانَ سَبَبُ نُزُولِهَا فِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيط أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ، فَإِنَّهَا عَامَّةٌ فِي كُلِّ ظَالِمٍ، كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۝٦٦ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ۝٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ۝٦٨﴾[الأَحْزَاب:٦٦ -٦٨] فَكُلُّ ظَالِمٍ يَنْدَمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَايَةَ النَّدَمِ، ويَعَض عَلَى يَدَيْهِ قَائِلًا ﴿يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨﴾ يَعْنِي: مَن صَرَفَهُ عَنِ الْهُدَى، وَعَدَلَ بِهِ إِلَى طَرِيقِ الضَّلَالَةِ (مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالَةِ)، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، أَوْ أَخُوهُ أُبَيُّ بْنُ خَلَفٍ، أَوْ غَيْرُهُمَا، ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ وَهُوَ الْقُرْآنُ، ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ أَيْ: بَعْدَ بُلُوغِهِ إِلَيَّ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ أَيْ: يَخْذُلُهُ عَنِ الْحَقِّ، وَيَصْرِفُهُ عَنْهُ، وَيَسْتَعْمِلُهُ فِي الْبَاطِلِ، وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ[٢].

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/٣١٣).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير( ٦/١٠٨).و البحر المحيط في التفسير لابي حيان (٨ /١٠٨).

**سابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- إنه يوم يعض فيه الظالم الكافر وكل مكذب وطاغ على يديه، حسرة وألماً على ما فرط في دنياه، فلم يؤمن بربه وبالرسول محمد ﷺ ، فكلمة الظَّالِمُ للعموم، يعم جميع الظلمة، ويشمل عقبة ابن أبي معيط الذي همّ بالإسلام، فمنعه منه صديقه أمية بن خلف الجمحيّ ويروى: أبي بن خلف أخ أمية. وعضّه يديه: فعل النادم الحزين لأجل طاعته خليله، وعدم اتخاذه في الدنيا طريقاً إلى الجنة، فيدعو على نفسه بالويل والهلاك على محالفة الكافر ومتابعته، ويقول: لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا عنى أمية، وكنى عنه ولم يصرح باسمه، لئلا يكون هذا الوعد مخصوصاً به، ولا مقصوراً عليه، بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما، فهذه العبارات الثلاث: الظالم، وفلان، والشيطان عامة[١].

٢- تتجلى الحقائق يوم القيامة، يستبشر المؤمنون بإيمانهم ويسعدون بأعمالهم في مقام صدق عند مليك مقتدر. أما الكافرون المعاندون، فتأكل الحسرة قلوبهم ويندمون ولات ساعة مندم. يترك الصديق صديقه وتحل العداوة والكره والبغض بين الأخلاء لأن كل علاقة مقطوعة وكل رابطة مبتورة إلا ما كان مبنيا على الإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح [٢].

٣- تحريض على محبة الرسول ﷺ وشد اليد على التمسك بسنته، والاهتداء بهديه، واتباع ما جاء به، قبل أن تقول: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾.

٤- قال ابن عجيبة[٣]: "الترغيب في صحبة الأبرار، والترهيب من صحبة الفجار"[٤].

٥- تندم الظلمة وتحسرهم على ما فاتهم من الإيمان والطاعة لله ورسوله.

٦- بيان سوء عاقبة موالاة شياطين الإنس والجن وطاعتهم في معصية الله ورسوله .

٧- الأصحاب والأصدقاء في الدنيا يكونون يوم القيامة أعداء، يعادي بعضهم بعضاً ويلعن بعضهم بعضاً إلا المتقين، فإنهم أصدقاء متحابون في الدنيا والآخرة.

وهذا دليل على أن الخلّة أو الصحبة إذا كانت على المعصية والكفر، صارت عداوة يوم القيامة، أما الموحدون الذين يخالل بعضهم بعضاً على الإيمان والتقوى، فإن خلتهم لا تصير عداوة.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩ /٥٣).

(٢) ينظر: المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان ص (١٧) تأليف د. مصطفى مسلم، دار القلم دمشق الطبعة الأولى٢٠٠٧.

(٣) أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري: مفسر صوفي مشارك. من أهل المغرب. توفي ١١٦٠ هـ دفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان) له كتب كثيرة، منها (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) و (أزهار البستان ) و (إيقاظ الهمم في شرح الحكم) . ينظر: الأعلام للزركلي ( ٣٦٧/٤) .

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة ( ٩٣/٤).

٨- تقرير مبدأ أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إذ عقبة بن أبي معيط هو الذي أطاع أبي بن خلف حيث آمن، ثم لامه أُبى بن خلف فارتد عن الإسلام فهو المتندم المتحسر القائل ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ...﴾[1].

٩- كلُّ كافرٍ يندم يوم القيامة.

١٠- على المسلم أن يحسن اختيار رفيقه، وأن لا يصادق سيِّئاً لئلا يضله.

١١- المسلم يحذر الشيطان، ولا يستجيب لوساوسه لأنه خذولٌ[2].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبو بكر الجزائري (٦١١/٣).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي (١٣ /٣٤)، تأليف د. صلاح الخالدي.

## المطلب الثالث

## شكوى الرسول ﷺ من هجْرِ القرآن

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [ الفرقان: ٣٠]

**أولاً: المناسبة:**

ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة اعتراضات المشركين وأقاويلهم الباطلة، وأوجه تعنتهم، كطلب إنزال الملائكة أو رؤية الله، وتكذيب القرآن ووصفه بالأساطير، وبين المصير السيء الذي ينتظر هؤلاء المكذبين يوم القيامة ، حيث يتخلى الأخلاء عن بعضهم وتتاكر القرناء وندموا حيث لا ينفع الندم، أوضح الله ﷻ أن الرسول ﷺ ضاق صدره واشتكاهم إلى ربه بأن قومه هجروا القرآن ولم يلتفتوا إلى ما فيه من هداية لهم(١).

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

﴿مَهْجُورًا﴾ مَتْرُوكًا(٢)، وقيل: تركوا الإيمان بهذا القرآن فهم مجانبون له. هذا قول من جعله من الهجران والهجر(٣). وذكر الفراء والزجاج القولين؛ فقالا: يجوز أن يكون مهجورًا: متروكاً، أي: جعلوه متروكًا مهجورًا، لا يسمعونه ولا يتفهمونه. ويقال: إنَّهم جعلوه كالهُجر بمنزلة الهذيان. والهُجْر: ما لا ينتفع به من القول(٤).

والمراد ترك أحكامه، أو ترك تلاوته والاتعاظ به. وقيل: اتخذوه محلاً للهجر والسخرية. والهجر: فحش القول(٥).

**ثالثاً: القراءات:**

- ﴿قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟﴾ قرأ نافع والبزي والبصري بفتح الياء، والباقون بالإسكان(٦).

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٥٧/١٩) وتفسير المراغي (٩/١٩).بتصرف

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن للكواري ( ٣٠/٢٥).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل ( ص: ٤٥).

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٧). ومعاني القرآن للزجاج ( ٤/ ٦٦).

(٥) ينظر:" أوضح التفاسير" لمحمد بن الخطيب (٤٣٨/١).

(٦) ينظر: "غيث النفع في القراءات العشر" لعلي بن محمد ، أبو الحسن النوري (١ /٤٢٩).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ ظَاهِرٌ، وَهُوَ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ شَكَا إِلَى رَبِّهِ هَجْرَ قَوْمِهِ، وَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ لِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَيْ: تَرَكَهُمْ لِتَصْدِيقِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَهَذِهِ شَكْوَى عَظِيمَةٌ، وَفِيهَا أَعْظَمُ تَخْوِيفٍ لِمَنْ هَجَرَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، فَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْآدَابِ وَالْمَكَارِمِ، وَلَمْ يَعْتَقِدْ مَا فِيهِ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَيَعْتَبِرْ بِمَا فِيهِ مِنَ الزَّوَاجِرِ وَالْقَصَصِ وَالْأَمْثَالِ[1].

وقد عدد ابن كثير صوراً من الهجران لكتاب الله ﷻ فقال : وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا لَا يُصغُون لِلْقُرْآنِ وَلَا يَسْمَعُونَهُ، كَمَا قَالَ ﷻ:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ **[فُصِّلَتْ: ٢٦]** وَكَانُوا إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالْكَلَامَ فِي غَيْرِهِ، حَتَّى لَا يَسْمَعُوهُ. فَهَذَا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ عِلْمِهِ وَحِفْظِهِ أَيْضًا مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْإِيمَانِ بِهِ وَتَصْدِيقِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ مِنْ هُجْرَانِهِ، والعدولُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مَنْ شِعْرٍ أَوْ قَوْلٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ لَهْوٍ أَوْ كَلَامٍ أَوْ طَرِيقَةٍ مَأْخُوذَةٍ مِنْ غَيْرِهِ – مِنْ هُجْرَانِهِ، فَنَسْأَلُ اللَّهَ الكريمَ المنانَ القادرَ عَلَى مَا يَشَاءُ، أَنْ يُخَلِّصَنَا مِمَّا يُسْخطه، وَيَسْتَعْمِلَنَا فِيمَا يُرْضِيهِ، مِنْ حِفْظِ كِتَابِهِ وَفَهْمِهِ، وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَاهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وأطرافَ النَّهَارِ، عَلَى الوجه الذي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ كَرِيمٌ وَهَّابٌ[2].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- شهادة الرسول ﷺ على من هجروا القرآن الكريم فلم يسمعوه ولم يتفهموه ولم يعملوا به، وشكواه إياهم إلى الله ﷻ[3].

٢- بيان سنة الله في العباد وهي أنه ما من نبي ولا هاد ولا منذر إلا وله عدو من الناس وذلك لتعارض الحق مع الباطل، فينجم عن ذلك عداء لازم من أهل الباطل لأهل الحق.

٣- ترك المشركون والكفار القرآن في أوضاع متعددة، إما بعدم الاستماع والإصغاء إليه، وإما بترك تدبره وتفهمه، وإما بترك الإيمان به وعدم تصديقه، وإما بترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وإما بالعدول عنه إلى غيره من أنظمة الجاهلية والكفار أمثالهم[4].

---

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٤٨/٦).

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٩٠/٦).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٣).

(٤) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي (٦١/١٩).

حيث ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله[1] قوله في هذه الآية: هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

والرابع: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها. فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به. قال: وكل هذا داخل في هذه الآية، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض[2].

الخامس: هجر الحفظ وهجر المراجعة والتثبيت.

٤- اشتملت هذه الآية الكريمة على التخويف العظيم لمن يهجر القرآن الكريم. فلم يحفظه أو لم يحفظ شيئا منه، ولم يعمل بما فيه من حلال وحرام، وأوامره ونواهيه.

٥- هو أسلوب من أساليب القرآن، في تنويع العرض، وفى إثارة المشاعر، وتحريك العواطف، في مجال الدعوة إلى الله، وذلك بعرض الناس على مشاهد القيامة، وما يلقون هناك من حساب وجزاء، ثم العودة بهم إلى حياتهم الدنيا، حيث تواجههم الآيات بماهم متلبسون به من كفر وعناد، فيكون لذلك وقعه في كثير من القلوب القاسية، والعقول المظلمة. حيث تلين القلوب، وتنقشع الضلالات عن العقول.

٦- رحمة الرسول ﷺ بقومه حيث إنك لتستشعر لتلك الكلمات حرارة هذا الدعاء الذي يدعو به الرسول ربّه، إلى هداية قومه، وإلى إنقاذهم مما هم فيه. إنها رحمات يستمطرها الرسول ﷺ من السماء، لتلين هذه القلوب القاسية، ولتبصر هذه العيون العمى! وإنك لتجد في كلمة (لو) من الحنو الممزوج بالحسرة والألم[3].

٧- الوسيلة الفعالة في الدعوة إلى الإسلام هي القرآن الكريم، وأدرك الجاهليون قديما دور القرآن فهجروه بعدم الاستماع إليه، واللغو عند قراءته، وترك الإيمان به وصد الناس عنه، والدعوة إلى ترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والعدول عنه إلى أنظمة الجاهلية.

---

(١) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، من أعلام الإصلاح الديني في القرن الثامن الهجري. ولد في دمشق وتتلمذ على يد ابن تيمية، حيث تأثر به تأثرًا كبيرًا وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه. وسُجن ابن قيم الجوزية وعُذِّب عدة مرات، وأطلق من سجنه بقلعة دمشق بعد وفاة ابن تيمية. توفي(٦٩١ هـ ) ومن أبرز كتب ابن قيّم الجوزية في مجال السياسة كتابه الشهير الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، كما أن له العديد من المؤلفات الأخرى في الشريعة والتفسير والفقه ن منها: أعلام الموقّعين؛ زاد المعاد؛ مدارج السالكين. ينظر: الوافي بالوفيات(٢٨٨/٣) وطبقات المفسرين للداوودي (٩٣/٢).وبغية الوعاة (٦٢/١).

(٢) ينظر: الفوائد لابن قيم الجوزية ( ١٠٩/٢).

(٣) ينظر: "التفسير القرآني للقرآن" عبد الكريم ي الخطيب (١٥/١٠).

كما أدرك الجاهليون المعاصرون دور القرآن في حياة المسلمين فقال قائلهم: لن يقر قرار للغرب في بلاد المسلمين ما دام القرآن في أيديهم، وما دامت الكعبة قبلتهم يتوجهون إليها خمس مرات في اليوم[1].

٨- يحرص المسلم على عدم هجران القرآن ،فُيكثر من تلاوته وتدبره ، و تطبيق أحكامه.

٩- قال أبو السعود:" فيه تلويح بأن من حق المؤمن أن يكون كثير التعاهد للقرآن، كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم. ثم قال: وفيه من التحذير ما لا يخفى. فإن الأنبياء عليهم السلام، إذا شكوا إلى الله سبحانه وتعالى قومهم، عجل لهم العذاب ولم ينظروا"[2].

١٠-هجر القرآن أهم الأسباب التي أدت إلى حياة الضنك التي يعيشها العالم اليوم ، حيث غُيّبت تعاليمه و آدابه و أحكامه من حياة الناس، فأصبحت حياتهم لا يضبطها ضابط، ولا يحكمها حلال ولا حرام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[ طه : ١٢٤].

---

(١) في كلمة لوزير المستعمرات البريطانية ، من موقع إسلام ويب http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=٥٦٨٠٥ بتصرف واختصار

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/٢١٥).

## المطلب الرابع

## معاداة المجرمين لرسل الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[الفرقان: ٣١]

**أولاً: المناسبة:**

لما ذكر ﷻ شكايته ﷺ من هجرانهم للقرآن، وقرر عداوتهم له ونصرته عليهم، أتبع ذلك بما يدل عليه، حيث كانت النفوس متشوقة إلى الهداية بعد هذا الطبع، والنصرة بعد ذلك الجعل، كان كأنه قيل: لا تحزن فلنجعلن لك ولياً ممن نهديه للإيمان، ولننصرهم على عدوهم كما فعلنا بمن قبلك ، ولا يسعهم إلا الخضوع لكم والدخول في ظلال عزكم، ولما كان ذلك لكثرة المعادين أمراً يحق له الاستبعاد، قال عاطفاً على ما تقديره؛ ثم نصر إخوانك من الأنبياء ﷺ على من جعلهم أعداءهم ربُّك الذي أرسلهم:﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ أي المحسن إليك ﴿هَادِيًا﴾ يهدي بك من قضى بسعادته ﴿وَنَصِيرًا﴾ ينصرك على من حكم بشقاوته(١).

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿عَدُوًّا﴾: وَالْعَدُوُّ: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى الْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ وَالْمُرَادُ هُنَا الْجَمْعُ(٢). قال﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾[ الشعراء: ٧٧]. فيجوز أن يكون في معنى أعْدَاء، وقد جاء في التفسير أن عدو النبي ﷺ أبُو جَهْل بن هشام(٣).

والمعنى: أن الله جعل لكل نبي من الأنبياء الداعين إلى الله عدواً يعاديه من مجرمي قومه فلا تجزع يا محمد، فإن هذا دأب الأنبياء قبلك، واصبر كما صبروا(٤).

٢- ﴿هَادِيًا﴾: ومعناه، كفاك ربك هادياً يهديك إلى الحق، ويبصرك الرشد(٥).

٣- ﴿وَنَصِيرًا﴾: أي وكفى أن يكون ربك يا محمد هادياً لك وناصراً لك على أعدائك فلا تبال بمن عاداك(٦).

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ( ٣٧٨/١٣).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/١٩).

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٦٦/٤).

(٤) ينظر: التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير (١/ ٣٦٢)

(٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية، لأبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش القيرواني القرطبي المالكي (٥٢١٨/٨).

(٦) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣١).

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

هذه الآية فيها تسليةٌ لرسول الله ﷺ وحملٌ له على الاقتداءِ بمن قبلَه من الأنبياءِ عليهم السلام أي كما جعلنا لك أعداءً من المُشركين يقولُون ما يقولون ويفعلون من الأباطيلِ جعلنا لكلِّ نبيَ من الأنبياءِ الذينَ هم أصحابُ الشَّريعةِ والدّعوة إليها عدوًّا من مُجرمي قومِهم فاصبرْ كما صبرُوا وقوله ﷻ ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ وعدٌ كريمٌ له ﷺ بالهدايةِ إلى كافَّةِ مطالبِه والنَّصرِ على أعدائِه أي كَفَاك مالكُ أمرِك ومُبلِّغك إلى الكمالِ هَادياً لك إلى ما وصلك إلى غاية الغابات التي من جُملتها تبليغُ الكتابِ أجلَه وإجراء أحكامِه في أكتاف الدُّنيا إلى يومِ القيامةِ ونصيراً لك على جميعِ مَن يُعاديك[1].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- علو الحق على الباطل، وتبين الحق، واتضاحه اتضاحًا عظيمًا؛ لأن معارضة الباطل للحق، تزيده وضوحاً وبياناً، وكمال استدلال. وأن يتبين ما يفعل الله بأهل الحق من الكرامة وبأهل الباطل من العقوبة[2].

٢- ما من حق إلا ويقابله باطل، وما من مصلح صادق إلا وله أعداء، وكما جعل الله لنبيه محمدٍ ﷺ عدواً من مشركي قومه كأبي جهل وأمثاله، جعل لكل نبي عدواً من مشركي قومه، فما على المحق والمصلح إلا الصبر كما صبر الأنبياء المتقدمون، والله هاد أهل الحق والصلاح، وناصرهم على كل من ناوأهم[3].

٣- استدل أهل السنة بآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ على أنه ﷻ خالق الخير والشر لأن ذلك القول يدل على أن تلك العداوة من جعل الله، وتلك العداوة كفر[4].

٤- لا بُدَّ من الداعية أن يكون رَحْب الصدر، واسع الساحة، ذلك لأنه يُخرِج أهل الضلال عما أَلِفوه إلى شيء يكرهونه، فلا تُخرجهم من ذلك بأسلوب يكرهونه، فتجمع عليهم شدتين، إنما تلطَّفْ معهم، كما قال ﷻ لموسى وهارون عندما أمرهما بدعوة فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤][5].

٥- منطق أهل الشرك واحد: الاعتراض على بشرية الرسل وجعلهم أعداءً لهم.

٦- لا بدَّ من الصالحين من أعداءٍ طالحين[6]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٦/٢١٥).

(٢) تفسير السعدي (١/ ٤٨٢).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/٦١).

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/٦٢).

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/١٠٤٣٩).

(٦) التفسير المنهجي (١٣ /٣٤)، تأليف د. صلاح الخالدي

## المطلب الخامس

## اعتراض المشركين على عدم نزول القرآن جملة واحدة و بيان عاقبتهم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [ الفرقان: ٣٢-٣٤]

**أولاً: المناسبة:**

بعد بيان شكوى الرسول ﷺ قومه إلى ربه، حكى الله ﷻ شبهة أخرى للمشركين على لسان أهل مكة فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ فهذا طعن منهم في القرآن بأنه إفك مفترى وأنه أساطير الأولين، فقد أضافوا شبهة أخرى هي قولهم: إذا كنت تزعم أنك رسول من عند الله، أفلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة، كما أنزلت التوراة جملة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود [1].

**ثانياً: سبب النزول:**

أخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن عباس قال: قال المشركون: إن كان محمد كما زعم نبيا، فلم يعذبه ربه، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾[2].

**ثالثاً: المفردات اللغوية :**

١- ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾: جُمْلَةً واحِدَةً كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى عليه السلام[3]، أي دفعة واحدة.

٢- ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: وَالتَّثْبِيتُ: جَعْلُ الشَّيْءِ ثَابِتًا. وَالثَّبَاتُ: اسْتِقْرَارُ الشَّيْءِ فِي مَكَانِهِ غَيْرَ مُتَزَلْزِلٍ قَالَ ﷻ: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾[إبراهيم:٢٤]. وَيُسْتَعَارُ الثَّبَاتُ لِلْيَقِينِ وَلِلِاطْمِئْنَانِ بِحُصُولِ الْخَيْرِ لِصَاحِبِهِ قَالَ ﷻ: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النِّساء:٦٦].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٥٨/١٩).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم ( ٨/ ٢٦٨٩) والمستدرك للحاكم الحاكم (٢/ ٥٣٠) قال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) بحر العلوم للسمرقندي (٥٣٧/٢).

﴿ وَٱلۡفُؤَادَ ﴾: هُنَا الْعَقْلُ. لنقوى به قلبك[١]. أي نقوي قلبك لتتحمل أعباء الرسالة وإبلاغها مجازه لنطيّب به نفسك ونشجّعك. لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ يعني: ليكون قبوله على المسلمين أسهل، لأنه لو أنزلت الأحكام والشرائع كلها جملة واحدة، شق على المسلمين قبولها[٢].

٣- ﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾: التَّرْتِيلُ فِي الْقِرَاءَةِ التَّرَسُّلُ فِيهَا وَالتَّبْيِينُ بِغَيْرِ بَغْيٍ. أي نَزَلْناه على التَّرْتِيل، وهو ضِدُّ العَجَلَةِ، وهو التَمَكُّث[٣]. وقال الطبري: الترتيلُ في القراءة الترسُّلُ والتثبتُ.

٤- ﴿بِمَثَلٍ﴾: يعني يضربونه لك في إبطال أمرك[٤]. أَيْ بِحُجَّةٍ وَشُبْهَةٍ. وَالْمِثْلُ: الْمُشَابِهُ. والمثل: الأشياء العجيبة التي طلبوها. من الأمثال من جملتها ما حكي من اقتراحاتِهم القبيحةِ الخارجةِ عن دائرةِ العقولِ الجاريةِ لذلك مجرى الأمثالِ أي لا يأتونَك بكلامٍ عجيبٍ هو مَثَلٌ في البُطلان يريدون به القَدْحَ في حقِّك وحقِّ القُرآنِ[٥].

٥- ﴿تَفۡسِيرٗا﴾: التَّفْسِير تفعيل من الفسر، والفسر: كشف مَا قد غطى[٦]، والتفسير: البيان والكشف. وأحسن مما جاءوا به من المثل بياناً وتفصيلاً. بياناً لترد به خصومهم ، والتفسير الحسن الذي يذهب اعتراضهم ويبطل شبهتهم[٧].

٦- ﴿شَرّٞ مَّكَانٗا ﴾: أَي: شَرّ مكانة ومنزلة[٨]، يحتمل أن يريد بالمكان المنزلة والشرف أو الدار والمسكن في الآخرة ، منزلاً فِي الْآخِرَة وَعَملا فِي الدُّنْيَا[٩].

٧- ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾: أَي: أَخطَأ طَرِيقا ودِيناً[١٠].

---

(١) ينظر: التفسير الواضح، المؤلف: الحجازي، محمد محمود (٢/ ٧٢٠).

(٢) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٣٧/٢).

(٣) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٦٦/٤).

(٤) ينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٣١٤/٣).

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود (٢١٦/٦).

(٦) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١٩/٤).

(٧) ينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٣٧/٢).

(٨) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١٩/٤).

(٩) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ، لأبو القاسم، محمد ، ابن جزي الكلبي الغرناطي (٨٢/٢).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني (١٩/٤).

**رابعاً: اللطائف البلاغية:**

١- ﴿نُزِّلَ﴾ بدل أنزل، الذي يناسب قولهم: ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

لأن ﴿نُزِّلَ﴾ يفيد تقطيع الفعل، ووقوع النزول حالا بعد حال في قولهم هذا تعريض بالتهمة التي يتّهم بها القرآن عندهم، وهو أنه نزّل لا أنزل، فهم يحكون الصورة التي نزل عليها القرآن، ثم ينكرونها بقولهم: ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[١].

٢- ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾: عطفٌ على ذلك المُضمر وتنكيرُ ترتيلاً للتَّفخيمِ أي كذلك نزَّلناهُ ورتلناهُ تَرتْيلاً بديعاً لا يُقادرُ قدره معنى ترتيلهِ تفريقُه آيةً بعدَ آيةٍ[٢].

٣-﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾: فِعْلُ الْإِتْيَانِ مَجَازٌ فِي أَقْوَالِهِمْ وَالْمُحَاجَّةِ بِهِ، وَتَنْكِيرُ ﴿بِمَثَلٍ﴾ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ لِلتَّعْمِيمِ، أَيْ بِكُلِّ مَثَلٍ. وَالْمَقْصُودُ: مَثَلٌ مِنْ نَوْعِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَمْثَالِهِمُ الْمُتَقَدِّمَةِ ابْتِدَاءً[٣].

٤-﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ عطفٌ على الحقِّ أي جئناك بأحسن الحُسنِ في حدِّ ذاته لا أنَّ ما يأتون به له حَسنٌ في الجملة وهذا أحسنُ منه، فهو استثناء مفرغ محلُّه النصب على الحالية أي لا يأتونك بمثل إلا حال إتياننا إيَّاك الحقَّ الذي لا محيد عنه وفيه من الدِلالة على المُسارعة إلى إبطالِ ما أتوا به[٤].

٥-﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ إسناد مجازي لأن الضلال لا ينسب إلى المكان، ولكن إلى أهله[٥]﴿شَرٌّ﴾ في معنى أفعل التفضيل هو ليس على بابه، كقوله ﷻ :﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾[آل عمران: ١٥] والمعنى من بلغ في الشر أقصى حالاته[٦]، وَصِيغَةُ التَّفْضِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾، صِيغَةَ التَّفْضِيلِ تَقْتَضِي الْمُشَارَكَةَ بَيْنَ الْمُفَضَّلِ وَالْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ فِيمَا فِيهِ التَّفْضِيلُ، إِلَّا أَنَّ الْمُفَضَّلَ أَكْثَرُ فِيهِ وَأَفْضَلُ مِنَ الْمُفَضَّلِ عَلَيْهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمُفَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ الَّذِي هُوَ عَذَابُ النَّارِ لَا خَيْرَ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَالْمَكَانُ مَحَلُّ الْكَيْنُونَةِ[٧].

قوله ﷻ: ﴿شَرٌّ﴾ ولم يقُلْ أشر؛ لأن معناها: أن الجهة الثانية فيها شر، وهذا أيضاً من إرخاء العِنان للخصم[٨].

---

(١) ينظر: "التفسير القرآني للقرآن" للخطيب (١٧/١٠).

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢١٦/٦).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(٢١/١٩).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٢١٦/٦).

(٥) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٥٥/١٩).

(٦) ينظر: زهرة التفاسير، لمحمد أبو زهرة (٥٢٧٨/١٠).

(٧) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٥٢/٦).

(٨) ينظر: تفسير الشعراوي ( ١٠٤٣٩/١٧).

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

بعد أن ذكر مطاعنهم في الكتاب الكريم كقولهم إن هو إلا إفك مبين، وقولهم هو أساطير الأولين- قفى على ذلك بذكر شبهة أخرى لهم وهى قولهم: لو كان القرآن من عند الله حقا لأنزله جملة واحدة كما أنزلت التوراة جملة على موسى والإنجيل جملة على عيسى والزبور على داود، فرد الله عليهم مقالتهم، وبين لهم فوائد إنزاله، فهم لا يقترحون اقتراحا من فاسد مقترحاتهم، إلا أتيناك بما يدفعه، ويوضح بطلانه.

وبعد أن وصفوا رسوله بتلك الأوصاف السالفة تحقيرا له- سلاه على ذلك، وطلب إليه أن يقول لهم. ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أي إنى لا أقول لكم كما تقولون ولا أصفكم بمثل ما تصفونني به، بل أقول لكم: إن الذين يسحبون إلى جهنم ويجرّون بالسلاسل والأغلال هم شر مكانا وأضل سبيلا، فانظروا بعين الإنصاف، وفكّروا من أولى بهذه الأوصاف منا ومنكم؟ لتعلموا أن مكانكم شر من مكاننا، وسبيلكم أضل من سبيلنا.

وهذا على نسق قوله ﷻ:﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[ سبأ: ٢٤].

ويسمّون هذا الأسلوب في المناظرة بإرخاء العنان للخصم، ليسهل إقحامه وإلزامه،

والمراد أن الملائكة عليهم السلام تسحبهم وتجرّهم على وجوههم إلى جهنم، أو يكون الحشر على الوجوه عبارة عن الذلة والخزي والهوان، أو هو من قول العرب مرّ فلان على وجهه إذا لم يدر أين يذهب(١).

**سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- بيان الحكمة في نزول القرآن منجماً شيئاً فشيئاً مفرقاً(٢).

٢- بيان أن المجرمين يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً(٣).

٣- من عناد الكفار كثرةُ اعتراضاتهم على القرآن ، منها طلبُهُم إنزال القرآن جُملةً واحدةً(٤).

٤- تثبيت قلب النبي ﷺ والمؤمنين بشريعة الله تعالى، والعون على حفظ القرآن وفهمه، وتطبيق أحكامه بنحو دقيق وشامل لأن النبي ﷺ كان أميا، وكانت أمته أمية، لا يعرفون القراءة والكتابة، فلو نزل القرآن جملة واحدة، لصعب عليهم ضبطه، وجاز عليهم السهو والغلط. ثم إن مشاهدة النبي ﷺ جبريل وقتا بعد وقت مما يقوي عزيمته، ويحمله على الصبر في تبليغ الرسالة وتصحيح

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ١٤).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٣/ ٦١٣).

(٤) التفسير المنهجي (٣٨/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

المسيرة، والصمود في وجه التحديات واحتمال أذى قومه، ومتابعة جهاده ولتدخل الطمأنينة إلى قلب رسول الله ﷺ[1].

٥- ومن فوائد نزوله منجماً ؛ تيسير حفظه ، والتأني في تدبره وفهمه ، وتعلم أسلوب المرحلية في التربية، فإن نزول القرآن الكريم تدرج في تربية الأمة الإسلامية تدرجًا فطريًّا لإصلاح النفس البشرية، واستقامة سلوكها ، وبناء شخصيتها، وتكامل كيانها، حتى استوت على سوقها، وآتت أكلها الطيب بإذن ربها لخير الإنسانية كافة[2].

٦- مراعاة مبدأ التدرج في التشريع ودفع الحرج عن المكلفين بتكليفهم بأحكام كثيرة مرة واحدة: فلو طولب المؤمنون بتحمل أعباء الشريعة دفعة واحدة، فربما وقعوا في الحرج والمشقة، وصار التنفيذ أمراً صعباً غير سهل ولا يسير، فكان من الحكمة والمصلحة أن ينزل القرآن منجّماً، ويتدرج في الأحكام من مرحلة إلى أخرى، تتهيأ بها النفوس لقبول الحكم النهائي[3].

٧- اقتضت حكمة الله ﷻ أن تكون تربية هذه الأمة بالتدريج، وذلك من لطف الله ﷻ بها، فجاء تشريع بعض الأحكام ثم نسخها إلى الأخف للتيسير، أو إلى الأثقل لمضاعفة الثواب، أو المماثل للابتلاء ونزول القرآن جملة لا يتناسب مع هذه المزية العظيمة[4].

٨- معالجة الوقائع والطوارئ والأحداث وإجابة الأسئلة بما هو الأنسب والأوفق: فلو كان التشريع دفعة واحدة، سواء فيما يتعلق بحالة السلم أو حالة الحرب، لانكشفت الخطة، ودبر الأعداء المكايد لتحقيق الغلبة على المسلمين، وهان على أهل الحيلة والمكر التشكيك في مدى صلاحية حكم تشريعي ما، ولو لم ينزل القرآن منجما على حسب الحوادث والوقائع لما ظهر في كثير من آياته مطابقتها لمقتضى الحال ومناسبتها للمقام، وذلك تمام إعجازها[5].

٩- من حِكمِ إنزال القرآن منجَّماً تثبيت فؤاد النبي ﷺ المؤمنين[6].

١٠- إن تكرار نزول الملك بالوحي ينشرح له صدر النبي ﷺ ويتلذذ بهذا العالم الروحي. قال: ﷻ

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم:٦٤]

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٥٩/١٩).

(٢) ينظر: مباحث في علوم القرآن، تأليف: مناع بن خليل القطان (١٠٧/١).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٥٩/١٩) بتصرف.

(٤) ينظر: زهرة التفاسير، لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٢٧٦) بتصرف.

(٥) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٥٩/١٩) بتصرف.

(٦) التفسير المنهجي (٣٨/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

١١- أهل النار وهم الكفار يحشرون إليها على وجوههم إما حقيقة كما تقدم، وإما أن القصد الذل والخزي والهوان، وإما الدلالة على الحيرة في طريق الذهاب، وهم في شر مكان لأنهم في جهنم، وأضل ديناً وطريقاً[١].

١٢- الله مع رسولهﷺ يمدُهُ بالحجة التي يغلب بها الكفار[٢].

١٣- ما من حق إلا ويقابله باطل، وما من مصلح صادق إلا وله أعداء، وكما جعل الله لنبيه محمد عدوا من مشركي قومه كأبي جهل وأمثاله، جعل لكل نبي عدوا من مشركي قومه، فما على المحق والمصلح إلا الصبر كما صبر الأنبياء المتقدمون، والله هاد أهل الحق والصلاح، وناصرهم على كل من ناوأهم[٣].

١٤- شبهات أعداء الإسلام حول القرآن الكريم وحول الرسول الله ﷺ مستمرة منذ بعثته عليه السلام إلى اليوم، وفي كل عصر يضيفون إلى افتراءات من تقدمهم من الجاهليين﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الصف:٨]. لقد درج أعداء الإسلام في هذه الأيام على التشكيك في نبي الإسلام والطعن في رسالته ﷺ حيث ينتحلون الأكاذيب والأباطيل، ليشككوا المسلمين في دينهم، ويبعدوا الناس عن الإيمان برسالته ﷺ، كما قال ﷻ:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١] إن قائمة المُتطاولين على رسولنا الكريم ﷺ قديماً وحديثاً طويلة، مليئة بالمجرمين المستهزئين، ولكن يجب علينا أن نعلم بأن المصير المحتوم ينتظر كل طاعن ومستهزئ، ومهما تقاعَسَ المُسلمون عن نُصْرَةِ نَبِيِّهم ﷺ؛ فالكون كله سينتصرُ لحبيبنا ورسولنا محمد ﷺ، كما قال ربنا ﷻ :

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[الحجر: ٩٥].

١٥- إن في نزول القرآن على النبي ﷺ مفرقاً تيسيراً عليه من الله في حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحكمه وذلك مطمئن له على وعي ما يوحى إليه حفظاً وفهماً وحكماً كما أن فيه تقوية لنفسه الشريفة على ضبط ذلك كله.

١٦- إن تنزيله مفرقا وتحديهم بأن يأتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها، أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل جملة واحدة، وفي إظهار الحجة عليهم تثبيت لقلب رسول الله ﷺ.

١٧- الحجة القرآنية قويةٌ بالغةٌ تبطل شبهة الباطل و تدْحضها[٤].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/٦٣).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي (١٣/٣٨)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٦١).

(٤) ينظر: التفسير المنهجي (١٣/٣٨)، تأليف د. صلاح الخالدي.

١٨- بعض الكفار يحشرون يوم القيامة على وجوههم إلى النار إذلالاً وتحقيراً لهم[١].

١٩- بيان أن المجرمين يحشرون على وجوههم لا على أرجلهم إلى جهنم إهانة لهم وتعذيباً[٢].

(١) ينظر: المرجع السابق (٣٨/١٣).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٣)

# المبحث الثاني

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٣٥-٤٤)

وفيه مطلبان:

**المطلب الأول: أمثلة لهلاك المكذبين.**

**المطلب الثاني: استكبار المشركين وتوبيخهم.**

## المطلب الأول

## أمثلة لهلاك المكذبين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾[ الفرقان: ٣٥ - ٤٠ ]

**أولاً: المناسبة:**

بعد بيان شبهات المشركين حول القرآن والنبوة والبعث، ذكر الله ﷻ قصص بعض الأنبياء مع أقوامهم وما نزل بهم من عذاب بسبب تكذيبهم الرسل، ليعتبر هؤلاء المشركون، ويحذروا ما حلّ بمن سبقهم من الأمم الماضية من أليم العقاب، إذا بقوا على كفرهم وعنادهم، كما جاء تسلية رسول الله ﷺ في ذلك بذكر سُنَّةَ الله في جملة من الأنبياء مع أقوامهم والمآل السيء الذي ينتظر هؤلاء كما كان لأولئك[1]. لذا جاءت تلك الآيات تسلية لرسول الله ﷺ ومواساته من رب العزة والجلال أن ذلك سُنَّةَ الله في الرسالات والأقوام وللرسول أسوة بإخوانه المرسلين ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [ الأحقاف٣٥:].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَزِيرًا﴾: الوزير في اللُّغَةِ الذي يُرْجَعُ إليه وُيتَحَصَّنُ برأْيِهِ، والوَزَرُ ما يلتجأ إليه ويُعْتَصَمُ بِهِ[2]. أي وأعنَّاه بأخيه هارون فجعلناه وزيراً له يناصره ويُؤازره[3].

٢- ﴿فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ التَّدْمِيرُ: الْإِهْلَاكُ، وَالْهَلَاكُ: دُمُورٌ[4].﴿تَدْمِيرًا﴾ عجيباً هائلاً لا يُقادرُ قَدرُه ولا يُدرك كُنهُه[5].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٦٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٨)

(٣) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٢).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور(٢٦/١٩).

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢١٧).

٣- ﴿وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ﴾ الرس في اللغة: كل محفور مثل البئر، والقبر، وجمعه: رِساس[١]. وهذا قول مقاتل والسدي[٢]؛ قالا: الرس: بئر بأنطاكية[٣]. قتلوا فيها حبيبًا النجار فنسبوا إليها[٤].والرسُ: بِئْر، يروى أَنَهُمْ قَوم كذبوا بِنبيهِمْ وَرَموهُ في بِئرٍ، أي دَسُّوه فيها. ويروى أن الرسَّ قرية باليمامة يقال لها مَلْح، ويروى أن الرسَّ ديار لطائفة من ثمود[٥]. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: وَأَصْحَابَ الرَّسِّ بِئْرٌ بِأَذْرَبِيجَانَ[٦].

٤- ﴿وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾: أي وأهلكنا قرونًا ما بين عاد إلى أصحاب الرس. أي: وأمماً وخلائق كثيرين لا يعلمهم إلا الله بين أولئك المكذبين أهلكناهم أيضاً[٧].

٥- ﴿تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: التتبير التدمير والهلاك، وَكُل شيء كسَّرْتَهُ وَفَتَّتَّهُ فقد تَبَّرْتَهُ، ومن هذا قيل لمكسَّر الزجاج التِبْرُ، وكذلك تبر الذهَبِ[٨].و المعنى: أهلكناهم وأبدناهم إبادَةً[٩].

٦- ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾ : وَأَمَّا الْقَرْيَةُ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ فَقَرْيَةُ لُوطٍ[١٠]. ولقد كان مشركو «مكة» يمرون في أسفارهم على قرية قوم لوط، وهي قرية «سدوم»[١١] التي أُهلِكت بالحجارة من السماء، فلم يعتبروا بها، بل كانوا لا يرجون معادًا يوم القيامة يجازون فيه[١٢].

٧- ﴿بَل كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ : أَيْ لا يخافون بَعْثًا وَلَا حِسَابًا[١٣].

---

(١) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٢٣).

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، أبو محمد ، السدي – بضم السين وتشديد الدال ، نسبة إلى سدة مسجد الكوفة ، وهو من أهل الكوفة ، وهو تابعي ، صدوق يهم ، ورمي بالتشيع ،كان عارفًا بالوقائع وأيام الناس مات سنة سبع وعشرين ومائة . ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ( ١/ ٣٠٨) ، و سير أعلام النبلاء (٧/٣٤٤).

(٣) أنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهي من أعيان البلاد، وأمهاتها، موصوفة بطيب الهواء وعذوبة الماء، وكثرة الفواكه وسعة الخير، حاصرها أبو عبيدة بن الجراح، وصالح أهلها، ثم نقض أهلها العهد فأرسل إليهم أبو عبيدة: عياض بن غنم، وحبيب بن مسلمة ففتحاها. "معجم البلدان" (١/ ٣١٦). وموقعها الآن: جنوب تركيا تبعد عن الساحل الشرقي للبحر المتوسط حوالي ٥٠ كم. "مراصد الاطلاع" (١/ ١٢٤).

(٤) ينظر: تفسير مقاتل ( ص: ٤٥).

(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٨).

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/٢٦٩٥).

(٧) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٢).

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ٦٩-٦٨).

(٩) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٨).

(١٠) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٨ ).

(١١) عُظمى قرى قوم لوط، كان قاضيها يقال له سدوم. معجم البلدان (٣/ ٢٠٠)

(١٢) ينظر: التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير (٣٦٣/١).

(١٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٨/ ٢٦٩٨ ).

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

١- جاء التأكيد على القوم بأسلوب الاشتغال قوم: منصوب بفعل محذوف يفسره المذكور بعده تقديره: وأغرقنا قوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ، لأن حالهم هو محل العبرة فقدم ذكرهم ثم أكد بضميرهم.

٢- في قوله ﷻ ﴿لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ تعريض بأمرين وقعت فيهما قريش، في مجيء ﴿لَمَّا﴾ الظرفية إفادة سرعة وقوع الجزاء بمجرد وجود السبب، فما أن وجد التكذيب وجد الإغراق.

وفي مجيء كلمة ﴿الرُّسُلَ﴾ بصيغة الجمع وهم لم يكذبوا إلا رسولهم نوحا عليه السلام، لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لسائرهم جميعا، لأن دعوتهم واحدة وهو تعريض بقريش أيضا، لأنهم قالوا لرسولهم كما قالت قريش ﴿مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[المؤمنون: ٢٤]

٣- في تذييل قصصهم بقوله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ وهي قاعدة عامة تنطبق على كل ظالم ومنهم قريش الذين قالوا عن القرآن وعن الرسول﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾[الفرقان: ٤]

٤- التعبير بالقرون يدل على كثرتهم وامتدادهم عبر التاريخ لأن سنة الله ﷻ ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [ الإسراء: ١٥]، ولقد أهلكوا جميعاً لتكذيبهم رسلهم.

﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ صدر ﷻ الآية الكريمة بلام القسم وقد، لتأكيد رؤيتهم لتلك القرية التي أمطرت مطر السوء. والمراد برؤيتها، رؤية ما حل بها من خراب و دمار[١]

**رابعاً: القراءات:**

- ﴿وَثَمُودَاْ﴾: بفتح الدال من غير تنوين على أن اللفظ ممنوعٌ من الصرف قراءة حفص عن عاصم، وحمزة، ويعقوب، عند الوقف يقف هؤلاء على الدال الساكنة[٢].
- ﴿وَثَمُودَاْ﴾: بفتح الدال مع التنوين على أن اللفظ مصروفٌ، قراءة باقي القراء العشرة، وعند الوقف يقف هؤلاء بالألف المبدلة من التنوين[٣].﴿وَثَمُودَاْ﴾ والقراءتان وجهان عربيان لكلمة ﴿ثمود﴾ فعند ملاحظة اسم القبيلة يكون اللفظ ممنوعاً من الصرف، وعند ملاحظة اسم جدها يكون اللفظ مصروفاً[٤] .

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٢٦) بتصرف

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ( ص:٢١٧ ).

(٣) ينظر: المرجع السابق ( ص:٢١٧).

(٤) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن (ص:٩٢).

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

جاءت تلك الآيات لتذكر قريش بمصير أقوام سبقوهم إلى تكذيب أنبيائهم ورد رسالاتهم، والعاقل يأخذ العبرة من غيره، وأورد في السياق جوانب من قصصهم فيها تعريض لهم:

**أولاً: ففي قصة موسى عليه السلام:**

في قصة موسى عليه السلام ذكر الكتاب الذي أنزل عليه إن هو إلا وحي أوحي إليه من ربه، فجمع في كتاب، وفي ذكر هارون مع موسى تعريض بالرد على المشركين إذ قالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾[ الفرقان: ٧] فإن موسى عليه السلام لما اقتضت الحكمة تأييده لم يؤيد بملك ولكنه أيد برسول مثله من البشر. و في وصف القوم الذين كذبوا بآياتنا اختزال للقصة واقتصار على ذكر أولها وآخرها لأنهما المقصود للوصول إلى الغاية وهو استحقاق المكذبين التدمير بتكذيبهم رسلهم وفيه تعريض بقريش لموقفهم من رسول الله ﷺ.أيضاً في قصة موسى وأخيه هارون عليهما السلام، كان معهما التوراة، وأمرا بالذهاب إلى فرعون وقومه من أقباط مصر لدعوتهم إلى الإيمان بوجود الله، والإقرار بوحدانيته، فكذبوا بآيات الله الدالة على صدق النبوة والتوحيد، فدمرهم الله تدميرا، وأهلكهم إهلاكا شديدا بالإغراق في البحر(١).

**ثانياً: وفي قصة نوح عليه السلام:**

ذكر الله ﷻ قصة نوح عليه السلام مع قومه الذي مكث يدعوهم إلى توحيد الله ونبذ عبادة الأصنام زمنا هو ألف سنة إلا خمسين، مما لم يمكث فيه نبي مع قومه مثل هذا، فبعد أن كذبوه ويئس من إيمانهم، أغرقهم الله جميعا بالطوفان، وجعلهم للناس علامة ظاهرة على قدرته، وأعدّ لهؤلاء المشركين من قوم نوح عذاباً شديداً في الآخرة، ونجّى الله الذين آمنوا مع نوح في السفينة(٢).

**ثالثاً: ثم أدمجت قصص أقوام ثلاثة كانوا بالقرب من ديار قريش جنوبا وشمالا وشرقا وهم من القبائل العربية المعروفة لقريش:**

أ- فقبيلة عاد كانت تسكن الأحقاف جنوب الجزيرة العربية في حضر موت وما جاورها، وأرسل إليهم نبي الله هود عليه السلام ﴿فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[الحاقة: ٦].

ب- وقبيلة ثمود كانوا يسكنون الحجاز شمال الجزيرة العربية { مدائن صالح }، أرسل إليهم نبي الله صالح عليه السلام فكذبوه فأهلكوا بالصيحة الطاغية المزلزلة.

ج- ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أي وكل واحد من هؤلاء الأقوام بيّنا لهم الحجج، وأوضحنا لهم الأدلة، وأزحنا الأعذار عنهم، فلم يؤمنوا وإنما كذّبوا، بالرغم من الرد على كل

---

(١) ينظر: تفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٦٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٩/ ٦٨).

الشبهات والاعتراضات، فأهلكناهم إهلاكا شديدا، كقوله ﷻ:﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ﴾ [الإسراء: ١٧]. والقرن في الأظهر: هو الأمة المتعاصرون في الزمن الواحد، فإذا ذهبوا وخلفهم جيل آخر فهو قرن آخر(١).

**رابعاً: قصة لوط عليه السلام:**

ذكر الله ﷻ قصة لوط عليه السلام مع قومه في قرية سدوم إحدى قرى قوم لوط الخمس، حيث دعاهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة الأصنام، والتطهر من الفاحشة، فأصروا على ما هم عليه لأنهم لا يصدقون بالبعث، أو لا يرجون ثواب الآخرة، فأهلكهم الله بمطر السوء، أي بالحجارة من السماء، وكان مشركو مكة يمرون في أسفارهم بتلك المدائن، ومع ذلك لم يعتبروا. قال ابن عباس: كانت قريش في تجارتها إلى الشام تمر بمدائن قوم لوط، كما قال الله ﷻ:﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾[ الصافات: ١٣٧]. إن ذكر كل هؤلاء ومصائرهم تحذير لقريش، وتسلية لرسول الله ﷺ(٢).

**سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- بيان سنة الله ﷻ في إهلاك الأمم بعد الإنذار والإعذار إليها(٣).

٢- بيان عاقبة المكذبين وما حل بهم من دمار وعذاب(٤).

٣- عدمُ الإيمان بالآخرة يؤدي إلى قسوة القلب و عدم الاتعاظ(٥).

٤- بيان علة تكذيب قريش للرسول ﷺ وما جاء به وهي تكذيبهم بالبعث والجزاء فلهذا لم تنفعهم المواعظ ولم تؤثر فيهم العبر(٦).

٥- تحذير المشركين من تكذيب النبي ﷺ، فيحل بهم من العذاب، كما حلّ بالأمم الماضية المكذبين رسل الله.

٦- الحق يحتج إلى أعوانٍ و أنصارٍ كما جعل الله لموسى أخاه هارون نصيراً ووزيراً(٧).

٧- منطق أهل الشرك واحد: إنكار الغيب، الاعتراض على بشرية الرسل، تكذيب ما جاء من عند الله "الكتب المنزلة"، إنكار البعث بعد الموت. هذا ما ظهر من قوم نوح ومن بعدهم إلى مشركي قريش وإلى يومنا هذا.

٨- إن ذكر كل هؤلاء ومصائرهم تحذير لقريش، وتسلية لرسول الله ﷺ.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٦٧)

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٢١٩). وتفسير الألوسي روح المعاني (١٠/ ١٩). التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٦٩).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٦)

(٤) ينظر: المرجع السابق (٣/ ٦١٦)

(٥) ينظر: التفسير المنهجي (٤٢/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٦) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٦)

(٧) ينظر: التفسير المنهجي (٤٢/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

٩- سنة الله الغالبة تدمير المكذبين وإهلاكهم ونصر رسله وأوليائه، إلا أن العذاب المستأصل لأمة الدعوة بعد بعثة الرسول ﷺ أَخَّره إلى يوم القيامة تكريماً لرسول الله ﷺ كما أخبر القرآن بذلك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] فقد نصر رسوله على أعدائه من غير أن يستأصل الكافرين. وما شهدناه من الانسحاب المذل للعدو الصهيوني من قطاع غزة بتاريخ ٢٠٠٥/٨/١٥م، مناسبة تستحق الفرح بهذا الانتصار من جهة، ومن جهة أخرى فإننا نرى ما تعرض له الشعب الفلسطيني بل وواقع المسلمين اليوم وما يتعرض له - في كل مكان - من محن وابتلاءات، وضيق وكرب، مما يستدعي نوعاً من العلاج يخفف الآلام، ويلملم الجراح، ويواسي المستضعفين. وفي القرآن العظيم الزاد المعين على هذا الطريق، وفيه من آيات التثبيت ما يجعل البلاء قُربة يتعبد الله بها، ويرى مع شدة المحنة لذة الإخلاص. فالقرآن نورٌ وضياء، ودستور ومنهاج، وأملٌ وحياة، يبعث النفس على الاستعلاء على الباطل مهما عَظُم وتجبر وانتعش.

١٠- لم يهلكِ الله قوماً من الكافرين إلا بعد إقامة الحجة عليهم[١].

١١- أهل الحجا والنهى وأولوا الألباب الذين يأخذون العظة والعبر من غيرهم ويدرسون الأسباب التي أودت بالممالك والحضارات السابقة ودمرتها فيجتنبون مسالكهم، وطرائقهم في الحياة وإدارة شؤونهم.

١٢- نلاحظ أن العلاقة بين موسى ونوح عليهما السلام أن الله ﷻ يُهلِك ويُنجي بالشيء الواحد، فالماء الذي نجَّى موسى هو الماء الذي أغرق فرعون، والماء الذي نجَّى نوحاً هو الماء الذي أغرق الكافرين من قومه. فهذا تسلية لرسول الله ﷺ، فالله ﷻ إنْ أراد الإنجاء يُنجِّي، وإنْ أراد الإهلاك يُهلِك، ولو بالشيء الواحد[٢].

١٣- تكذيبُ الرسل و رفض الحق يقودُ إلى عذاب الله[٣].

١٤- لقد كانت النهاية أن نصر الله أولياءه ورسله، ودحر خصومهم والمكذِّبين بهم، كل ذلك ليقول لرسوله ﷺ: يا محمد لست بدعاً من الرسل، فإنْ وقف منك قومك موقفَ العناد والتكذيب، فكُنْ على يقين وعلى ثقة من نصر الله لك كما قال:﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات: ١٧١] إنها قضية يطلقها الحق تبارك و ﷻ لا للتاريخ فقط، ولكن لتربية النفس البشرية، فإنْ أردتَ الغلبة فكُنْ في جند الله وتحت حزبه، ولن تُهزَم أبداً.

١٥- يضرب الله الأمثال لبيان الحق و الباطل و تفقيه الناس بهما[٤].

---

(١) ينظر: التفسير المنهجي (٤٢/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٤٤٣).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي (٤٢/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٤) ينظر: المرجع السابق (٤٢/١٣).

١٦- إهلاك الكافرين والظالمين سنة من سنن الله ﷻ فهذا مقرر في قوله ﷻ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر: ٤٣]، حيث دعانا الله ﷻ في كثير من آياته إلى السير في الأرض، لمعرفة سنته ﷻ في أخذ الكافرين والظالمين، وذكّرنا بمصارع الغابرين، والأقوام السابقين. ليبين الله ﷻ لنا أن هذه هي سنته في أخذ الكافرين في كل زمان ومكان، مهما عظمت دولتهم، وقويت شوكتهم، ذلك أنهم لما نسوا الله ﷻ هانوا عليه فأهلكهم، ومضت قصصهم عبرة لكل متجبر ومتكبر وظالم، وبقيت آثارهم عظة لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. حتى يعلم المؤمن أن أهل الباطل مهما بلغت قوتهم، وصالوا وجالوا فلن يعجزوا الله ﷻ. فإن الله لهم بالمرصاد. وما هو بالإهمال لهم بل هو الإمهال والإملاء حتى يحين أجل الله وموعده بأخذهم وإهلاكهم وزوالهم وذهابهم كما مضى بذلك سلف الأولين فقد قال تعالى﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٧].

١٧- مشاهدةُ آثار المعذبين تحقِّق العبرة والعظة[1].

(١) ينظر: التفسير المنهجي (٤٢/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

## المطلب الثاني

## استكبار المشركين وتوبيخهم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٤١ – ٤٤ ]

**أولاً: المناسبة:**

بعد أن عرض الحق ﷻ بعض النماذج من موكب النبوات تسليةً لرسوله ﷺ يُبيِّن أن الأمر مع هؤلاء الكفار لن يتوقف عند العِنَاد والتعنّت بمطالب سخيفة، إنما يتعدَّى ذلك إلى محاولة الاستهزاء به والسخرية منه، فقال ﷻ: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾: أي ما يتخذونك إلا مهزوؤاً بك[٢]. "وجمعهم بين الاستهزاء بالنبي ﷺ ووصفه بأنه كاد أن يضلهم عن دينهم، دليل على حيرتهم في أمره، تارة يستهزئون به، وتارة يصفونه بما لا يليق إلا بالعالم الكامل" [٣].

والْهزْء والهُزءُ: السخرية، هزئ به و منه[٤]. ويحتمل معنى هزواً وجهين: الأول: لعباً، والثاني: باطلاً[٥].

٢- ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ﴾: لقد كاد أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا[٦]، وهذا يدل على عظم حرص النبي ﷺ على هداية قومه، ومجاهدتهم بكل ما يستطيع[٧].

٣- ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾: من أخطأ طريقاً عن الهدى أهم أم المؤمنون![٨].

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٤٤٨).

(٢) تفسير مقاتل ( ص:٤٥).

(٣) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٦/ ٤٥٩).

(٤) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٢١٩/١).

(٥) ينظر: تفسير الماوردي، النكت والعيون (٣١٩/٣).

(٦) تفسير بحر العلوم للسمرقندي (٢/ ٤٦٢).

(٧) تفسير الزمخشري (٣/ ٢٧٤).

(٨) ينظر: تفسير مقاتل ( ص: ٤٥).

٤- ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: أرأيت يا محمد من عرف أني إلهه، وخالقه، ثم هوى حجرًا يعبده فما حاله عندي[١]، وقال الكلبي: كانت العرب إذا هوى الرجل منهم شيئًا عبده من دون الله، فإذا رأى أحسن منه عبده حجرًا أو شجرًا أو أشباههما[٢].

٥- ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾: أي "حفيظاً تحفظه من متابعة هواه وعبادة ما يهواه أفأنت تكون عليه موكلاً فتصرفه عن الهوى إلى الهدى"[٣]،" بل إنما أنت منذر، وقد قمت بوظيفتك وحسابه على الله" [٤].

٦- ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ شبههم بالأنعام في المأكل والمشرب لا يفكرون في الآخرة[٥]. وكذا في قلة التمييز فيما جعل لهم من الآيات والبرهان[٦].

**ثالثاً: القراءات:**

- قرأ حفص﴿هُزُوًا﴾ بإبدال الهمز واواً.
- قرأ الباقون﴿هُزُءاً﴾ بالهمز.
- قرأ حمزة وخلف﴿هُزْءاً﴾ بإسكان الزاي[٧].

**رابعاً: اللطائف البلاغية:**

١- ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾: الاستفهام للاستهزاء والتهكم، والإشارة للاستحقار.

٢- ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾: تعجيب، وفيه تقديم المفعول الثاني على الأول للعناية به، والأصل: اتخذ هواه إلها له، بأن أطاعه وبنى عليه دينه، لا يسمع حجة، ولا يبصر دليلاً[٨].

في تقديم: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣]، إفادة الحصر فإن الكلام قبل دخول: أرأيت، مبتدأ وخبر، المبتدأ: هواه، والخبر: إلهه، وتقديم الخبر يفيد الحصر، فكأنه قال: أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه، فهو أبلغ في ذمه وتوبيخه[٩].

---

(١) تفسير الماوردي (٤/ ١٤٦)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي (٦/ ٨٥).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٨)، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٣٥).

(٣) تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٣٩)

(٤) تفسير السعدي (ص: ٥٨٤)

(٥) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٣٦)

(٦) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٦٩).

(٧) ينظر: النشر لابن الجزري (٢ /٢٦٩).والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة عبد الفتاح بن محمد القاضي (ص: ٣٤). ٣٤).

(٨) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٧٠)، وصفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٧).

(٩) ينظر: الانصاف بحاشية الكشاف (٣/ ٢٧٤).

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ يعني: أهل مكة ﴿إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ يعني: ما يقولون لك إلا سخرية فيما بينهم ويقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ يعني: إلينا، وهو قول أبي جهل حين قال لأبي سفيان بن حرب: أهذا نبي بني عبد مناف ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾ يعني: أراد أن يصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾ يعني: عن عبادة آلهتنا ﴿لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ يعني: ثبتنا على عبادتها لأدخلنا في دينه. حكى قولهم ثم بين مصيرهم فقال:﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني: أخطأ طريقاً، يعني: يبيّن لهم أن الذي قلت لهم كان حقا.

قوله ﷻ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ يعني: اتخذ هوى نفسه إلهاً، يعني: يعمل بكل ما يدعوه إليه هواه. ويقال: إنهم كانوا يعبدون حجرا، فإذا رأوا أحسن منه تركوا الأول، وعبدوا الثاني ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ يعني: أتريد أن تكون بيدك المشيئة في الهدى والضلالة، ويقال: معناه ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ يعني: أتريد أن تكون رباً لهم، فتجزيهم بأعمالهم، يعني: لست كذلك، فأنذرهم، فإنما أنت منذر[1]. ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني: أتظن أنهم يريدون الهدى ﴿يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ الهدى ﴿إِنْ هُمْ﴾ يعني: ما هم ﴿إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾في الأكل والشرب، ولا يتفكرون في أمر الآخرة ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ يعني: أخطأ طريقاً من البهائم، لأن البهائم ليسوا بمأمورين ولا منهيين.

قال سيد قطب :"إن الإنسان حين يتجرد من خصائصه هذه ليكونن أحط من البهيمة، لأن البهيمة تهتدى بما أودعها الله من استعداد، فتؤدي وظائفها أداءً كاملاً صحيحاً. بينما يهمل الإنسان ما أودعه الله من خصائص، ولا ينتفع بها كما تنتفع البهيمة: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، وهكذا يعقب على استهزائهم برسول الله ﷺ ذلك التعقيب الذي يخرج المستهزئين من اطار الآدمية في عنف واحتقار ومهانة"[2].

**سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- أهل الشرك والضلال والباطل يحاولون تبرير مواقفهم والبقاء على ما هم عليه بشتى الوسائل والأساليب، باتهام خصومهم بالضلال وإثارة الشبهات حولهم والتهكم والاستهزاء بهم لإقناع أنفسهم بسلامة مواقفه وأنى لهم ذلك؟، إنهم يسخرون الإعلام المشبوه لترويج الشائعات والأراجيف والافتراءات والأكاذيب ضد الدعاة وأهل الحق، فانظر إلى وسائل الإعلام اليوم كيف يُصور الدعاة

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي بحر العلوم (٢/ ٥٤٠).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٦٦).

والمجاهدين ويُشوه صورتهم أمام العدو والصديق، ولهذا حذر القرآن من سماع أولئك المرجفين والكاذبين المنافقين والاصغاء لهم، يقول ﷻ:﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [التوبة:٤٧] ومن هذه المصطلحات التي دأب الأعداء ووسائل الإعلام على استخدامها واطلاقها على الدعاة والمجاهدين وأهل العلم الصادقين ومن سار على هداهم من المسلمين بغية عزلهم وابعاد الناس منهم وهي: خوارج وتكفيريون، دعاة عنف وارهابيون، اصوليون ومتشددون، فئة ضالة ومتطرفون، متخلفون ومنغلقون.

أما مصطلحات " الشرق الاوسط الجديد " التي يروجها الإعلام المعادي اليوم وينادي بها وهي: الوسطية والاعتدال، التسامح والانفتاح، الحداثة والعصرنة، العلمانية والليبرالية.

٢- إن الذي لا يستخدم ما وهبه الله ﷻ من المزايا والمواهب والإمكانات فيما خلقت له أسوأ حالا من الأنعام التي تنحصر حركاتها على ردود الأفعال الانعكاسية للغرائز المودعة فيها. لذا لا حساب ولا عقوبة على الأنعام في الآخرة، أما الكافر فعليه الحساب والجزاء جراء ما اقترفت يداه من الآثام والموبقات(١).

٣- لم يعبد إله في الأرض كالهوى، فلا دليل من النقل ولا حجة من العقل تؤيد عبادة غير الله ﷻ، وإنما اتباع الهوى، لذا كان متبعو الهوى أضل من البهائم حيث منحوا العقل للتفكير في الحال والمآل، فلم يفكروا إلا في شهواتهم العاجلة الفانية(٢).

٤- اتباع الهوى يصدُّ الإنسان عن الهدى، والكافر يتخذ إلهه هواه(٣).

٥- دلّ قوله ﷻ: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا ﴾ على أمور: هي أنهم سمّوا ذلك إضلالا، وأن الرسول ﷺ بلغ أقصى الجهد والاجتهاد في صرفهم عن عبادة الأوثان، وأنهم لم يعترضوا على دلائل النبوة إلا بمحض الجحود والتقليد، وأن القوم أقروا بقوة حجته ﷺ وكمال عقله، لكنهم طاشوا كالمجانين، فاستهزأوا به، وذلك فعل الجاهل العاجز المتحير في أمره(٤)، والآية فيها دلالة على تناقض المشركين واضطرابهم، فإن في استفهامهم السابق ما يدل على التحقير له، وفى آخر كلامهم ما يدل على قوة حجته، ورجاحة عقله، فذكره تحميق لهم وتجهيل لاستهزائهم بما استعظموه(٥).

---

(١) ينظر: المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان تأليف د. مصطفى مسلم (ص:١٢٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (ص:١٢٦).

(٣) التفسير المنهجي (٤٦/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٤) ينظر: المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان ، تأليف. د مصطفى مسلم (ص:١٢٦).

(٥) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ١٩).

٦- دلّ قوله ﷻ ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ أي حفيظاً وكفيلاً حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد، على أن الهداية والضلالة ليستا موكلتين إلى مشيئة النبي ﷺ، وإنما عليه التبليغ. والآية تسلية له عن تركهم الإيمان وإعراضهم عن دعوته[١].

٧- بيان ما كان الرسول ﷺ يلاقي في سبيل الدعوة من سخرية به واستهزاء[٢].

٨- يتجاهل الإنسان الضال الحق وينكره حتى إذا عاين العذاب عرف ما كان ينكر، وآمن بما كان يكفر[٣].

٩- كل متكبرٍ معاندٌ يستهزئ بصاحب الحق و يوجه له الاتهامات[٤].

١٠- هداية الإنسان ممكنة حتى إذا كفر بعقله وآمن بشهوته وعبد هواه تعذرت هدايته وأصبح أضل من الحيوان وأكثر خسراناً منه[٥].

١١- ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ من خلال أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْوَاجِبَ الَّذِي يَلْزَمُ الْعَمَلُ بِهِ، هُوَ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ أَفْعَالِ الْمُكَلَّفِ مُطَابِقَةً لِمَا أَمَرَهُ بِهِ مَعْبُودُهُ جَلَّ وَعَلَا، فَإِذَا كَانَتْ جَمِيعُ أَفْعَالِهِ تَابِعَةً لِمَا يَهْوَاهُ، فَقَدْ صَرَفَ جَمِيعَ مَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ خَالِقُهُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ إِلَى هَوَاهُ، وَإِذَنْ فَكَوْنُهُ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ[٦].

١٢- بيان أنه ليس مسئولاً عن تحويلهم إلى صراط مستقيم، لأنه ليس وكيلاً عليهم، وإنما هو مبلغ معلم ناصحٌ مرشد، يجتهد في إقناعهم بالحق على مقدار الاستطاعة، ثم إنهم هم المسؤولون مسؤولية شخصية عن اختيار طريق سعادتهم والتحول عن سبيل شقائهم، فإن لم يفعلوا استحقوا المؤاخذة والعقاب. و هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ، جَاءَ مُوَضَّحًا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ ؛ كَقَوْلِهِ ﷻ :﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وَقَوْلِهِ ﷻ :﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾[الزمر: ١٩] ، وَالْآيَاتُ بِمِثْلِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ[٧].

---

(١) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٧٦).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٨).

(٣) ينظر: المرجع السابق. (٣/ ٦١٨).

(٤) التفسير المنهجي (٤٦/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٥) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦١٨).

(٦) ينظر :أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٦/ ٥٩).

(٧) ينظر: المرجع السابق (٦/ ٥٩).

١٣- الحقائق مقلوبةٌ عند الكفار، فهم يعتبرون الهدى ضلالاً، والإصرار على الكفرِ صبراً محموداً[١].

١٤- بيان علتهم النفسية التي تجعلهم يصدون ابتداءً عن الاستجابة لدعوة الرسول الرشيدة، وعن الاستماع الواعي إلى القرآن، وتدبر ما جاء فيه وهو اتخاذهم الهوى إلهاً من دون الله.

١٥- تأكيد أن وظيفة الرسول ﷺ في الذين يقوم بدعوتهم إلى الإسلام وظيفةٌ تبليغيةٌ بيانيةٌ إقناعية، لا وظيفةٌ تحويلية.

١٦- بيان أن الذين كفروا إصراراً وعناداً، إذ عطلوا أسماعهم وأبصارهم وعقولهم عن إدراك الحق، وعن النظر إلى المستقبل البعيد، بسبب كونهم عبيد أهوائهم المرتبطة بزينة الحياة الدنيا، فقد نزلوا عن إنسانيتهم التي خلقت في أحسن تقويم، إلى مستوى المخلوقات البهيمية التي لا تعرف غير شهواتها من الحياة الدنيا.

١٧- إن الإنسان يستخدم قدرات الفكر لديه، وما سخر الله له في الكون، في نشر الفساد في الأرض، وإقامة الحروب وسفك الدماء، وظلم عباد الله، وفرض استعلائه وسلطانه في الأرض بالقوة، وارتكاب شرور لا حد لها، بخلاف الأنعام فإنها متى حققت رغباتها وشهواتها سكنت وهدأت، ولم يكن منها شر ولا ضرر ولا فساد، فثبت أن الإنسان الكافر الذي لا يؤمن بيوم الدين أضل من الأنعام سبيلاً.

١٨- الكفار يعطلون وسائل المعرفة والاهتداء، فلا يسمعون ولا يعقلون، فهم أضلُّ من الأنعام[٢].

---

(١) ينظر: التفسير المنهجي (٤٦/١٣)، تأليف د. صلاح الخالدي.

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤٦/١٣)

# المبحث الثالث

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٤٥-٥٥)

وفيه أربعة مطالب:

**المطلب الأول: بعض الدلائل الكونية على قدرة الله.**

**المطلب الثاني: الاعتبار بآيات الله وتحريم طاعة الكافرين.**

**المطلب الثالث: بعض الآيات الكونية على قدرة الله.**

**المطلب الرابع: التعجيب من حال المشركين مع آيات الله.**

## المطلب الأول

## بعض الدلائل الكونية على قدرة الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٥ – ٤٩]

**أولاً: المناسبة:**

بعد الحكم على القوم في المطلب السابق أن لا سبيل لإفهامهم ولا رجاء في اهتدائهم عن طريق المحاكمات العقلية، جاء في هذا المقطع جملة من الظواهر الكونية المحسوسة، لعلها تثير فيهم التأمل والتدبر، فبيّن الله ﷻ جهل المعرضين عن أدلة التوحيد ومناقشتهم وفساد تفكيرهم في ذلك، ذكر بعضاً من الأدلة الدالة بنحو قاطع حسا وعقلا على وجود الصانع الحكيم، وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادة[1].

ويشتمل هذا المطلب على ثلاثة دلائل كونية دالة على قدرة الله ﷻ ووجوده، وهي:

### الدليل الأول: الظل والشمس

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [ الفرقان : ٤٥ - ٤٦]

- **المفردات اللغوية:**

١-﴿ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾: الظل في اللغة، معناه: الستر، يقال: لا أزال الله عنا ظل فلان، أي: ستره، وظل الشجرة سترها، ويقال لظلمة الليل: ظل؛ لأنها تستر الأشياء[2].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٧٩) (بتصرف)

(٢) ينظر: مفردات الراغب الأصفهاني (ص: ٣١٤).

والمفسرون جميعًا قالوا في معنى الظل هاهنا: إنه الظل من وقت طلوع الفجر، إلى وقت طلوع الشمس فالظل الذي يكون بعد طلوع الفجر، وانبساطه قبل طلوع الشمس، وظهورها على الأرض هو الذي أراد الله بقوله: ﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾[1].

٢- ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾: أي ثابتًا دائمًا لا يزول[2].

٣- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾: يعني على الظل دليلًا تعلوه الشمس فتدفعه حتى تأتي على الظل كله[3].

والمعنى: دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به، أي: اتبعناها إياه[4].

٤- ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي: شيئًا بعد شيء. ثم دللناكم أيها الناس بنسخ الشمس إياه عند طلوعها عليه أنه خلق من خلق ربكم، يوجده إذا شاء، ويفنيه إذا أراد[5].

﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ وذلك أن الظل بعد طلوع الشمس لا يذهب كله دفعة، وإنما يقبض الله ﷻ ذلك الظل قبضًا خفيًا، شيئًا بعد شيء، ويُعقِبُ كلَّ جزء منه يقبضه بجزء من ضياء الشمس حتى يذهب كله[6].

- **التفسير الإجمالي:**

إن البراهين الدالة على وجود الله ﷻ ووحدانيته، هي براهين كونية حسية مشاهدة، لا تحتاج لكثير من التفكر والتأمل والتعقل، وإنما تحتاج للانتباه لها، وفهم مدلولاتها، وما تؤديه من فوائد عظيمة أوجدها الخالق، لنفع الإنسان، والاهتداء بها إلى الله ﷻ، وهي في آيات متوالية أدلة خمسة: وهي مدّ الظل وقبضه، وإيجاد الليل والنهار، وإرسال الرياح لإنزال المطر، أذكر هنا الدليل الأول على قدرة الله ﷻ ووجوده في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

يعني ألم تنظر أيها الرسول وكل سامع إلى صنع ربك الذي يدل على كمال قدرته ومنتهى رحمته كيف بسط الظل، يتفيأ به الناس طوال النهار، وينعمون فيه بالوقاية من شدة حر الشمس، من طلوع الشمس إلى غروبها. ولو شاء لجعله ثابتاً دائماً على حال واحدة لا يتغير طولاً وقصراً، وإنما جعله متفاوتاً في ساعات النهار والفصول المختلفة، وفي ذلك فوائد كثيرة للإنسان والنبات والحيوان،

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن (ص:٣١٤)، وتفسير السمرقندي (٢/ ٤٦٢) ، وتفسير الثعلبي (٨/ ٩٩).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ٢٦٨) ، ومعاني القرآن للزجاج (٤/ ٧٠).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل ( ص:٤٦)

(٤) نظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢/ ٢٧١) ، واللسان (١١/ ٤٢٤).

(٥) ينظر: تفسير جامع البيان للطبري (١٩/١٩).

(٦) ينظر: تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة (ص:٣١٥).

ومن فوائده: اتخاذه مقياساً للزمن، حتى إن الفقهاء جعلوه علامة على بعض أوقات الصلاة، كالظهر عند الزوال، أي تحول الظل نحو المشرق وميل الشمس نحو المغرب، والعصر إذا بلغ ظل كل شيء مثله في رأي الجمهور، وعند أبي حنيفة: إذا بلغ ظل كل شيء مثليه.

وهذا على تفسير أَلَمْ تَرَ برؤية العين، والأولى في رأي الرازي حمله على رؤية القلب، والمعنى: ألم تعلم، لأن الظل من المبصرات ولكن تأثير قدرة الله في تمديده غير مرئي﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾أي ثم جعلنا طلوع الشمس علامة على الظل، فلولا طلوعها لما عرف الظل فإن كل شيء يتميز بضده. وهذا يعني أن الله ﷻ خلق الظل أولاً، ثم جعل الشمس دليلاً عليه. ثم أزلنا الظل وحولناه وغيرنا اتجاهه بضوء الشمس قليلاً قليلاً وشيئاً فشيئاً على مهل غير فجأة بحسب سير الشمس وارتفاعها، حتى لا يبقى على الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة، وقد أظلت الشمس ما فوقه. وفي إيجاد الظل وتغيره بعد شروق الشمس إلى غروبها، وانتقاله من حال إلى حال، وقبضه وبسطه، والتصرف فيه على وفق الحكمة دليل واضح على وجود الإله القادر، الخبير البصير، العليم الحكيم، الرؤوف الرحيم[1].

## الدليل الثاني: الليل والنهار

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٧]

- **المفردات اللغوية :**

١- ﴿ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾: قال ابن قتيبة[2] قولين في معنى: ﴿لِبَاسًا﴾ سترًا وحجابًا لأبصاركم، والثاني: سكنًا[3]،.

و قال أهل العربية والمعاني: جعل الليل لباسًا؛ لأن ظلمته تلبس كل شخص وتغشاه حتى يمنع من إدراكه، وهو مشتمل عليكم وعلى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابسه[4]،

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٨٠)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٣٧)، وتفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٤).

(٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي. عالم وفقيه وأديب وناقد ولغوي، موسوعيُّ المعرفة، ويعد من أعلام القرن الثالث للهجرة. ولد بالكوفة، ثم انتقل إلى بغداد، فأخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه واللغة والنحو والكلام والأدب والتاريخ، اختير قاضيًا لمدينة الدينور، ومن ثم لقب بالدينوري. أشهر قلمه وسخره لإعلاء السنة وتفنيد حجج خصومها، وبذلك استحق أن يقال: إنه في أهل السنة بمنزلة الجاحظ عند المعتزلة. توفي(٢١٣هـ) ومن أشهر مؤلفاته: تأويل مشكل القرآن؛ تأويل مختلف الحديث؛ دلالة النبوة؛ إعراب القرآن؛ تفسير غريب القرآن. عيون الأخبار. ينظر: "الأعلام" للزركلي( ٣/٤١٧).

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، (ص:١٤٤).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/٤٤٤).

٢- ﴿وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا﴾: السبات : النوم شِبه غشية، يقال: سبت المريض، فهو مسبوت[١]، وقيل: السبات أن يقطع عن الحركة والروح في بدنه ، أي: جعلنا نومكم راحة لكم[٢].

٣- ﴿ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ أي: ينتشرون فيه لابتغاء الرزق[٣]، والنشور: **الانبساط في التصرف، ومنه: نشور الميت، وهو: حياته وحركته وتصرفه بعد** همودة. وحَسُن ذكر النشور هاهنا؛ لأن النائم بالليل يكون بانقطاعه عن العمل كالميت، فإذا استيقظ بالنهار وأخذ في أعماله كان النهار نشورًا له من وفاة النوم[٤].

- **اللطائف البلاغية:**

١- التشبيه البليغ ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾ أي كاللباس الساتر الذي يغطي البدن ويستره حذف منه الأداة ووجه الشبه فأصبح بليغاً.[٥] .

٢- المقابلة اللطيفة بين الليل والنهار والنوم والانتشار والتقلب في المعاش﴿ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾[٦].

- **التفسير الإجمالي:**

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾، إن الله جعل ظلام الليل ساتراً كاللباس، كما قال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١]، وجعل النوم كالموت قاطعاً للحركة، توفيراً لراحة الأبدان والحواس والأعضاء، بعد إجهاد النهار، وعناء العمل، فبالنوم تسكن الحركات وتستريح الأعصاب والأعضاء والبدن والروح معاً، وجعل ﷻ النهار مجالا للانتشار في الأرض، ينتشر فيه الناس لابتغاء الرزق وغيره، ويتوزعون فيه لمعايشهم ومكاسبهم.

وكما أن النوم يشبه الموت، كما قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾[الزمر: ٤٢]، فإن الانتشار واليقظة يشبه البعث، قال لقمان لابنه: كما تنام فتوقظ، كذلك تموت فتنشر.

ونظير الآية قوله: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣]. وفي الليل وسكونه، والنوم وراحته، والنهار وحركته، دليل واضح على وجود الإله الخالق القادر

---

(١) ينظر: كتاب العين للفراهيدي (٢٣٩/٧) ، وتهذيب اللغة للأزهري (٣٨٧/١٢)

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٢٧٢/٥).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٦٤)، وتفسير مجاهد (٤٥٤/٢).

(٤) ينظر: تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري (٢١/١٩ )

(٥) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٥/١٩)، والتفسير المنير للزحيلي (٧٧/١٩)، وصفوة التفاسير للصابوني (٣٣٧/٢).

(٨) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٧).

المتصرف في الكون، ففي ضوء النهار الحياة والبهجة والحركة والعمل، وفي الليل الهدوء والسكون وإعداد النفس للكد والكدح والجهاد، والله ﷻ جعل لكل ظرف ما يناسبه تماما ويحقق المقصود على أكمل وجه. وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق، فيها إظهار لنعمته على خلقه لأن في ستر الليل فوائد دينية ودنيوية، وفي تشبيه النوم واليقظة بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر(١).

## الدليل الثالث: الرياح والأمطار

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ۝٤٨ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ۝٤٩﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٤٩]

- **المفردات اللغوية:**

١- ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: " سميت الريح ريحًا؛ لأن الغالب عليها في هبوبها المجيء بالرَّوح والرَّاحة، وانقطاعُ هبوبها يُكسِبُ الكربَ والغَمّ، فهي مأخوذة من الروح. "(٢). ومنه الحديث: « **من استُرعي رعيةً فلم يَحُطهم بنصيحة، لم يُرِحْ رائحةَ الجنة، وإن ريحَها لتوجد من مسيرة مائة عام**» (٣).

قال ابن مندة الفرق بين الريح والرياح ومن قال : "إن الله يرسل الريح للنقمة ، والرياح للرحمة ، ومن قال : معنى الرياح والريح واحد . قال الله عز وجل : فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال تعالى : فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن ﷺ يدعو إذا رأى الريح : « **اللهم اجعلها رياحا ، ولا تجعلها ريحا** » . وقال أبي بن كعب ﷺ: ما كان في القرآن الرياح فهي الرحمة ، والريح العذاب التوحيد" (٤).

٢- ﴿بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ﴾: جمع بشيرًا على بُشْر من قوله:﴿يُرۡسِلَ ٱلرِّيَٰحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ [الروم: ٤٦] أي: تبشر بالمطر والرحمة(٥).

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٨١/١٩)، وزهرة التفاسير (٥٢٩٠/١٠)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (٢٠٥/١٠).

(٢) تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٢٠١/٤).

(٣) الحديث أصله في الصحيحين، رواه البخاري (٧١٥٠) كتاب الأحكام، باب٨: من استرعى رعية فلم ينصح، ٢٦١٤/٦، حديث رقم(٦٧٣١). ومسلم (١٤٢) في الإيمان، باب ٦٣: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار،١٢٥/١ حديث رقم( ٢٢٧) وليس في ألفاظهما: "لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة مائة عام"، ولفظ (لم يرح) في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة الأربعين عامًا" رواه البخاري (٣١٦٦) كتاب الجزية، باب: إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، (٦٩١٤) كتاب: الديات، باب: إثم من قتل ذميًّا بغير جرم.

(٤) التوحيد لابن مندة . معنون (ص: ٦٦).

(٥) ينظر: معاني الفراء (١/ ٣٨١).

٣- ﴿مَآءً طَهُورًا﴾: قال الأزهري[١]: الطَّهور في اللغة هو: الطاهر المُطِّهر، والطَّهور: ما يتطهر به، كالوَضوء: ما يتوضأ به[٢].

والمفسرون يقولون: من السحاب، وأما الطهور: كل ما نزل من السماء، أو خرج من بحر، أو أذيب من ثلج، أو بَرَدٍ، فهو طهور[٣]. **قال النبي ﷺ في البحر: «هو الطهور ماؤه »** [٤].

٤- ﴿لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي:" لنحيي بهذا المطر أرضاً ميتةً لا زرع فيها ولا نبات "[٥].

٥- ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ أي: "ونُسْقي ذلك الماء مِن خَلْقِنا كثيرًا من الأنعام والناس"[٦].

- **اللطائف البلاغية:**

١- ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾: استعارة بديعية، استعار اليدين لما هو أمام الشيء وقدّامه.

٢- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: التفات من الغيبة ﴿أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾ إلى التكلم للتعظيم والامتنان[٧]. وَضَمِيرُ وَضَمِيرُ أَنْزَلْنا الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ لِأَنَّ التَّكَلُّمَ أَلْيَقُ بِمَقَامِ الِامْتِنَانِ[٨].

٣- تَقْدِيمُ ذِكْرُ الْأَنْعَامِ عَلَى الْأَنَاسِيِّ اقْتَضَاهُ نَسْجُ الْكَلَامِ عَلَى طَرِيقَةِ الْأَحْكَامِ فِي تَعْقِيبِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ وَلَوْ قُدِّمَ ذِكْرُ أَناسِيَّ لَتَفَكَّكَ النَّظْمُ، وَلَمْ يُقَدَّمْ ذِكْرُ النَّاسِ فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [ النازعات: ٣٣] فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ لِانْتِفَاءِ الدَّاعِي لِلتَّقْدِيمِ فَجَاءَ عَلَى أَصْلِ التَّرْتِيبِ[٩].

---

(١) هو محمد بن الأزهر الهروي أبو منصور أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته بهراة ، نسبته إلى جده عني بالفقه فاشتهر به أولا، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها، وقصد القبائل، وتوسع في أخبارهم، وقع في إسار القرامطة، ينظر: الأعلام للزركلي (٥/ ٥١١).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٧٢/٦).

(٣) ينظر: معاني الفراء (١/ ٣٨١).

(٤) المستدرك على الصحيحين كتاب الطهارة باب٣. ٢٣٧/١ حديث رقم (٤٩١)، والمجتبى من السنن كتاب الطهارة باب ٤٧ باب ماء البحر ٥٠/١حديث رقم (٥٩) وحكم عليه الالباني بانه صحيح.

(٥) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٥).

(٦) التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير (١/ ٣٦٤).

(٧) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٣٣٧/٢)، والتفسير المنير للزحيلي (٧٧/١٩).

(٨) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٧/١٩).

(٩) ينظر: التحرير والتنوير (٤٩/١٩).

قال ابن عاشور: "وتنكير قوله ﷻ: ﴿بَلْدَةً﴾ يدل على أن لماء المطر خاصية الإحياء لكل أرض؛ لأنه لخلوه من الجراثيم، ومن بعض الأجزاء المعدنية، والترابية، التي تشتمل عليها مياه العيون، ومياه الأنهار، والأودية، كان صالحًا بكل أرض، وبكل نبات، على اختلاف طباع الأرضين، والمنابت"[١].

وقدم الأنعام وأخر الإنسان عن النبات والحيوان لشدة حاجة الحيوان وكونه عاجزاً عن التعبير عن مراده، أما الإنسان فيتفنن في استخراج الماء بوسائل عديدة، ولأن الناس إذا ظفروا بما يسقي أرضهم ومواشيهم، فقد ظفروا أيضاً بسقياهم، فقدم ما هو سبب حياتهم ومعيشتهم على سقيهم[٢].

- **القراءات:**

– اختلف القراء في ﴿الرِّيَحَ﴾ فقرأ بعضهم: بالجمع في مواضع، وبالتوحيد في مواضع ، منهم ابن كثير حيث قرأ بِصِيغَةِ الْإِفْرَادِ عَلَى مَعْنَى الْجِنْسِ، وَالْقِرَاءَتَانِ مُتَّحِدَتَانِ فِي الْمَعْنَى، وَلَكِنْ غَلَبَ جَمْعُ الرِّيحِ فِي رِيحِ الْخَيْرِ وَإِفْرَادُ الرِّيحِ فِي رِيحِ الْعَذَابِ [٣]، وهم مختلفون فيها.

– وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿نُشُرًا﴾: بِنُونٍ فِي أَوَّلِهِ وَبِضَمَّتَيْنِ جَمْعَ نَشُورٍ كَرَسُولٍ وَرُسُلٍ. وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِضَمٍّ فَسُكُونٍ عَلَى تَخْفِيفِ الْحَرَكَةِ. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ وَخَلَفٌ بِفَتْحِ النُّونِ وَسُكُونِ الشِّينِ عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ، وَكُلُّهَا مِنَ النَّشْرِ وَهُوَ الْبَسْطُ كَمَا يُنْشَرُ الثَّوْبُ الْمَطْوِيُّ لِأَنَّ الرِّيَاحَ تَنْشُرُ السَّحَابَ. [٤]

– وَقَرَأَ عَاصِمٌ بِبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ وَسُكُونِ الشِّينِ جَمْعَ بَشُورٍ مِنَ التَّبْشِيرِ لِأَنَّهَا تُبَشِّرُ بِالْمَطَرِ [٥].

– ﴿مَّيْتًا﴾: شدد أبو جعفر المدني الياء مكسورة، وأسكنها غيره. حيث قرأ أبو جعفر﴿مَّيِّتًا﴾ بتشديد الياء. وقرأ جمهور القراء العشرة ﴿مَّيْتًا﴾ بإسكان الياء والقراءتان وجهان عربيان متكاملتان[٦].

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٤٨).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/٨٢).

(٣) فبهذه الآية قرأ حمزة والكسائي وخلف بإسكان الياء وحذف الألف بعدها، على الإفراد، وغيرهم بفتح الياء وألف بعدها على الجمع. ينظر: السبعة (ص:١٧٣) ، والنشر في القراءات العشر (٢/٢٢٣) ، والحجة (٢/٢٤٨-٢٥١).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/٤٦-٤٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق (١٩/٤٦-٤٧).

(٦) ينظر: "البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة" لعبد الفتاح القاضي (ص:٢٢٧).

- **التفسير الإجمالي:**

إن مِنْ قُدْرَة الله ﷻ، أَنَّهُ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ، أَيْ بِمَجِيءِ السَّحَابِ بَعْدَهَا. والرياح أنواع، فَمِنْهَا مَا يُثِيرُ السَّحَابَ، وَمِنْهَا مَا يَحْمِلُهُ، وَمِنْهَا مَا يَسُوقُهُ، وَمِنْهَا مَا يَكُونُ بَيْنَ يدي السحاب مبشراً، وَمِنْهَا مَا يَلْقَحُ السَّحَابَ لِيُمْطِرَ[1].

فهو وحده الذي رحم عباده وأدر عليهم رزقه بأن أرسل الرياح مبشرات بين يدي رحمته وهو المطر فثار بها السحاب وتألف وصار كسفاً وألقحته وأدرته بإذن آمرها والمتصرف فيها ليقع استبشار العباد بالمطر قبل نزوله وليستعدوا له قبل أن يفاجئهم دفعة واحدة.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ يطهر من الحدث والخبث ويطهر من الغش والأدناس، وفيه بركة من بركته أنه أنزله ليحيي به بلدة ميتاً فتختلف أصناف النوابت والأشجار فيها مما يأكل الناس والأنعام. ﴿وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا﴾ أي: نسقيكموه أنتم وأنعامكم، أليس الذي أرسل الرياح المبشرات وجعلها في عملها متنوعات، وأنزل من السماء ماء طهورا مباركا فيه رزق العباد ورزق بهائمهم، هو الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره[2].

- **إشارات علمية تضمنتها الآيات :**

١- القبض اليسير للظل هو إشارة إلى اعتدال الكرة الأرضية عن محورها المائل بدرجة قدرها الفلكيون بـ{٢٣.٥} لينشأ اختلاف الفصول، واختلاف الليل والنهار طولا وقصرا في الشتاء والصيف، وتساويهما في الخريف والربيع. يقول عز من قائل﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص:٧١-٧٣][3].

٢- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٤٧]، هذه الظواهر الأربع آثار للظل والشمس ، فإذا امتد الظل فغطى جانبا من الكرة الأرضية جاء الليل فغشي﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾[الليل :١] والساعة البيولوجية لدى الإنسان موزونة على ذلك فيدب الفتور والسكون إلى أنحاء الجسم فتهدأ الأعصاب وترتخي العضلات ويحدث النوم الموت الأصغر كما عبر عنه القرآن بقوله: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ

---

(١) ينظر: مختصر تفسير ابن كثير (٢/٦٣٤).

(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٥٨٤).

(٣) ينظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن/للدكتور منصور حسب النبي (ص:١٩٠) ، ط دار الفكر العربي.

﴿ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٤٢﴾ [الزمر:٤٢]، ونوم الليل يحقق الراحة للجسم أكثر من نوم النهار في أي وقت آخر، وهو من التكامل في نظام الكون الذي تشكل حياة الإنسان ونظام عمله جزءا منه(١) وكان من دعاء رسول الله ﷺ بعد قيامه من النوم: « **الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**» (٢).

٣- إن ظهور السحب في الأفق وملامسة الرياح الرطبة للوجه، تدخل البشر والسرور إلى نفوس الناس وبخاصة من ترتبط حياته بالزراعة والماشية، لأن في ذلك بشائر المطر والخصب والفناء. وعلاقة الرياح في تكوين السحب والتأليف بينها وسوقها إلى مساقط المطر علاقة وطيدة وأساسية، وقد أشار القرآن الكريم إلى جملة من هذه الحقائق وفي آيات عديدة منها:

- قوله ﷻ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ ٤٨﴾ [الروم: ٤٨].

- وقوله ﷻ ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِي سَحَابٗا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٣﴾ [النور: ٤٣].

- وقوله جل جلاله ﴿وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

- ويقول تبارك اسمه ﴿وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

إن هذه الحقائق في الرياح والسحب والمطر وتكييف حرارة الأجواء لم يصل إليها الإنسان إلا بعد تطور علم الأرصاد واستخدام الأجهزة الحديثة في هذه الدراسات، يقول المختصون: عندما يتبخر الماء يمتص كمية من الحرارة من الجو المحيط في المناطق المدارية، فيعمل على تلطيف جوها، وعندما يتكاثف بخار الماء ويتحول إلى سحب وأمطار في المناطق الباردة، فإنه يعيد إلى الجو نفس الطاقة الحرارية التي اكتسبها عند تبخره من قبل وبهذا يتم رفع درجة حرارة المناطق الباردة إلى حد ما، وكأن هذه الدورة تكييف إلهي مذهل جبار ولا بد من استمرارها من أجل عدالة التوزيع الحراري على سطح الأرض.

يقول عز من قائل ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ٤٨ لِّنُحۡيِيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ٤٩﴾ [الفرقان: ٤٨ -٤٩ ] ويقول جل شأنه

---

(١) ينظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن/للدكتور منصور حسب النبي (ص:١٩٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات باب ٧ ما يقول إذا نام.٥/٢٣٢٦،حديث رقم (٥٩٥٣)، ومسلم، ٤/٢٠٨٣، حديث رقم (٢٧١١) ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب١٧ ما يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ الْمَضْجَعِ والترمذي كتاب الدعوات ٥/٤٤٩ ، رقم: (٣٤١٧ ).

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] من الحقائق العلمية المسلم بها: حيث يوجد الماء ابحث عن الحياة. وخاصية الطهارة والنظافة في الماء خاصية لا يشاركه شيء آخر فيها، فطهارة الأجسام ونظافة الهواء والأجواء والسهول والبطاح والجبال والوديان لا يكون إلا بالماء الطهور. وإحياء البلد الميت، وسقيا البلاد والعباد والأنعام لا يكون إلا بالماء العذب الفرات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ [ فاطر: ٩][1].

**ثانياً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- من نعم الله العظمى بث دلائل قدرته في الكون، ولفت النظر إليها، ليتدبرها العقلاء ويؤمنون بالخالق عن قناعة، فيقومون بتوجيه العبادة والإخلاص فيها له وحده لا شريك له، و **قد أشارت الآيات إلى ذلك من خلال:**

* ورود الحقائق الكونية في آيات القرآن الكريم دليل باهر على مصدر القرآن الكريم، وأنه تنزيل من الذي يعلم السر في السماوات والأرض، لأن علم البشر على الرغم من تقدمه عاجز عن معرفة الحقائق التي وردت فيه، فكيف يزعم الجاحدون المعاندون أن هذا القرآن افتراه محمد وأعانه عليه قوم آخرون.

* خلق الظل المقابل للشمس وتمديده طوال النهار وانعدامه عند الظهيرة ما عدا سقف البيت والشجر، حكى أبو عبيدة عن رؤية: كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء وظل، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل. والظل نعمة عظمي للأحياء والعقلاء في كل مكان، لا سيما في البلاد الحارة، ففيه الراحة والهدوء، وتوقي الحر، أو الوقاية من ضربات الشمس الحادّة، كما قال ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴾ [النحل:٤٨][2].

* الرياح مبشّرات بهطول المطر، تقود السحب من مكان إلى آخر، والأمطار الهاطلة حياة الأبدان والنباتات والحيوانات، وهي ماء طهور أي ما يتطهر به، والمراد أنه مطهر.

* في الليل والنهار قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ أي ساتراً يستركم بظلامه كما تستركم الثياب ﴿ وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ﴾ أي وجعل النوم قطعاً للعمل فتحصل به راحة الأبدان ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ أي حياة بعد وفاة النوم فيتنشر فيه الناس لطلب الرزق بالعمل بالأسباب والسنن التي وضع الله ﷻ لذلك.

---

(١) ينظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن/للدكتور منصور حسب النبي (ص:١٩٠) ط دار الفكر العربي.

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٨٥).

* إنزال الماء الطهور العذب الفرات للتطهير به وشرب الحيوان والإنسان قال ﷻ ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِۦَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾ أي إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾ أي أناساً كثيرين وهم الآدميون ففي خلق الماء وإنزاله وإيجاد حاجة في الحيوان والإنسان إليه ثم هدايتهم لتناوله وشربه كل هذا آيات الربوبية الموجبة لتوحيد الله ﷻ.

* المؤمن يشكر الله على نعمة النوم و نعمة الاستيقاظ والسعي، فهو شاكرٌ ليلاً و نهاراً[1]، وأن هذه التي منَّ الله بها علينا فكانت وسيلة لهدايتنا إليه ﷻ تستوجب علينا شكره ليلاً ونهاراً.

٢- المنهج القرآني في الاستدلال على الغيبيات البدء بالمحسوسات التي لها أثر في حياة الناس ومصالحهم ثم الترقي بهم للاستدلال من خلالها إلى خالقها ومدبر شؤونها ومسخرها لمصالح العباد وقدرته على البعث بعد الموت للحساب والجزاء ، لذا فإن تدبر المشاهد المحسوسة في الكون سبيل للتفكير فيما وراء المحسوسات من عالم الغيب، فإن المحسوسات طريق إلى المعقولات، وهي طريق للإيمان بعالم الغيب.

٣- القرآن الكريم كتاب هداية، والإشارات التي وردت في آياته تنسجم مع هدف إخراج الإنسان من متاهات الضلال وظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وتنبيه الغافلين إلى حكمة الله في مخلوقاته والتفكير في الحال والمآل.

**٤- أشارت الآيات إلى قواعد عامة للتأسيس لكثيرٍ من الأحكام الفقهية:**

* الماء الطهور وهو الباقي على أصل خلقته فلم يخالطه شيء يغير طعمه أو لونه أو ريحه. وبه ترفع الأحداث وتغسل النجاسات، ويحرم منعه عمن احتاج إليه من شرب أو طهارة[2].

* أجمعت الأمة على أن وصف ﴿طَهُورًا ﴾ يختص بالماء، ولا يتعدى إلى سائر المائعات، وهي طاهرة ، ويستنبط من هذه الآية حكماً فقهياً. والمياه المنزلة من السماء والمودعة في الأرض طاهرة مطهرة، على اختلاف ألوانها وطعومها وأرياحها حتى يخالطها غيرها. والمخالط للماء ثلاثة أنواع: نوع يوافقه في صفتيه جميعاً وهو التراب طاهر مطهر، ونوع يوافقه في إحدى صفتيه وهي الطهارة، فإذا خالطه فغيّره سلبه صلاحية التطهير وهو ماء الورد وسائر المائعات الطاهرات، ونوع يخالفه في الصفتين جميعاً، وهو النجس.

* بيان فائدة الظل إذ به تعرف ساعات النهار وبه يعرف وقت صلاة الظهر والعصر فوقت الظهر من بداية الفيء، أي زيادة الظل بعد توقفه من النقصان عند وقوف الشمس في كبد السماء، ووقت

---

(١) التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣ /٥٢).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٦٢١/٣).

العصر من زيادة الظل مثله بمعنى إذا دخل الظهر والظل أربعة أقدام أو ثلاثة أو أقل أو أكثر فإذا زاد مثله دخل وقت العصر فإن زالت الشمس على أربعة أقدام فالعصر يدخل عندما يكون الظل ثمانية أقدام وإن زالت الشمس على ثلاثة أقدام فالعصر على ستة أقدام وهكذا.

* ذهب الجمهور إلى أن الطهور هو الطاهر المُطهِّر ويؤيد ذلك كونه بناء مبالغة. وروي عن أبي حنيفة أنه قال: الطهور هو الطاهر، واستدل لذلك بقوله ﷻ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] يعني طاهراً[١]. وعلى كل حال فقد ورد الشرع بأن الماء في نفسه طاهر ومطهر لغيره

٥- إرسال الرياح للقاح السحب للمطار لإحياء الأرض بعد موتها بالقحط والجدب قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾، هو لا غيره من الآلهة الباطلة ﴿ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾أي مبشرات بالمطر متقدمة عليه وهو الرحمة وهي بين يديه فمن يفعل هذا غير الله؟ اللهم إنه لا أحد.

٦- تأمُّلُ حركة الظلِ اللطيفةِ يُقوي الإيمانَ بالله ﷻ ويزيدُهُ[٢].

٧- يستبشر المؤمن بالسحاب الماطر، و يجعل إنزال الغيث رحمةً و فضلاً من الله[٣].

---

(١) ينظر: نيل الأوطار للشوكاني (١/ ١٤)

(٢) التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣ /٥٢).

(٣) المرجع السابق (١٣ /٥٢).

## المطلب الثاني

## الاعتبار بآيات الله وتحريم طاعة الكافرين

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٠ – ٥٢]

**أولاً: المناسبة:**

لما ذكر الله ﷻ بعضاً من الدلائل الدالة على وجوده وتوحيده وجميل صنعه، وإحاطة علمه، وكمال قدرته، جاءت هذه الآيات، لكي يعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيشكروا، و مع ذلك أبي أكثر الناس إلا كفوراً ، لفساد أخلاقهم وطبائعهم[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾: معنى التَّصْرِيف في اللغة: صَرْفُ الشيء من جهة إلى جهة، نحو تَصْرِيف الرِّيَاحِ، وتصريف الأمور والآيات[٢]، وقيل: ﴿صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: بيناه وهو قول ابن عباس. وفسرت هذه الآية هنا تفسيرًا آخر؛ أي: صرفنا الماء المنزل من السماء سقيًا لهم، وغيثًا، وهو: المطر، مرة لهذه البلدة، ومرة لبلدة أخرى[٣].

٢- ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: قال الكسائي: الكُفور برفع الكاف: الكفر، والكَفور بفتح الكاف: الكافر، والشُّكور بضم الشين: الشكر، والشَّكور بفتح الشين: الشاكر وهو المؤمن؛ فيكون تأويله: فأبى أكثر الناس إلا كفرا باللَّه وتكذيبا لنعمه؛ [٤]ولقد صرفنا القرآن، يعني: أمثاله، ومواعظه بينهم ليتعظوا فأبى أكثر الناس إلا جحودًا بالقرآن[٥].

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾. أي: لو شئنا لبعثنا في زمانك في كل قرية رسولًا ينذرهم، ولكن بعثتك إلى القرى كلها رسولًا، اختصصتك بها[٦].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٤) (بتصرف)

(٢) ينظر: "المحيط في اللغة" لأبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (٨/ ١٢٨).

(٣) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٦٤)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص:٣١٤).

(٤) ينظر: تفسير الماتريدي تأويلات أهل السنة (٨/ ٣٢).

(٥) ينظر: تفسير ابن عطية (٧٨١/٢) ، و تفسير ابن كثير (١١٥/٦) ، واختاره الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان (٣٣٥/٦).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٦٤)

٣- ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ أي: لا تطع الكفار فيما يدعونك إليه من الكفّ عن آلهتهم، وجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً شديداً لا يصاحبه فتور، والجهاد الكبير المذكور في الآية هو المصحوب بالغلظة عليهم(١).

**ثالثاً: القراءات:**

١- قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ بإسكان الذال وتخفيفها وتخفيف الكاف وضمها، من ذكر يذكر وهو من الذكر ضد النسيان.

٢- قرأ الباقون ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾ بفتح الذال مع التشديد وفتح الكاف مع تشديدها، من التذكر والتفكر والاتعاظ، فمعناه: ليذكروا موضع النعمة به فيشكروه(٢).

**رابعاً: النحو والإعراب :**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ٥٠﴾ [الفرقان : ٥٠] ذهب جمهور المفسرين(٣)، إلى إعادة الضمير في ﴿صَرَّفۡنَٰهُ﴾ إلى الماء، ومعنى تصريف الماء جريانه في مسالك الأرض ووديانه، حيث تتحقق مصالح العباد بها بالإفادة منه في مجاري الأنهار وينابيعه من العيون والآبار، ومواطن تجمعه في البحيرات والغدران.

وذهب قلة من المفسرين(٤) إلى إعادة الضمير في﴿صَرَّفۡنَٰهُ﴾ إلى القرآن، وإن لم يتقدم له ذكر، ويعضد هذا القول سياق الآية حيث جاء بعدها﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾ كما يرجح هذا القول الاستعمال القرآني لكلمة (صرف) المشددة المسندة إلى الله ﷻ، والتي تأتي بمعنى التحويل من حال إلى حال أو من وجه إلى وجه آخر(٥)، كما في قوله ﷻ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤١] وقوله ﷻ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ [طه: ١١٣] وغيرها الكثير.

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٦)

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢ /٢٣٠)، وحجة القراءات لعبد الرحمن بن زنجلة (ص:٥١١).

(٣) ينظر: تفسيرها في جامع البيان للطبري (١٩/٢٨٠) ، و تفسير ابن كثير(٦/١١٥) ، و تفسير البغوي (٣/٤٥١) ، وتفسير النيسابوري (٥/٢٤٦) ، وتفسير الخازن (٣/٣١٦).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/٢٨٥).

(٥) ينظر: مفردات الراغب للأصفهاني (ص:٤١٣) ، وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي (ص:٢٩٢) ، مادة صرّف.

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ﴾ أي ولقد صرفنا المطر بين الناس على أوضاع شتى، فلا تمر ساعة في ليل ولا نهار إلا كان فيه دليل على آثار قدرتنا، فننزله على قوم ونحجبه عن آخرين، فنحن صرفناه بينهم كما صرفنا الليل والنهار، فالشمس تجرى من عند قوم وتذهب إلى آخرين: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[النمل:٨٨].

﴿لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي صرّفناه بينهم، ليعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيشكروا، ولكن أكثر الناس أبوا إلا جحوداً للنعمة، وكفراناً بخالقها. ثم بين منته على رسوله وأنه كلفه الأحمال الثقال من أعباء النبوة ليزداد شرفاً ويعظم قدراً فقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ أي ولو أردنا أن نرسل رسولاً إلى أهل كل قرية لفعلنا وخفّت عنك أعباء النبوة، ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك ثقل النذارة، لتستوجب بصبرك ما أعددناه لك من الكرامة والمنزلة الرفيعة، والخلاصة- إنّا عظّمناك بهذا الأمر، وجعلناك مستقلا بأعبائه، لتحوز ما ادّخر لك من عظيم جزائه، وكبير مثوبته فعليك بالمجاهدة والمثابرة، ولا عليك من تلقّيهم الدعوة بالإعراض.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ أي فلا تطع الكافرين فيما يدعونك إليه من موافقتهم على مذاهبهم وآرائهم، وجاهدهم بالشدة والعنف، لا بالملاينة والمداراة لتكسب ودّهم ومحبتهم، وعظهم بما جاء به القرآن من المواعظ والزواجر، وذكّرهم بأحوال الأمم المكذبة لرسلها، وذلك منتهى الجهاد الذي لا يقادر قدره، ونحو الآية قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم:٩].

والخلاصة- إنك مبعوث إلى الناس كافة، لتنذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم، فاجتهد في دعوتك، ولا تتوان فيها، ولا تحفل بوعيدهم، فإن الله ناصرك عليهم ومظهر دينك على الدين كله ولو كره المشركون[1].

**سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- لم يذعن المشركون لنداء القرآن العظيم بالإيمان بوحدانية الله، على الرغم من الأدلة الكونية الكثيرة المتقدمة في آيات سابقة، الدالة على وجود الله وقدرته وتوحيده، وإنما بقوا في مستنقع الوثنية، وظلوا يعبدون الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، فهم لا يلتفتون إلى آيات الله، حتى بعد أنْ تقدَّم العلم وتقدَّمتْ الحضارة الإنسانية، ووقف الناس على كثير من الآيات.

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ٢٦) و التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٠٨-٢٠٩)، بتصرف.

٢- أمر الله نبيه أن يجاهد الكفار بالقرآن والسيف والغلظة وإقامة الحجة والمواعظ الحسنة والدعاء إلى الله ، فالقرآنُ كتابُ جهادٍ ، و المؤمن يجاهد به الكفار تنفيذاً لأمرِ الله[١].

٣- الإشارة إلى الحكمة في عدم تعدد الرسل في زمن البعثة المحمدية، والاكتفاء بالرسول محمد ﷺ.[٢]

٤- حرمة طاعة الكافرين في أمور الدين والشرع.

٥- بيان فضله ﷻ في إنزال القرآن على تفسير التصريف بتصريف آيات القرآن وترداد الحجج والبينات فيه، وفي بعثة النبي ﷺ وسلم لجميع العالم في الشرق والغرب، فهاتان هما النعمتان العظيمتان على بني الإنسان، وعلى التخصيص المسلمين[٣]. وتفيد أقوال معظم المفسرين في تأويل الآية الأولى أنها من قبيل تسلية النبي ﷺ وتثبيته في مهمته والتنويه بقدره، فالله لو شاء لأرسل إلى كل قرية ومدينة رسولاً فخفّف عنه العبء وكفاه مؤونة الجهد العظيم الذي حمّله إيّاه لإبلاغ الرسالة إلى جميع العالم، ولكنه اختصّه بذلك لعظم منزلته ورفعة شأنه عنده، وقالوا في تأويل الآية الثانية ما يفيد أنها استمرار لما في الآية الأولى من مقصد حيث تهيب بالنبي ﷺ وقد حمّله الله الرسالة العظمى العامة أن يجاهد بالقرآن جهاداً كبيراً متواصلاً وألّا يطيع الكافرين أو يتهاون معهم. وهذا التأويل يجعل الصلة قائمة بين هذه الآيات والآيات السابقة لها كما هو المتبادر[٤].

---

(١) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣ /٥٢).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/٦٢٤).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/٨٩).

(٤) ينظر: التفسير الحديث لمحمد دروزة (٣/٩٠).

## المطلب الثالث

## بعض الآيات الكونية على قدرة الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٥٣ – ٥٤ ]

**أولاً: المناسبة:**

عود إلى الاستدلال على تفرده ﷻ بالخلق. جمعت هذه الآيات استدلالاً وتمثيلاً وتثبيتاً ووعداً فصريحها استدلال على شيء عظيم من آثار القدرة الإلهية وهو التقاء الأنهار والأبحر، وفي ضمنها تمثيل لحال دعوة الإسلام في مكة يومئذ واختلاط المؤمنين مع المشركين بحال تجاوز البحرين: أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج. وتمثيل الإيمان بالعذب الفرات والشرك بالملح الأجاج ثم أعقبه بدقيق آثار القدرة في تكوين المياه وجعلها سبب حياة مختلفة الأشكال والأوضاع ، ومن أعظمها دقائق الماء الذي خلق منه أشرف الأنواع التي على الأرض وهو نطفة الإنسان بأنها سبب تكوين النسل للبشر فإنه يكون أول أمره ماء ثم يتخلق منه البشر العظيم[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ أي: أن الله ﷻ بقدرته خلى وأرسل البحرين متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان[٢].

قال أهل المعاني: أرسلهما في مجاريهما كما ترسل الخيل في المَرْج.

وهما يلتقيان فلا يبغي الملح على العذب، ولا العذب على الملح بقدرة الله ﷻ[٣].

٢- ﴿عَذْبٌ﴾: طيب، عَذُبَ الماء يَعْذُبُ عُذوبَة فهو عَذْبٌ طيب بارد، وأصله من: المنع، والماء العَذْبُ هو الذي يمنع العطش، يقال: عَذَبه عَذْبًا إذا منعه، وعَذَب عُذُوبًا إذا امتنع[٤].

٣- ﴿فُرَاتٌ﴾: قال مقاتل: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ يعني: طيبًا حلوًا. و﴿الفرات﴾: أعذَبُ المِياه[٥].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٥٤/١٩).

(٢) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٦)

(٣) ينظر: ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٠٠):تفسير الشنقيطي (٣٣٨/٦)، وتفسير الطوسي (٢٧٣/٧)، وتفسير غريب القرآن للكواري (٥٣/٢٥).(بتصرف).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٢١/٢).

(٥) ينظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٧٧/٢) ، وغريب القرآن، لابن قتيبة، (ص:٣١٤)، وتفسير ابن جرير (٢٤/١٩)؛ ومعاني القرآن، للزجاج (٧٢/٤)، وتفسير الثعلبي (١٠٠/٨).

٤-﴿مِلۡحٌ أُجَاجٌ﴾: قال الليث: المِلْح خلاف العَذْب من الماء، يقال: ماءٌ مِلْح، ولا يقال: مالح[١].

٥- ﴿أُجَاجٌ﴾: من أجَّتِ النارُ أجًّا[٢]. الأجاج أشد الماء ملوحة[٣]، ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ﴾ يعني: مرًا من شدة الملوحة، والمعنى: أن الله ﷻ خلط البحرين العذب والملح، وحجز أحدهما عن الآخر فليس يفسد الملحُ العَذْبَ، ولا العَذْبُ الملحَ.

٦- ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا﴾: حاجزًا من قدرة الله[٤]، البرزخ: الحاجز.

٧- ﴿وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا﴾:" أي وجعل بينهما سداً مانعاً فلا يحلو الملح، ولا يملح العذب"[٥].

٨-﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا﴾: أي: خلق من النطفة إنسانًا[٦].

٩- ﴿نَسَبٗا وَصِهۡرٗا﴾: قال ابن قتيبة: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗا﴾ يعني: قرابة النسب، ﴿وَصِهۡرٗا﴾ يعني: قرابة النكاح، وقيل: إن أصل الصهر: الملاصقة، وأما الختونة فهي المصاهرة[٧].

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

المقابلة اللطيفة ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ﴾ أي نهاية في الحلاوة ونهاية في الملوحة[٨].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

في الآيتين الأوليين عود إلى التذكير بآيات الله وقدرته ونواميسه في كونه، ومنافع الناس منها مما يمكن أن يقال إن الآيات الثلاث التي قبلها جاءت كجملة استطرادية، إما لتسلية النبي ﷺ وتقويته والتنويه به كما قال المفسرون وإما لذكر أقوال ومواقف أخرى للكفار كما تبادر لنا، وعلى كل حال فالصلة قائمة بين هذه الآيات والسياق السابق.

وقد احتوت الآيتان الأولى والثانية إشارة إلى مخالطة الماء الحلو بالماء المالح عند ملتقى البحرين أي البحر والنهر وعدم طغيان المالح على الحلو مع ذلك كأن بينهما برزخاً وسدّاً، وإلى خلق الله

---

(١) ينظر: العين (٢٤٣/٣) ، وتهذيب اللغة (٩٨/٥)، وابن جني في المحتسب (١٢٤/٢)، ومعاني القرآن، للزجاج (٧٢/٤)، وتفسير الثعلبي (١٠٠/٨).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٢٣٤/١١) (أجج).

(٣) ينظر: في المجاز لأبي عبيدة (٧٧/٢)، أملح الملوحة، وتفسير الثعلبي (١٠٠/٨)، ومعاني القرآن، للزجاج (٧٢/٤).

(٤) ينظر: معاني القرآن، للفراء (٢٧٠/٢).

(٥) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٢٢).

(٦) ينظر: تفسير مقاتل، (ص:٤٦)، ومجاز القرآن، لأبي عبيدة (٧٧/٢). وغريب القرآن، لابن قتيبة (ص:٣١٤).

(٧) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٠١/٧) (ختن).

(٨) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٧).

ﷻ البشر من نطف مائية فكان منهم النسل الذي منه النسيب ومنه الصهر مما فيه البرهان على قدرة الله ﷻ واستحقاقه وحده للعبودية والخضوع[١].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي:" وهو وحده الذي مرج البحرين يلتقيان البحر العذب وهي الأنهار السارحة على وجه الأرض والبحر الملح وجعل منفعة كل واحد منهما مصلحة للعباد، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا﴾ أي: حاجزا يحجز من اختلاط أحدهما بالآخر فتذهب المنفعة المقصودة منها ﴿وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ أي: حاجزاً حصيناً"[٢].

ثم جاء الحديث عن خلق الإنسان، فقال ﷻ:﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾

والمراد بالماء: ماء النطفة، وبالبشر الإنسان. أو المراد بالماء: الماء المطلق الذي أشار إليه ﷻ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

أي: وهو ﷻ الذي خلق من ماء النطفة إنساناً ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ أي: فجعل من جنس هذا الإنسان ذوى نسب: وهم الذكور الذين ينتسب إليهم بأن يقال فلان بن فلان، كما جعل من جنسه أيضاً ذوات صهر وهن الإناث، لأنهن موضع المصاهرة.

والصهر يطلق على أهل بيت المرأة وأقاربها، كالأبوين والإخوة والأعمام والأخوال، فهؤلاء يعتبرون أصهاراً لزوج المرأة.

﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ حيث خلق ﷻ من النطفة الواحدة بشراً نوعين: ذكراً وأنثى[٣].

- **إشارات علمية تضمنتها الآيات :**

* وهو الذي ترك البحرين، الفرات العذب والملح المر، يجريان ويلتقيان، فلا يختلطان ولا يمتزجان إنما يكون بينهما برزخ وحاجز من طبيعتهما التي فطرها الله. فمجاري الأنهار غالبا أعلى من سطح البحر، ومن ثم فالنهر العذب هو الذي يصب في البحر الملح، ولا يقع العكس إلا شذوذا. وبهذا التقدير الدقيق لا يطغى البحر وهو أضخم وأغزر على النهر الذي منه الحياة للناس والأنعام والنبات. ولا يكون هذا التقدير مصادفة عابرة وهو يطرد هذا الاطراد. إنما يتم بإرادة الخالق الذي أنشأ هذا الكون لغاية تحققها نواميسه في دقة وإحكام[٤].

* ظاهرة عدم اختلاط الماء العذب بالماء المالح من الظواهر التي أدركها الناس بأشكال وصور مختلفة:

- على شكل أنهار ضخمة تحت مياه المحيطات، أمكن رصدها من الجو.
- وجود ينابيع عذبة تحت ماء البحر في المياه الضحلة.

---

(١) ينظر: التفسير الحديث لدروزة (٣/٩٢).

(٢) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٥)

(٣) ينظر: تفسير الكشاف ، (٣ /٢٨٧). والتفسير الوسيط، لطنطاوي (١٠/٢١٠).

(٤) ينظر: " في ظلال القرآن" لسيد قطب (٥/٢٥٧٢).

– في مصبات الأنهار الكبيرة في البحار حيث تتكون أحواض وحجراً محجوراً تمتاز بخاصيتها عن مياه النهر، ومياه البحر في الكائنات الحية، والنباتات والأملاح.

"فسبحان من جعل بين العذب الفرات النهر وبين البحر الملح الأجاج برزخاً مائياً وهو الحاجز المائي المحيط بماء المصب حبساً على كائناته الحية، ممنوعاً عن الكائنات الحية الخاصة بالبحر والنهر"[١].

* خلق الجنين من ماء النطفة الأمشاج أغرب وأعقد من حال الكائنات الحية التي تخلق من ماء السماء، إن الخلية الواحدة من ماء الرجل والخلية الواحدة من ماء المرأة (البويضة) تحملان عناصر الوراثة للجنس كله، وللأبوين وأسرتيهما القريبتين، لتنقلها إلى الجنين الذكر والجنين الأنثى كل منهما بحسب ما ترسم له يد القدرة الإلهية من خلق واتجاه في طريق الإنسان.

فجعل هذا المخلوق ذكراً يتزوج فيولد له ويثبت النسب إليه، أو أنثى فتتزوج فيصاهر بها. وبوجود هذه القرابات من الأصهار وهم أهل بيت المرأة بالنسبة للزوج والأحماء وهم أهل بيت الرجل بالنسبة للزوجة تقوم العلاقات الاجتماعية. وتتلاحم وشائج الأرحام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ [الحجرات: ١٣ ][٢].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١– من مظاهر العلم والقدرة الإلهية عدم اختلاط البحرين مع وجودهما في مكان واحد، حيث أرسل الله البحرين: العذب والمالح، وجعلهما متجاورين متلاصقين لا يمتزجان ولا يختلطان، وجعل بينهما حاجزاً من قدرته لا يغلب أحدهما على صاحبه، وستراً مستوراً يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر، فالبرزخ: الحاجز، والحجر: المانع[٣].

٢– خلق الله ﷻ من النطفة إنساناً، وجعل من الإنسان صنفين: الذكر والأنثى، وجعل الذكر موضع نسبة النسب، والأنثى سبباً للمصاهرة، وإيجاد قرابات جديدة، فكل من النسب والصهر قرابة ويعمان كل قربى بين آدميين.

٣– خلق الله ﷻ الإنسان من ماء وجعله ذكراً وأنثى للتناسل وحفظ النوع[٤]. فالزواج وسيلة لاستمرار الحياة، وتعمير الأرض، وتقوية الصلات والمعارف من خلال المصاهرة، فمن مقاصد الشريعة المتفق عليها حفظ النسل والنسب والعرض. أما حفظ النسل فهو الذي يؤدي إلى حفظ الجنس البشري من الانقراض، وأما حفظ العرض فهو الذي يحافظ على المجتمع المسلم نظيفا خاليا من الأمراض الجسدية والأخلاقية. وحفظ النسب الذي يساعد على ربط أفراد المجتمع بروابط

---

(١) ينظر: أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار ( ص:١٧) من إصدارات هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة.

(٢) ينظر: أوجه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في عالم البحار (ص :١٩)، بتصرف.

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٨٨/١٩).بتصرف

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٦٢٤/٣).

حقيقية وصحيحة تضمن أن يبقى أعضاؤها محصنين بحصون القرابة الصحيحة حتى لا يدخل في حصنها المصون أي دخيل لا يحمل نسبها، وحتى لا يخرج منها من لا ينسب إليها بالنسب الشرعي الصحيح. وفي سبيل الوصول إلى هذا المقصد العام شرعت من الضروريات والحاجيات والتحسينات ومن مكملاتها ما يضمن الحفاظ على هذا المقصد. وهذا بعض ما يميز هذه الشريعة التي وضعها خالق هذا الكون العليم بما يصلح عباده فيه وما يصلح لهم.

قال الإمام الغزالي[1] في بيان فوائد النكاح: "الفائدة الأولى وهو الأصل وله وضع النكاح والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم عن جنس الإنس"[2].

٤- بيان على أن الله ﷻ جعل الماء سبب الاجتماع والتآلف والرضاع والختونة، وفيه إشارة إلى المحرمات بالسبب والنسب، وأن كل ذلك تولد من الماء.

٥- استنباط حكم فقهي هو أن: النسب سبعة أصناف من القرابة يجمعها قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[النساء:٢٣]

ومن قوله: ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ﴾إلى قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ تحريم بالصهر وهو الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرّم للنكاح، وقد حرم الله سبعة أصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر أي السبب، قد اشتملت الآية المذكورة على ستة منها والسابعة قوله ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ ...﴾ [النساء: ٢٢][3].

٦- إذا لم يكن النسب ثابتاً شرعاً لم تثبت حرمة المصاهرة، وعليه قال الجمهور: إذا لم يكن نسب شرعاً، فلا صهر شرعاً، فلا يحرّم الزنى بنت أم ولا أمّ بنت، ولا بنتا من الزنى، وما يحرّم من الحلال لا يحرّم من الحرام لأن الله امتنّ بالنسب والصهر على عباده، ورفع قدرهما، وعلّق الأحكام في الحل والحرمة عليهما، فلا يلحق الباطل بهما ولا يساويهما. وقال الحنفية: تحرم البنت من الزنى أو الأخت أو بنت الابن من الزنى بسبب التولد من ماء الرجل[4].

---

(١) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. مولده ووفاته بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. وتوفي٥٠٥ هـ ، نسبته إلى صناعة الغزل من كتبه (إحياء علوم الدين) و (تهافت الفلاسفة) و(شفاء العليل) في أصول الفقه . ينظر: الأوهام الواقعة في أسماء العلماء والأعلام (١٧/١).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (٧٥/٢).

(٣) ينظر: "فتح البيان في مقاصد القرآن" لأبو الطيب محمد صديق خان (٣٢٥/٩). وأحكام القرآن للكيا الهراسي (٣٣١/٤).

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٨٩/١٩).

## المطلب الرابع

## التعجيب من حال المشركين مع آيات الله

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٥]

**أولاً: المناسبة:**

لما ذكر ﷻ دلائل التوحيد، وأرشد إلى ما في الكون من باهر الآيات، وعظيم المشاهدات، التي تدل على بديع قدرته، وجليل حكمته عاد إلى ذكر قبائح الكفار، وبين شناعة أقوالهم وأفعالهم، وفضائح سيرتهم فقال: ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه ولا يضرهم إن تركوه وكان الكافر على ربه ظهيرا(١).

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

﴿ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾: أي : معيناً للشيطان على معصية الرحمن، لأنَّ عبادته للأصنام معانة للشيطان فهو يظاهر الشيطان على معصية الله ويُعينه(٢).

**ثالثا: التفسير الإجمالي:**

قوله ﷻ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ ﴾ لما عدد النعم وبين كمال قدرته عجب من المشركين في إشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا ضر، أي إن الله هو الذي خلق ما ذكره، ثم هؤلاء لجهلهم يعبدون من دونه أمواتاً جماداتٍ لا تنفع ولا تضر. ﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴾ روي عن ابن عباس﴿ٱلْكَافِرُ﴾ هنا أبو جهل لعنه الله، وشرحه أنه يستظهر بعبادة الأوثان على أوليائه. وقال عكرمة: ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ إبليس، ظهر على عداوة ربه. وقال مطرف: ﴿ٱلْكَافِرُ﴾ هنا الشيطان. وقال الحسن: ﴿ظَهِيرًا﴾ أي معيناً للشيطان على المعاصي. وقيل: المعنى، وكان الكافر على ربه هيناً ذليلاً لا قدر له ولا وزن عنده، من قول العرب: ظهرت به أي جعلته خلف ظهرك ولم تلتفت إليه. ومنه قوله ﷻ: ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ﴾ [هود: ٩٢] أي هيناً(٣).

---

(١) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٩٧) و تفسير المراغي (٢٨/١٩).بتصرف

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٦)

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (١٣/ ٦١)، و البحر المحيط في التفسير لابن حيان (٨/ ١١٩)

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- الكافر المعاند، عدو للحق، عدو لنفسه، عدو لمصالحه فإنه في صف عدوه مشاق لله ولرسوله، إنه نسي الله فأنساه نفسه، فهو حرب على الله ورسوله سلم لأعدائه، وهذه المشاقة والعداوة لا تنفعه لأن من يناصرهم ليس لهم من الأمر شيء في الدنيا والآخرة، ومآلهم جميعا إلى الله ليجازي كلاً على ما قدم.

٢-﴿وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا﴾ إشارة إلى جناية من يكفر بربّه ويعبد إلها غيره. إنه يحارب خالقه، إذ يكون حرباً على أولياء الله، من الرسل، وأتباع الرسل سواء أكان ذلك باتباع سبيل غير المؤمنين، أم كان بالوقوف في وجه المؤمنين، وإعلان الحرب سافرة عليهم.. وهو بهذا يظاهر أعداء الله على أوليائه، وفي هذا حرب لله، ومظاهرة لأعدائه المحاربين له على حربه[١].

٣- التنديد بالمشركين والكافرين المعينين للشيطان على الرحمن.

٤- نَحَتِ الآية باللائمة على الكفار وسخفهم. فهم لا يتدبرون في عظمة الله ﷻ وحكمه ونعمه فيعبدون غيره ما لا ينفعهم ولا يضرهم فيكونون في ذلك مظاهرين على ربهم الحقيقي وواقفين ضده[٢].

٥- إن نفي الضر بعد نفي النفع للتنبيه على انتفاء شبهة عبدة الأصنام في شركهم لأن موجب العبادة إما رجاء النفع وإما اتقاء ضر المعبود وكلاهما منتف عن الأصنام بالمشاهدة[٣].

٦- هذا من ألطف خطاب القرآن، وأشرف معانيه، وأن المؤمن دائمًا مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو ربه، وهذه العبادة هي الموالاة والمحبة والرضا بمعبوديتهم المتضمنة لمعيتهم الخاصة فظاهروا أعداء الله على معاداته ومخالفته ومساخطه، بخلاف وليه ﷻ فإنه معه على نفسه وشيطانه وهواه.

٧- إن من المَعْلُوم بِالضَّرُورَةِ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ تَعَاوَنُوا عَلَى عَدَاوَةِ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَضُرُّوهُ بِشَيْءٍ، وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ بِذَلِكَ أَنْفُسَهُمْ[٤]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

٨- كلُ من عَبَدَ غيرَ الله أو توكل عليه خاسرٌ[٥].

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (١٠/ ٤٧)

(٢) ينظر: التفسير الحديث لدروزة (٣/٩٢).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/٥٦).

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي(٦/٦٩).

(٥) التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣ /٥٢).

# الفصل الثاني

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٥٦-٧٧)

ويشتمل على مبحثين:

## المبحث الأول: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٥٦-٦٢)

## المبحث الثاني: الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٦٣-٧٧)

# المبحث الأول

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٥٦-٦٢)

وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول: مهمة الرسول ﷺ هداية الناس وتعبيدهم للحي الذي لا يموت.**

**المطلب الثاني: مقابلة المشركين لدعوة الرسول ﷺ باستهتار.**

**المطلب الثالث: من المظاهر الكونية على قدرة الله ﷻ وتقديسه.**

## المطلب الأول

## مهمة الرسول ﷺ هداية الناس و تعبيدهم للحي الذي لا يموت

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٥٦ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٥٧ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ٥٨ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾ [الفرقان: ٥٦ – ٥٩]

**أولاً: المناسبة:**

لما أبان الله ﷻ من أدلة التوحيد في ظواهر الكون، فإن المشركين ظلوا يعكفون على عبادة الأصنام، فأخبر ﷻ عن جهلهم في عبادة ما لا يضر ولا ينفع، بلا دليل ولا حجة في ذلك، بل بمجرد التقليد والهوى والتشهي، تاركين اتباع الرسول ﷺ الذي جاء يبشرهم بالخير إن أطاعوا، وينذرهم بالعذاب إن عصوا وأعرضوا، وهو لا يبتغي على ذلك أجرا. ثم وجه الله ﷻ رسوله بأن يتوكل على الله الحي الذي لا يموت، العالم بجميع المعلومات، القادر على كل الممكنات، فلا يرهب جانب المشركين ولا يخشى بأسهم، وأمره أيضا بأن ينزه ربه عن كل صفات النقص كالشريك والولد، ويصفه بجميع صفات الكمال(١).

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ على القرآن وتبليغ الوحي(٢).

﴿إِلَّا مَن شَآءَ﴾: معناه: لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا بإنفاق ماله فعل ذلك(٣).

﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾: أي اعتمد في جميع أمورك على الواحد الأحد، الدائم الباقي الذي لا يموت أبداً، فإنه كافيك وناصرك ومظهر دينك على سائر الأديان(٤).

﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾: أَيْ اقْرِنْ بَيْنَ حَمْدِهِ وَتَسْبِيحِهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ»، أَيْ أَخْلِصْ لَهُ الْعِبَادَةَ وَالتَّوَكُّلَ(٥).

﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ استواءً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، والاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب(٦).

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٩٢).

(٢) ينظر: البسيط للواحدي١٦/٥٥٤.

(٣) ينظر: "إعراب القرآن"، للنحاس ٣/ ١٦٤.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٧).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣٦)

(٦) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٧)

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾: أي: فسلْ عنه من هو خبيرٌ عارف بجلاله ورحمته[1]، وَالْمُرَادُ بِالْخَبِيرِ: اللَّهُ سُبْحَانَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ تَفَاصِيلَ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ إِلَّا هُوَ[2].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

جاءت تلك الآيات في هذا المطلب بنوع من التسلية لرسول الله ﷺ، لإصرار القوم على عبادة ما لا ينفعهم ولا يضرهم، وتنكرهم للحق الذي جاء به الرسول ﷺ، لأن مهمة الرسولﷺ هي التبليغ البشارة والإنذار وليس مطالبا بهدايتهم وحملهم على الإيمان به وبرسالته، فهذا تحت مشيئة الله خالقهم، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦]. ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]

وبعد قصر مهمة الرسول ﷺ على البشارة والإنذار، عطف عليه الأمر بأن يذكرهم أنه لا يبتغي بذلك منهم أجراً ولا مالاً ولا جاها.

ولما كان الاستمرار في دعوة القوم إلى قوة دافعة وعزم قوي، جاء الأمر بأن يتوكل على الحي الذي لا يموت، الغني عن كل شيء، الذي لا يضام من توكل عليه، ولا يذل من والاه، وتسبيحه وتمجيده آناء الليل وأطراف النهار، وتنزيهه عما ألصق به الجاهلون السادرون في ضلالهم من صفات النقص والعجز، فإنه خبير بما ينسبون إليه، سميع بما يقولون عنه، عليم بدخائل نفوسهم العاتية وعقولهم الزائغة.

ومن مظاهر كمال قدرته وعظمته تفرده بخلق السماوات والأرض، ووضع نظامها، وبث المخلوقات فيها ووضع أقواتها وطاقاتها، وخلق السنن التي تسير بموجبها، كل ذلك في ستة أيام، فكيف يكفر بهذا الخالق العظيم وكيف يجحده الجاحدون، قال ﷻ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت:٩-١٢].

﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ أي إن ذلك الخالق هو العظيم الرحمة بكم، فلا تتكلوا إلا عليه، واستعلم أيها السامع من هو خبير به، عالم بعظمته، فاتبعه واقتد به[3].

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٧).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ٩٨).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٩٥)، وزهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٠٦).

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- هَمُّ الكافر ومبلغ علمه الحياة الدنيا وزينتها من المال والجاه والشهوات، لذا يتهمون المصلحين في كل العصور بأنهم يريدون ذلك المتاع بدعوتهم، ولا ترتقي مداركهم إلى الأجر الأخروي الذي يرغبون فيه، وما عند الله خير وأبقى.

٢- على الدعاة إلى الله والمصلحين الذين يسعون لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أن يتوكلوا على الله ﷻ حق التوكل مع اتخاذ الأسباب الظاهرة، وأن لا يتطرق اليأس إلى قلوبهم إذا قابلهم الجاحدون المعاندون بالتهم الباطلة، والاستهزاء والسخرية فإن العاقبة لهم، ولهم الأجر الوافر عند ربهم يوم القيامة.

٣- الله جل جلاله خالق كل شيء، يقول للشيء كن فيكون، إلا أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ليعلم الناس التثبت والتروي والتؤدة، وخلق العرش واستوى عليه استواء يليق بجلاله وكماله وعظمته، وما على الجاهل إلا أن يسأل خبيرا بالله أو عالماً، ثم يتبعه ويقتدي به.

٤- إن مما يثير العجب والدهشة أن الله ﷻ بعد أن عدد النعم وبيّن كمال قدرته، وجد المشركين باقين على إشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا ضرر، بسبب جهلهم وعنادهم، وشأن الكافر أنه معين للشيطان على المعاصي.

٥- لا سلطان للرسول ﷺ في مجال الإيمان والطاعة على أحد، وإنما تقتصر مهمته على تبشير من أطاعه بالجنة، وإنذار من عصاه بالنار، يفعل ذلك بمحض الإخلاص وحب الخير للناس، دون أن يطلب على التبليغ والإنذار أو الوحي والقرآن أجراً ولا جزاءً ولا شكوراً.

٦- على الرسول ﷺ وكل مؤمن بعد اتخاذ الأسباب والوسائط أن يتوكل على الله الحي الذي لا يموت. والتوكل: اعتماد القلب على الله ﷻ في كل الأمور، وأن الأسباب وسائط أمر بها من غير اعتماد عليها،[١] و فِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَرْءَ الْكَامِلَ لَا يَثِقُ إِلَّا بِاللَّهِ لِأَنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى الْأَحْيَاءِ الْمُعَرَّضِينَ لِلْمَوْتِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُفِيدُ أَحْيَانًا لَكِنَّهُ لَا يَدُومُ[٢].

٧- إن الله ﷻ هو الحي الدائم الباقي الذي لا يموت ولا يفنى، وهو عالم بجميع المعلومات، قادر على كل الممكنات.

٨- من سنن الله ﷻ في الهداية والإضلال، أن من طلب الهداية ورغب فيها وسألها من ربه ﷻ ولازم الطلب هداه الله، ومن رغب عن الهداية وطلب الغواية وسلك مسالكها مفضلا لها على الهداية وأصر على ذلك أضله الله والعياذ بالله.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٩٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٥٩).

٩- دعوة الله ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً ممن يدعوهم إلى الله ﷻ ومن أراد أن يتطوع من نفسه فينفق في سبيل الله فذلك له[١]. فالمؤمن الداعية لا يطلب على دعوته أجراً، وعليه أن يزهد فيما عند الناس، لأن أجره عند الله.

١١- وجوب التسبيح والذكر والعبادة وهذه هي زاد العبد وعدته وعونه.

١٢- ثبوت صفة استواء الرحمن على عرشه فيجب الإيمان بها على ما يليق بجلال الله وكماله ويحرم تأويلها بالاستيلاء والقهر ونحوهما[٢]، ففي الآية ردٌ على من قال﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ معناه استولى (هذا قول أهل التأويل من المعتزلة والجهمية والحرورية وغيرهم) فقد اتفق أهل العلم على إبطاله وأجمعوا على أن المراد بالاستواء على العرش، إنما هو الاستعلاء والارتفاع عليه، فهو سبحانه مستو على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته ولا يلزم لهذا أي لازم باطل مما يلزم لاستواء المخلوقين[٣].

١٣- الترغيب في الذكر والشكر، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة[٤].

١٤- لو أعطي الداعي إلى الله ﷻ من أوقاف وقفت لهذا الغرض أو أعطي من بيت المال ما يسد به خلته ويقضي به حاجته فأخذ فلا حرج.

١٥- تعليم عبادة التؤدة والتريث في الأمور والتأني بفعلها، فالتأني من الله والعجلة من الشيطان[٥].

١٩- جُمِعَ لَلنبي ﷺ فِي هَذَا الْأَمْرِ ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ التَّخْلِيَةُ وَالتَّحْلِيَةُ مُقَدَّمًا التَّخْلِيَةَ لِأَنَّ شَأْنَ الْإِصْلَاحِ أَنْ يَبْدَأَ بِإِزَالَةِ النَّقْصِ، وَأَمْرُ النَّبِي ﷺ يَشْمَلُ الْأُمَّةَ مَا لَمْ يَكُنْ دَلِيلٌ عَلَى الْخُصُوصِيَّةِ[٦].

٢١- من العقائد التي يجب الإيمان بها الثابتة في القرآن والسنة: استواء الله على العرش.

٢٢- المؤمن يتوكل على الله وحده، وعندما يذكره يجمع بين تسبيحه وحمده[٧].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٢٧).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي (٥٨/١٣) تأليف/ د. صلاح الخالدي.

(٣) ينظر: الإبانة (ص:٣٦) والأسماء والصفات (٢/ ٣٠٦ – ٣٠٨)، والفتاوى (٥/ ١٤٣– ١٤٩)، ومختصر العلو للألباني (٢٦/٨).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٢٧).

(٥) المرجع السابق (٣/ ٦٢٧).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٥٩)

(٧) ينظر: التفسير المنهجي (٥٨/١٣) تأليف د. صلاح الخالدي.

## المطلب الثاني

## الاستهتار في مقابلة الدعوة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ﴾

**[الفرقان: ٦٠]**

**أولاً: المناسبة:**

ذكر الله ﷻ في الآية السابقة أنه جل شأنه هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وأنه استوى على العرش، برحمانيته، ثم دعا سبحانه من غابت عنه هذه الحقيقة من رحمانية الرحمن، أن يسأل أهل العلم والخبرة في هذا المقام ، فناسب ذلك أن يدعو إليه سبحانه الضالين، باسم «الرحمن» الذي له في كل مخلوق أثره، وله في كل حيّ نفحة من رحمته، وبهذا يظهر ما عندهم من علم بالرحمن، سواء أكان هذا العلم مما أدركوه بعقولهم، وعرفوه بنظرهم، أو أخذوه عن أهل العلم والخبرة. (١).

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾: قال عطاء، والكلبي، والمفسرون: قالوا: ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعني: مسيلمة، والرحمن: اسم من أسماء الله ﷻ ، مذكور في الكتب الأُوَل، ولم يكونوا يعرفونه من أسماء الله. فلما سمعوه أنكروا، "(٢).

٢- ﴿قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ : قولهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يجوز أن يكون سؤالًا عن المسمى به؛ لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم، والسؤال عن المجهول ب "ما"، ويجوز أن يكون سؤالًا عن معناه؛ لأنه لم يكن مستعملًا في كلامهم، كما استعمل: الرحيم، والرحوم، والراحم، أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله ﷻ(٣).

والظاهر أن قولهم ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ قول قوم كانوا يجحدون التوحيد، ويدل عليه ازديادهم نفورًا لما أمروا أن يسجدوا للرحمن؛ لأن العرب كانوا يعرفون الرحمن في أسماء الله ﷻ، وأنه اسم مسمى من الرحمة(٤).

٣- ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾: أي: زادهم ذكر الرحمن تباعدًا من الإيمان(٥).

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (١٠/ ٥٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٧٣.

(٣) ينظر: "الكشاف" ٣/ ٢٨٢. والألوسي ٧/ ٣٩.

(٤) ينظر: تفسير الماوردي" ٤/ ١٥٣. وفي "تفسير الرازي" ٢٤/ ١٠٥.

(٥) ينظر: تفسير مقاتل" (ص :٤٦).

**ثالثاً: القراءات:**

قال مكي بن أبي طالب: قوله ﴿يَأْمُرُنَا﴾ قرأ حمزة والكسائي بالياء على الإخبار عن النبي ﷺعلى وجه الإنكار منهم أن يسجدوا لما يأمرهم به ﷺ، و قرأ الباقون ﴿تَأْمُرُنَا﴾ بالتاء على الخطاب منهم للنبي ﷺلأنهم أنكروا أمره لهم بالسجود لله فقالوا أنسجد لما يأمرنا محمد(١).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

أخبر ﷻ عن جهالات المشركين وسخافاتهم فقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ﴾؟ أي: وإذا قال الرسول ﷺ والمؤمنون معه لهؤلاء المشركين: اجعلوا سجودكم وخضوعكم للرحمن وحده ﴿قَالُوا﴾ على سبيل التجاهل وسوء الأدب والجحود: ﴿وَمَا الرَّحْمَٰنُ﴾ أي: وما الرحمن الذى تأمروننا بالسجود له ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾أي: أنسجد لما تأمرنا بالسجود له من غير أن نعرفه، ومن غير أن نؤمن به، ﴿وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ أي: وزادهم الأمر بالسجود نفورا عن الإيمان وعن السجود لله الواحد القهار فالآية الكريمة تحكى ما جبل عليه أولئك المشركون من استهتار وتطاول وسوء أدب ، عندما يدعوهم الرسول ﷺ إلى إخلاص العبادة لله ﷻ، وإلى السجود للرحمن الذى تعاظمت رحماته ، وتكاثرت آلاؤه، ولقد بلغ من تطاول بعضهم أنهم كانوا يقولون : ما نعرف الرحمن إلا ذاك الذى باليمامة ، يعنون به مسيلمة الكذاب(٢).

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- استبد العناد والاستكبار بالمشركين أنه إذا طلب منهم السجود للرحمن، قالوا على جهة الإنكار والتعجب: وما الرحمن؟ أي ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون: مسيلمة الكذاب، أنسجد لما تأمرنا أنت يا محمد؟ وزادهم هذا الأمر نفورا عن الدين، ومن شأنه حملهم على الفعل والقبول. كان سفيان الثوري يقول في هذه الآية: إلهي زادني لك خضوعا ما زاد عداك نفورا(٣).

استهتار وتطاول وسوء أدب المشركين، عندما يدعوهم الرسول ﷺ إلى إخلاص العبادة لله ﷻ، وإلى السجود للرحمن الذي تعاظمت رحماته، وتكاثرت آلاؤه(٤).

مشروعية السجود عند قوله ﷻ وزادهم نفوراً فهذه السجدة من عزائم السجدات فيسن للقارئ والمستمع أن يسجدا عند سماعها وقراءتها(٥).

---

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها لمكي بن أبي طالب: ٤ / ١٤٦.

(٢) ينظر: الوسيط لسيد طنطاوي (ص: ٣١٤١).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٩٩).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢١٥).

(٥) ينظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٣١٧).

٢- عزَّةُ المؤمن في سجوده لله وإحسان عبادته له ، فيسارع إلى ذلك بهمةٍ ونشاطٍ.

٣- من أسماء الله الحسنى التي أنكر مشركو العرب تَسمِّى الله بها الرَّحمن[١].

٤- إثبات اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ لله ﷻ، وهو اسم أنكره المشركون حينما أُسِروا بالسجود لله، وقد قال ﷻ ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾.

(١) ينظر: التفسير المنهجي (١٣/ ٥٨) تأليف/ د. صلاح الخالدي.

## المطلب الثالث

## من المظاهر الكونية على قدرة الله وتقديسه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٦١ – ٦٢]

**أولاً: المناسبة:**

استئناف ابتدائي جعل تمهيداً لقوله ﷻ ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣] وافتتحت كل دعامة منها ب﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى﴾ إلخ كما تقدم صدر السورة. وافتتح ذلك بإنشاء الثناء على الله بالبركة والخير لما جعله للخلق من المنافع[١].

قال الشعراوي: "ويعود السياق مرة أخرى لذِكْر آية كونية؛ لأن الحق تبارك وﷻ يراوح بين آية تطلب منهم شيئاً، وأخرى تلفتهم إلى قدرة الله وعظمته، وهذا يدل على مدى تعنتهم ولجاجتهم وعنادهم، وحرص الحق ﷻ على لَفْتهم إليه، والأخْذ بأيديهم إلى ساحته تعالى.

ولو شاء سبحانه لَسرَد الآيات الكونية مرة واحدة، وآيات التكذيب مرة واحدة، ولكن يُزاوج ﷻ بين هذه وهذه لتكون العبرة أنفذ إلى قلوب المؤمنين"[٢].

**ثانياً: القراءات:**

- قرأ حمزة والكسائي وخلف ﴿سُرُجاً﴾ بضم السين من غير ألف بالجمع: فقد أفادت قراءة الجمع أن المقصود الكواكب جميعها والتي منها الشمس والقمر، فأفادت ذكر عموم ما في السماء التي منها الشمس. وهي تدل على الشمس مع النجوم البعيدة عنا في السماء، فهي كالشمس أجرامٌ ناريةٌ ملتهبة، ومنها ما هو أعظم وأكبر من الشمس[٣].
- قرأ الباقون ﴿سِرَاجًا﴾ بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد: مراداً به الشمس القريبة منا. فقد أفادت ﴿سِرَاجًا﴾ أن المقصود الشمس العظيمة في حجمها وضيائها وخصها بالذكر لشرفها على غيرها من الكواكب[٤].
- قرأ حمزة وخلف ﴿يَذْكُر﴾ بتخفيف الذال وتخفيف الكاف مضمومة.
- قرأ الباقون ﴿يَذَّكَّرَ﴾ بتشديدهما مفتوحين[٥].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٦٤).بتصرف

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٤٩٢).

(٣) ينظر: القراءات و أثرها في التفسير والأحكام ( ٢/ ٦٩٥).

(٤) ينظر: المرجع السابق ( ٢/ ٦٩٥).

(٥) ينظر: النشر لابن الجزري (٢/٢٦٦).

ذهب كثير من العلماء إلى أن الذكر والتذكر بمعنى واحد أو معناهما متقارب ﴿ فيذكر﴾ مخففا هو مضارع ذكر الذي هو ضد النسيان ويذكر ما نسيه في أحد هذين الوقتين، في الوقت الآخر. ويجوز أن يكون: على تذكر تنزيه الله تعالى، وتسبيحه فيهما و﴿يَذَّكَّرَ﴾ مشدداً أصله يتذكر فأدغمت التاء في الذال. والتشديد على أنه: يتذكر، ويتفكر ليدرك العلم بقدرته، ويستدل على توحيده. ويذّكر بالتشديد فيه أشد عملاً أو يحتاج إلى مزيد تكلف جهد ومشقة[١].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ﴾ يريد بروج النجوم؛ و المعنى: منازلها الاثني عشر، كل برج منها: منزلان، ونصف منزل للقمر، وهو: ثلاثون درجة للشمس، ولكل برج اسم على حده، وأساميها معروفة وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت[٢].

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾: فيه النور والحرارة شمساً مضيئاً لبني آدم وغيرهم بِالنَّهَارِ. ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ فيه النور لا الحرارة فهو مضيئ لبني آدم وغيرهم بِاللَّيْلِ[٣].

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾ ومعنى ﴿خِلْفَةً﴾ :

* يخلف أحدهما صاحبه.

* ما فات في أحدهما عمل في الآخر. وقد جعلهما الواحدي[٤]، قولاً واحداً.

* كل واحد منهما مخالف لصاحبه[٥].

٢- ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي: يتذكر، فيتبين شكر الله، وموضع النعمة، وإتقان الصنعة، فيستدل به على التوحيد[٦].

---

(١) ينظر: كتاب "السبعة في القراءات" لأحمد البغدادي (ص: ٤٦٦)، و"الحجة للقراء السبعة" لأبو علي الفارسي (٥/ ٣٤٨).

(٢) ينظر: الثعلبي ٨/ ١٠١، والبغوي، في تفسيره (٦/ ٩٢).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٦) بتصرف.

(٤) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (أبو الحسن) مفسر، نحوي، لغوي، فقيه شاعر، إخباري. أصله من ساوه، ومن أولاد التجار. توفي بنيسابور في جمادى الآخرة (٤٦٨ هـ) ، وقد شاخ. من تصانيفه: «البسيط» ، «المغازي»، «شرح ديوان المتنبي»، و«الوجيز»، و«أسباب النزول». ينظر: النجوم الزاهرة، (٥/١٠).

(٥) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٣٠).

(٦) ينظر: كتاب "السبعة في القراءات" (ص: ٤٦٦)، و"الحجة للقراء السبعة" (٥/ ٣٤٨).

٣- ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ الشُكور: مصدر شَكَر يَشْكُر، شُكْرًا وشُكُورًا، كما يقال: كَفَر يَكْفُر، كُفْرًا وكُفُورًا، قال الله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]: يريد لمن أراد أن يتعظ، ويطيعني ويشكر نعمة ربه عليه فيهما(١).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

في الآيتين عود آخر إلى التذكير بعظمة الله فيما يشاهد من مشاهد الكون ونواميسه وهذا متسق مع نظم فصول السورة. وبذلك تتصل الآيتان بالسياق.

وقد احتوتا ثناء على الله تعالى وتنويها بنواميس السماء وبعض مشاهدها حيث جعل الله تعالى فيها بروجا تدور في نطاقها النجوم وجعل فيها الشمس سراجاً والقمر منيراً وجعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر نتيجة لذلك.

قَالَ ﷻ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

المقصود: أنه جعل الشمس مزيلة للظلمة كالسراج، أو خلق النجوم كالسراج في التلألؤ وحسن المنظر. ودلالة خلق البروج وخلق الشمس والقمر على عظيم القدرة دلالة بينة للعاقل، وكذلك دلالته على دقيق الصنع ونظامه بحيث لا يختل ولا يختلف حتى تسنى للناس رصد أحوالها وإناطة حسابهم بها(٢). وفي موضع آخر، يوضح الحق سبحانه هذه المسألة، فيقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] فالضياء هو الذي يأتي من الكوكب ذاتياً، والنور هو انعكاس الضوء على جسم آخر، فهو غير ذاتي(٣).

قَالَ ﷻ ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ هو القمر أي تعاظم وتقدس الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً(٤).

فهو يسطع نوره على الأرض المظلمة، فيبعث فيها النور الهادي اللطيف(٥).

ووصف القمر بأنه منير، أي أن من شأنه أن ينير في الظلام، ولكن الشمس، جعلها الله تعالى المصدر؛ لأنها سراج هذا الوجود (٦).

قَالَ ﷻ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٤٥٥.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٦٤).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٤٩٤)

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٢٧).

(٥) ينظر :التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢١٥).

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٦) بتصرف

قال ابن عاشور رحمه الله: الاستدلال هذا بما في الليل والنهار من اختلاف الحال بين ظلمة ونور، وبرد حر، مما يكون بعضه أليق ببعض الناس من بعض ببعض آخر، وهذا مخالف للاستدلال الذي في قوله﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴾ **[الفرقان: ٤٧]**، فهذه دلالة أخرى ونعمة أخرى والحكم في المخلوقات كثيرة.

فتفيد الآية معنى: لينظر في اختلافهما المتفكر فيعلم أن لا بد لانتقالهما من حال إلى حال مؤثر حكيم فيستدل بذلك على توحيد الخالق ويعلم أنه عظيم القدرة فيوقن بأنه لا يستحق غيره الإلهية، وليشكر الشاكر على ما في اختلاف الليل والنهار من نعم عظيمة منها ما ذكر في قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ فيكثر الشاكرون على اختلاف أحوالهم ومناسباتهم، وتفيد معنى: ليتدارك الناسي ما فاته في الليل بسبب غلبة النوم أو التعب فيقضيه في النهار أو ما شغله عنه شواغل العمل في النهار فيقضيه بالليل عند التفرغ فلا يرزؤه ذلك ثواب أعماله [١].

فمن فاته ورده من أحدهما أدركه في الآخر، وأيضا فإن القلوب تتقلب وتنتقل في ساعات الليل والنهار فيحدث لها النشاط والكسل والذكر والغفلة والقبض والبسط والإقبال والإعراض، فجعل الله الليل والنهار يتوالى على العباد ويتكرران ليحدث لهم الذكر والنشاط والشكر لله في وقت آخر، فلله أتم حمد وأكمله على ذلك[٢].

- **اشارة علمية تضمنتها الآية:**

* يقول علماء الفلك: عدد البروج اثنا عشر برجا، وتنقسم إلى قسمين: شمالية تخص الربيع والصيف وجنوبية تخص الخريف والشتاء وبحلول الشمس في كل برج يختلف الزمان حرارة وبرودة، والليل والنهار طولا وقصرا، مما له الأثر الكبير في الحياة على الكرة الأرضية وسكانها[٣].

* والسراج هو المصباح الذي نشعله ليعطي حرارة وضوءاً ذاتياً، والمراد هنا الشمس؛ لأن وضوءها ذاتيٌّ منها، وكذلك حرارتها، على خلاف القمر الذي يضيء بواسطة الأشعة المنعكسة على سطحه، فإضاءته غير ذاتية؛ لذلك يقولون عن ضوء القمر: الضوء الحليم؛ لأنه ضوء بلا حرارة[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٦٦).

(٢) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٦).

(٣) ينظر: روح المعاني للألوسي ١٩/ ٤٠. بتصرف واختصار

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٤٩٤).

* قال علماء الفلك: إن الشمس تضيء الأرض فيكون النهار، ومن انعكاس أشعتها على الأرض يكون نور القمر، فالأصل كما خلق الله تعالى كان من الشمس، وأضاء الأرض، وبانعكاس ضوئها على القمر كان القمر منيرا ولهذه الصلة بين الشمس والأرض والقمر[١].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- من لطف الله بعباده ورحمته بهم أن جعل في السماء بروجاً للشمس ومنازل للقمر، وجعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وجعل الليل والنهار متعاقبين على الكرة الأرضية كل ذلك لتحقيق مصالح عباده. ففي الليل سكون وفي النهار حركة وسعي ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [القصص:٧٣].

٢- من أدلة قدرة الله تعالى ووحدانيته: جعله في السماء بروجاً، أي منازل للكواكب العظام كالزّهرة والمشتري وزحل والسماكين ونحوها، وجعله فيها الشمس ضياء والقمر نوراً ينير الأرض إذا طلع، وجعله الليل والنهار في تعاقب دائم في الضياء والظلام والزيادة والنقصان، لا عبثا وإنما ليتذكر المقصر تقصيره والمسيء إساءته، فيصلح ما بدر منه، ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم. قال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن: معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار، ومن فاته بالنهار أدركه بالليل، ففي الليل دعة وسكون وهدوء يستدعي التذكر، وفي النهار حركة وتصرف وانشغال قد يشغل عن التذكر، أو يكون سبباً لتذكر ما مر من الليل بالنوم، فيستدرك المؤمن ما فاته في أحدهما من الخير في وقت الآخر، فهما وقتان للمتذكرين والشاكرين، والله يتقبل عمل الليل وعمل النهار، فهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ثم إن سكون الليل والتصرف بالنهار نعمة تستحق الشكر[٢].

٣- خص القمر بالذكر لنوع فضيلة عند العرب لأنها تبني السنة على الشهور القمرية[٣].

٤- الترغيب في الذكر والشكر، واغتنام الفرص للعبادة والطاعة[٤]، فالمؤمن يتمعنّ ويتأمل في آيات الله، في الليل وفي النهار، كأنه يريد أن يصطاد لله نعماً يشكره عليها، على خلاف الغافل الذي لا يلتفت إلى شيء من هذا، فمن فضل الله علينا أن يُنبِّهنا إلى هذه النعم، ويلفت نظرنا إليها؛ لأننا أهل غفلة[٥].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٠٩).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ٩٩).

(٣) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان القنوجي (٩/ ٣٤٣).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٢٧).

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٤٩٦).

٥- في جعل الله تعالى الليل والنهار متعاقبين، يخلف أحدهما صاحبه اعتبارٌ واستدلال على قدرته، ومتسع لذكره، وطاعته أيضًا[١].

٦- إن الرحمن قد سبقت رحمته غضبه، فهو يحسن إلى عباده في الدنيا كافرهم ومؤمنهم، فلا يقطع عنهم الرزق والرعاية، وسخر للجميع السنن الكونية، وأطلق للجميع السعي للتعرف عليها وتسخيرها لمصالحه ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء:٢٠].

٧- يتذكر المؤمن من تعاقب الليل والنهار العبادات والطاعات، فيبقى ذاكراً لله في الليل والنهار[٢].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط" للزحيلي(٣/ ٣٤٥).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي (٥٨/١٣) تأليف/ د. صلاح الخالدي

# المبحث الثاني

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٦٣-٧٧)

صفات عباد الرحمن وعاقبتهم، وفيه اثنا عشر مطلباً:

**المطلب الأول: التواضع.**

**المطلب الثاني: التهجد.**

**المطلب الثالث: الخوف من الله.**

**المطلب الرابع: الاعتدال في الإنفاق.**

**المطلب الخامس: التوحيد الخالص.**

**المطلب السادس: تجنب القتل.**

**المطلب السابع: التنزه عن الزنا.**

**المطلب الثامن: التوبة إلى الله.**

**المطلب التاسع: تجنب شهادة الزور والكلام الباطل.**

**المطلب العاشر: قبول الموعظة.**

**المطلب الحادي عشر: الدعاء.**

**المطلب الثاني عشر: بيان عاقبة المطيعين وتهديد المخالفين.**

## المطلب الأول

## التواضع والحلم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ [الفرقان: ٦٣]

**أولاً: المناسبة:**

بعد أن وصف الكافرين بالإعراض عن عبادته، والنفور من طاعته، والسجود له عز اسمه ذكر هنا أوصاف خلص عباده المؤمنين، وبين ما لهم من فاضل الصفات، وكامل الأخلاق، التي لأجلها استحقوا جزيل الثواب من ربهم، وأكرم لأجلها مثواهم وقد عدّ من ذلك تسع صفات مما تشرئب إليها أعناق العاملين، وتتطلع إليها نفوس الصالحين، الذين يبتغون المثوبة ونيل النعيم كفاء ما اتصفوا من كريم الخلال، وأتوا به من جليل الأعمال[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية :**

١- ﴿يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾: الهون: مصدر الهَيِّن في بمعنى السكينة والوقار[٢]، تقول: هو يمشي هَوْنًا وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: « **أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**» [٣].

٢- ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾:أي: يعني السفهاء[٤].

٣- ﴿قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾: يقول: إذا سمعوا الأذى من كفار مكة، ردوا معروفًا[٥]، وقيل: ردوا سدادًا من القول[٦].

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ :الإضافة للتشريف والتكريم[٧].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

قال السعدي في تفسيره: العبودية لله نوعان: عبودية لربوبيته فهذه يشترك فيها سائر الخلق مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، فكلهم عبيد لله مربوبون مدبرون ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم:٩٣] وعبودية لألوهيته وعبادته ورحمته وهي عبودية أنبيائه وأوليائه وهي المراد هنا ولهذا

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ٣٥).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة" للأزهري ( ٤/ ٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي كتاب البر والصلة رقم ٦/ ٣١٤، رقم حديث (١٩٩٧) مرفوعاً، وقال: حديث غريب. وصححه الألباني مرفوعاً، في "غاية المرام" ٢٧٣).

(٤) ينظر: تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٢٨).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل" (ص: ٤٧).

(٦) ينظر: تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٤٧).

(٧) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٠١).

أضافها إلى اسمه "الرحمن" إشارة إلى أنهم إنما وصلوا إلى هذه الحال بسبب رحمته، فذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: ساكنين متواضعين[1].

والآية تشير إلى صفتين حميدتين وهما:

**أولاً: التواضع:** هو ترك الترؤس، وإظهار الخمول، وكراهية التعظيم، والزيادة في الإكرام، وأن يتجنب الإنسان المباهاة بما فيه من الفضائل، والمفاخرة بالجاه والمال، وأن يتحرز من الإعجاب وقيل هو: رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقه فضله ومنزلته. وهو وسط بين الكبر والضعة، فالضعة: وضع الإنسان نفسه مكانا يزري به بتضييع حقه. والكبر: رفع نفسه فوق قدره. وقيل هو: إظهار التنزل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه وقيل هو تعظيم من فوقه فضله[2] فالتواضع خلق رفيع يزين أهل العلم والفضل والنسب والجاه، يزيدهم جمالاً وبهاءً وعزاً على ما هم في. فالمؤمن هين لين، يمشي بسكينة ووقار، لا يريد علواً في الأرض ولا فساداً، ويعاشرون الناس معاشرة حسنة لينة، من غير غلظة ولا قسوة، مع الاحتفاظ بسمو النفس وعزتها، وترفعها عن الدنايا، ومن غير استضعاف ولا ذلة، وإذا أساء إليهم الجهلة، لم يقابلوهم بالإساءة، وإنما عفوا وصفحوا، ولم يقولوا إلا خيرا، وإنما يقولون للجاهل: سلاما، من السلامة لا التسليم، أو يقولون قولا سديدا.

وقد تكرر الأمر بهذا الخلق في آيات القرآن الكريم كما في قوله ﷻ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء:٣٧]. وكما جاء على لسان لقمان لابنه ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ [لقمان:١٨-١٩].

**ثانياً: الحلم:** هو ضبط النّفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أَحْلَام، قال ﷻ: ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الطور: ٣٢] وسمي الحلم لكون صاحبه جديرا بالحلم[3] إذا تعرض المؤمن لسفاهة الجهلاء لم يقابلهم بالمثل ولم ينزل إلى دركتهم، كما أخبر القرآن عنهم في آية أخرى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٤-٥٥]. وهو سلام متاركة وإعراض، لا سلام تحية وترحيب، لأن مجاراة السفهاء نوع من السفاهة والطيش[4].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- تميز القرآن الكريم بالعناية بالإيجابيات أكثر من السلبيات، وبالبناء التشريعي والعقدي والخلقي أكثر من الهدم والفوضى والانحلال، وبالأوامر الحاملة على التهذيب والفضيلة أكثر من النواحي

---

(١) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٦).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٥٣) والتوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٤٦).

(٣) ينظر: المرجع السابق. نفس الجزء و الصفحة.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٢). التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٠٦) وزهرة التفاسير (١٠/ ٥٣١٢).

التي تمنع من الانحراف والرذيلة[١]. فشخصيةُ المسلم الصالح جادةٌ إيجابيةٌ، تتصف بالصفات الحميدة التي حثَّ القرآن عليها[٢].

٢- تجد آيات القرآن تعتني بتربية جيل الإيمان، ووفد العقيدة، وموكب النور والحضارة، فالإنذار وبيان العيوب ينبه العقلاء إلى وهاد الشر والفساد، أما التبشير والترغيب: فيأخذ بأيدي الصلحاء إلى جادة الحق ومنهج الاستقامة، و نجد ذلك في وصف عباد الرحمن بصفات جليلة ودائمة.

٣- التواضع والطاعة لله تعالى: ويكون ذلك بالعلم بالله والخوف منه، والمعرفة بأحكامه، والخشية من عذابه وعقابه.

٤- الحلم والكلام الطيب: فإذا أوذوا قابلوا الإساءة بالإحسان، قال الحسن البصري: «حلماء، إن جهل عليهم لم يجهلوا» أي على نقيض خلق الجاهلية: «ونجهل فوق جهل الجاهلين» وإنما يقول المؤمن للجاهل كلاما موصوفا بالرفق واللين.

٥- فضيلة التواضع والسكينة في المشيء والوقار[٣]، فـ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ فبهم يعرف الرحمن ﷻ[٤].

٦- كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، حتى روي عن عمر أنه رأى شابا يمشي رويدا، فقال: مالك أأنت مريض؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين، فعلاه بالدّرة، وأمره أن يمشي بقوة. روي أيضا عنه أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته، فقال: إن البخترة مشية تكره إلا في سبيل الله[٥].

فعباد الرحمن يمشون على الأرض بخفةٍ ورفقٍ ووقارٍ، ولا يمشون على الأرض بعنفٍ ومرحٍ وظلمٍ واستكبارٍ وتبخترٍ وتعاظمٍ وتطاولٍ في السماء، كما يفعل الجبارون[٦].

لذا يندب للإنسان القصد أي التوسط في المشي، وهو ما بين الإسراع والبطء، فلا تدبّ دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشيطان[٧].

٧- بعض العلماء يرى أن كلمة ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ هنا تعني المعنيين: سلام المتاركة، وسلام التحية والأمان، فحين تحلُم على السَّفيه فلا تُجَاريهِ تقول له: لو تماديتُ معك سأوذيك، وأفعل بك كذا وكذا، فأنت بذلك خرجتَ من سلام المتاركة إلى سلام التحية والأمان[٨].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨١٠).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي (٦١/١٣ ) .

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٤).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣١).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٢).

(٦) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر (٦١٦/٦) عبدالرحمن حبنكة الميداني.

(٧) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٢١/ ١٥٦).

(٨) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨١٠).

## المطلب الثاني

## التهجد

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [ الفرقان: ٦٤ ]

**أولاً: المناسبة :**

لما ذكر تبارك وتعالى ما بينهم وبين الخلق من القول والفعل، وكان الغالب على ذلك أن يكون جلوة نهاراً، ذكر ما بينهم وبين خالقهم من ذلك خلوة ليلاً، وذكر هذه المعطوفات التي هي صفات بالواو، تنبيهاً على أن كل واحدة منها تستقل بالقصد لعظم خطرها، وكبر أثرها، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ ﴾ ولما كان السجود أشد أركان الصلاة تقريباً إلى الله، لكونه أنهى الخضوع مع أنه الذي أباه الجاهلون، قدمه لذلك ويعلم بادئ بدء أن القيام في الصلاة فقال: ﴿سُجَّدًا﴾ وأتبعه ما هو تلوه في المشقة تحقيقاً لأن السجود على حقيقته فيتمحص الفعلان للصلاة[1].

**ثانياً: المفردات اللغوية :**

﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ البَيْتُوتَة: دخولُك في الليل، تقول: بِتُّ أصنع كذا. ومن قال: بات فلان إذا نام؛ فقد أخطأ[2].

والمعنى: يُحيْون الليل بالصلاة ساجدين لله على جباههم، أو قائمين على أقدامهم كقوله ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الذاريات: ١٧] [3].

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

١- الطباق بين السجود والقيام ﴿سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾[4].

٢- خص قيام الليل بالذكر لأنه أبعد عن الرياء، وأشد أثراً في تهذيب النفس كما أخبر المولى عن ذلك ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل:٦ ][5].

٣- قدم السجود وإن كان متأخرا في الفعل لأجل الفواصل، ولفضل السجود فإنها حالة أقرب ما يكون العبد فيها من الله[6].

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٣/ ٤٢٢).

(٢) "تهذيب اللغة" للأزهري (١٤/ ٣٣٣).

(٣) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٩).

(٤) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٠).

(٥) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٠٧).

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير لابن حيان (٨/ ١٢٧).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

بعد ذكر معاملتهم لأنفسهم ولغيرهم، ذكر تعاملهم مع خالقهم ﷻ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ أي أن سيرتهم في الليل كسيرتهم في النهار، فنهارهم خير نهار، وليلهم خير ليل، فإذا أمسوا أو أدركوا الليل باتوا ساجدين قائمين لربهم، يصلّون بعض الليل أو أكثره، طائعين عابدين، كما قال ﷻ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات : ١٧-١٨]، وقال ﷻ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... ﴾ [السجدة:٣٢-١٦]، وقال ﷻ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر:٣٩-٩][١].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- في هذه الآية حض على قيام الليل في الصلاة، فهو عبادة خالصة لله تعالى في جوف الليل، وهي أكثر خشوعاً وأضبط معنى، وأبعد للرياء[٢].

٢- المؤمنون يستمتعون بلذة المناجاة مع الإله الخالق، يصلون صلاة الليل، ويذكرون ربهم ساجدين قانتين، قائمين طائعين، لأن العبادة تحلو في جوف الليل، وتكون دليلا على الإخلاص والصدق، وحب التقرب من الله تعالى، كما جاء عن عبادة الليل في آية أخرى ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل:٦ ] [٣].

٣- هذه صفة تختلف باختلاف الناس فمنهم من إذا صلّى العشاء في جماعة وأتبعها بسنتها ثم صلّى الفجر في جماعة كان متصفاً بأنه بات لربه ساجداً وقائماً، ومن الناس من يصدق فيهم قوله ﷻ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ وقوله ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ... ﴾ وفي الحق أن كل نفس عليها ما تستطيعه بل وأقل منه حتى لا تنفر من العبادة، ولا يصيبها الملل والكسل[٤].

٤- على المسلم الإكثار من الأعمال الصالحة والطاعات وذكر الله والتضرع إليه[٥]، حيث أن التعبير يبرز من الصلاة السجود والقيام لتصوير حركة عباد الرحمن، في جنح الليل والناس نيام، فهؤلاء قوم يبيتون لربهم سجدا وقياما، يتوجهون لربهم وحده، ويقومون له وحده، ويسجدون له وحده، هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ، بما هو أروح منه وأمتع، مشغولون بالتوجه إلى ربهم، وتعليق أرواحهم وجوارحهم به، ينام الناس وهم قائمون ساجدون ويخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن، ذي الجلال والإكرام، وهم في قيامهم وسجودهم وتطلعهم وتعلقهم تمتلئ قلوبهم بالتقوى.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (١٩/ ١٠٧).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٤).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٠٦).

(٤) ينظر: التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود (٢/ ٧٣٦).

(٥) التفسير المنهجي د. صلاح لخالدي (٦١/١٣).

## المطلب الثالث

## الخوف من الله

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٦٦ ﴾ [ الفرقان: ٦٥ - ٦٦ ]

**أولاً: المناسبة :**

لما ذكر تهذيبهم لأنفسهم للخلق والخالق، أشار إلى أنه لا إعجاب عندهم، بل هم وجلون، وأن الحامل لهم على ذلك الإيمان بالآخرة التي كذب بها الجاهلون ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وقدموا الدعاء بالنجاة اهتماماً بدرء المفسدة، وإشعاراً بأنهم مستحقون لذلك وإن اجتهدوا، لتقصيرهم عن أن يقدروه سبحانه حق قدره فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾[1].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ قال ابن عباس: إنهم يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم[2]. أي: ادفعه عنا بالعصمة من أسبابه ومغفرة ما وقع منا مما هو مقتض للعذاب[3].

٢- ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ الغرام: العذاب اللازم، أو الشر اللازم، والغُرْمُ: أداءُ شيء يَلزم[4]، وقيل: ﴿غَرَامًا﴾ مُلَازِمًا لأَهْلِهَا بمنزلةِ مُلَازَمَةِ الغَرِيمِ لِغَرِيمِهِ[5].

٣- ﴿إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ أي بئست جهنم منزلاً ومكان إقامة. قال القرطبي: المعنى بئس المستقر وبئس المقام[6].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ إن المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء، فمع خشوعهم وقيامهم بالليل يخشون ربهم أن يردها عليهم، ويتهمون أنفسهم بعد أدائها على الوجه الأكمل بعدم صدق النية والإخلاص فيها لله تعالى. يقول عز من قائل ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٣/ ٤٢٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٧٢.)

(٣) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٦)

(٤) ينظر: كتاب "العين" ٤/ ٤١٨ (غرم)، ونقله عنه الأزهري، "تهذيب اللغة" (٨/ ١٣١).

(٥) ينظر: تفسير غريب القرآن – الكواري (٢٥/ ٦٥).

(٦) ينظر: صفوة التفاسير (٢/ ٣٣٩)، وتفسير القرطبي (١٣/ ٧٢).

**وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾، قالت عائشة ﷺ: يا رسول الله أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر وهو يخاف الله ﷻ؟ فقال لها: «"لا يا بنت الصديق" ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق، وهو مع ذلك يخاف الله ﷻ»** [1].

إن هذا القول يناسب عباد الرحمن الذين يفعلون الخيرات، طمعاً في الثواب، وخوفاً من العقاب، فهم الذين يقولون ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازماً دائماً. ثم تذكر الآيات سبب هذه المقولة: ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ساء الشيء أي: قَبُحَ، وضده حَسُن، لذلك قال تعالى عن الجنة في مقابل هذه الآية: ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٦] وهكذا السوء يلازمه القُبْح، والحَسَن يلازمه الحُسْن.

وقال: ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ حتى لا يظنوا أن النار فترة وتنتهي، ثم يخرجون منها، فهي مستقرهم الدائم، ومُقامهم الذي لا يفارقونه.

أو أن الحق ﷻ أراد بهذا نوعين من الناس: مؤمن أسرف في بعض السيئات ولم يتُبْ، أو لم يتقبل الله منه توبته، فهو في النار لحين، والمستقر هنا بمعنى المكان المؤقت، أما المقام فهو الطويل.

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- الخوف من عذاب الله تعالى: أي أنهم مع طاعتهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله، سواء في سجودهم وقيامهم ، وهم يقولون ذلك عن علم، وإذا قالوه عن علم، كانوا أعرف بعظم قدر ما يطلبون، فيكون ذلك أقرب إلى النجاح[2].

٢- من صفات عباد الرحمن أنهم يخافون من عذاب الله في جهنم، فهم يدعون ربهم بصرف عذاب النار عنهم، حتى يكونوا دائماً في حذر وخوف مع الرجاء، وحيث يكون ذلك دليلاً على صحة عقيدتهم وإيمانهم، وتطابق أعمالهم مع اعتقادهم.

٣- إن المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء، فمع خشوعه وقيامه بالليل يخشى ربه أن يرده عليه، ويتهم نفسه بعد أدائها على الوجه الأكمل بعدم صدق النية والإخلاص فيها لله تعالى[3].

---

(١) رواه. الترمذي أبواب تفسير القرآن، باب ٢٤ بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ ٥/١٨٠ حديث رقم (٣١٧٥)، وقال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٢٥٥ أنه صحيح. وفي مسند الامام احمد حديث رقم (٢٥٢٦٣) مسند عائشة ﷺ.

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٥).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٠٧).

## المطلب الرابع

## الاعتدال في الإنفاق

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾ [الفرقان: ٦٧]

**أولاً: المناسبة :**

بعد أن ذكر حال عباد اللَّه مع اللَّه، ومع الناس أخذ ﷻ يذكر حالهم في أنفسهم، ودنياهم وأسرهم، فقال عز من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ...﴾[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١ – ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾:يقال: قَتَر الرجل على عياله، يَقْتِرُ ويَقْتُرُ قَتْرًا، مثل: يَعْكُف ويعكِف، ويفسُق ويفسِق، ويحشُر ويحشِر، إذا ضَيَّق ولم يُنفق إلا قدر ما يُمسك الرَّمَق[٢]. واختلفوا في معنى هذا الإسراف والإقتار؛ فقال الكلبي، والنخعي: هذا في الإنفاق على العيال، إذا أنفقوا على أهلهم وعيالهم وعلى أنفسهم لم يسرفوا في النفقة.

الإسراف: تجاوز الحد في الإنفاق، والإقتار: التقصير عما لا بد منه[٣].

والمعنى: ليسوا مبذرين في إنفاقهم في المطاعم والمشارب والملابس، ولا مقصِّرين ومضيّقين بحيث يصبحون بخلاء[٤].

٢–﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾: القِوام من العيش: ما أقامك وأغناك. وقِوام الجسم: تمامه، وقِوام كلِّ شيء ما استقام به[٥]. ﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ أي: وكان إنفاقُهم وسطاً معتدلاً بين الإسراف والتقتير[٦].

**ثالثاً: القراءات:**

- قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: بفتح الياء، وكسر التاء. ﴿يَقتِرُواْ﴾.
- وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿يَقۡتُرُواْ﴾ بفتح الياء، وضم التاء.
- قرأ نافع، وابن عامر: ﴿يُقتِروا﴾ بضم الياء، وكسر التاء[٧].

---

(١) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣١٤).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري(٩/ ١٤٥).

(٣) ينظر: تفسير البغوي ٦/ ٩٤.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٩)

(٥) ينظر: تهذيب اللغة للأزهري (٩/ ٣٦٠) (قام).

(٦) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٩).

(٧) ينظر: كتاب السبعة في القراءات" ٤٦٦، و"الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٤٨، و"النشر" ٢/ ٣٣٤.)

ذهب جمهور العماء إلى أن ﴿قتر يقتر ويقتِر واقتر﴾ لغات بمعنى واحد تفيد التضييق في الإنفاق، قال الطبري بعد أن ذكر اختلاف القراء في هذه القراءة :" والصواب من القول في ذلك أن كل هذه القراءات على اختلاف ألفاظها لغات مشهورات في العرب وقراءات مستفيضات . وفي كل قراء الأمصار بمعنى واحد، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب"(١).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

الإسلام دين العدل والوسطية في جميع شؤون الحياة، وقد وجه رب العزة والجلال رسوله ومن ورائه أمته بقوله ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء:٢٩]. وهذا الاعتدال يكون في الإنفاق على الملذات المباحة، أما في الأمور المطلوبة شرعاً فلا يقال فيها سرف، قال الحسن البصري: ليس في النفقة في سبيل الله سرف، وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف، وقالوا: لا سرف في الخير، ولا خير في السرف(٢).

إنَّ الذي لا يُسْرِفُ هو المُنْفِقُ في الطاعة وإنْ أفرط، والمُسْرِفَ هو المُنْفِقُ في المعصية وإنْ قَلَّ إنفاقهُ، وإنَّ الْمُقتِرَ هو الذي يمنع حَقّاً عليه وهذا قول ابن عباس وغيره، والوجه أَنْ يقال: إنَّ النفقة في المعصية أمر قد حَظَرَتِ الشريعةُ قليلَه وكثيره، وهؤلاءِ الموصوفون مُنَزَّهُونَ عن ذلك، وإنَّما التأديب بهذه الآية هو في نفقة الطاعات والمُبَاحَاتِ، فأدب الشريعة فيها ألاَّ يفرط الإنسانِ حتى يُضَيِّعَ حَقّاً آخر أو عيالاً ونحو هذا، وألّا يضيّق أيضاً ويقتر حتى يجمع العيالَ ويفرط في الشُّحِّ، والحَسَنُ في ذلك هو القوام، أي: الاعتدال، والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله، وخير الأمور أوساطها ولهذا ترك النّبيّ ﷺ أبا بكْرٍ الصِّدِّيقَ يَتَصَدَّقُ بِجَمِيعِ مَالِهِ لأَنَّ ذلك وَسَطٌ بنسبة جَلَدِهِ وَصَبْرِهِ في الدِّينِ، ومنع غيره من ذلك(٣).

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- عنى الإسلام بترشيد الاستهلاك، والحث على الاعتدال في الإنفاق، وهو ما وصف الله به عباد الرحمن المقربين إليه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾. وما أمر به في وصايا الحكمة من سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾.

٢- الوسطية في الاعتدال، وترك الإسراف والتقتير.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان (١٩/ ٣٠٢).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٠٨/١٩).

(٣) ينظر: من تفسير الثعالبي الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٤/ ٢١٨ )و البغوي (٣/ ٣٧٦) ، وابن عطية (٤/ ٢٢٠) والسيوطي (٥/ ١٤٢) .

٣- التبذير سبب في ضياع مال الشخص ومال الأمة:﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [الإسراء: ٢٧]، ومن المعلوم أنه لا سرف في الخير، ولا خير في السرف، من فقه الرجل قصده في معيشته.

٤- الاعتدال في الإنفاق دون إسراف ولا تقتير، والمراد من النفقة نفقة الطاعات في المباحات، فهذه يطالب فيها الإنسان ألا يفرط فيها حتى يضيع حقا آخر أو عيالا، وألا يضيق أيضا ويقتر، حتى يجيع العيال، ويفرط في الشح، والحسن في ذلك هو القوام، أي العدل، والقوام في كل واحد بحسب حاله وعياله، وصبره وجلده على الكسب، وخير الأمور أوساطها، وهذه الوسطية خير للإنسان في دينه وصحته ودنياه وآخرته.

أما النفقة في معصية الله فهو محظور حظرته الشريعة قليلا كان أو كثيرا، وكذلك التعدي على مال الغير، هو حرام أيضا(١).

٥- الإسراف والتقتير كلاهما مفسد لحياة الأفراد والجماعات والأمم، لأن الإسراف تضييع للمال في غير محله. والتقتير إمساك له عن وجوهه المشروعة، يُحدِث كساداً، ويُحدِث بطالة، وهما من أشد الأمراض فتكاً بالمجتمع(٢)، أما الوسط والاعتدال في انفاق المال، فهو سمة من سمات العقلاء الذين على أكتافهم تنهض الأمم، وتسعد الأفراد والجماعات(٣).

٦- من صفات عباد الرحمن أنهم ملتزمون في إنفاقهم التوسط، فلا هم مسرفون ومتجاوزون.

٧- جرت الآية على مراعاة الأحوال الغالبة في إنفاق الناس. قال القرطبي: والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله ولهذا ترك رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق يتصدق بجميع ماله ومنع غيره من ذلك(٤).

٩- فضيلة الاعتدال والقصد في النفقة وهي حسنة بين السيئتين. روي أن عبد الملك بن مروان سأل بنته فاطمة وهي تحت ابن أخيه عمر بن عبد العزيز وقد زارهما بالمدينة فقال لها كيف نفقتكم؟ فقالت: الحسنة بين السيئتين. تعني قول ﷻ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ ﴾وقيل: المسؤول زوجها عمر وهو الذي أجاب والله أعلم وفي الحديث: {إن من السرف أن تأكل كل ما تشتهي}(٥).

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٥).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥١٠).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢١٩).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٧٢).

(٥) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣١).

١٠- هذه الآية الكريمة التي هي ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾الآية، قد بينت أحد ركني ما يسمى الآن بالاقتصاد.

وإيضاح ذلك أنه لا خلاف بين العقلاء أن جميع مسائل الاقتصاد على كثرتها واختلاف أنواعها راجعة بالتقسيم الأول إلى أصلين، لا ثالث لهما.

الأول منهما: اكتساب المال.

والثاني منهما: صرفه في مصارفه، وبه تعلم أن الاقتصاد عمل مزدوج، ولا فائدة في واحد من الأصلين المذكورين إلا بوجود الآخر، فلو كان الإنسان أحسن الناس نظرا في وجه اكتساب المال، إلا أنه أخرق جاهل بأوجه صرفه، فإن جميع ما حصل من المال يضيع عليه بدون فائدة، وكذلك إذا كان الإنسان أحسن الناس نظرا في صرف المال في مصارفه المنتجة إلا أنه أخرق جاهل بأوجه اكتسابه، فإنه لا ينفعه حسن نظره في الصرف مع أنه لم يقدر على تحصيل شيء يصرفه، والآيات المذكورة أرشدت الناس ونبهتهم على الاقتصاد في الصرف(١).

١١- يلزم على المسلمين في أقطار الدنيا التعاون على اقتصاد يجيزه خالق السماوات والأرض، على لسان رسوله ﷺ ، ويكون كفيلا بمعرفة طرق تحصيل المال بالأوجه الشرعية، وصرفه في مصارفه المنتجة الجائزة شرعا؛ لأن الاقتصاد الموجود الآن في أقطار الدنيا لا يبيحه الشرع الكريم، لأن الذين نظموا طرقه ليسوا بمسلمين، فمعاملات البنوك والشركات لا تجد شيئاً منها، يجوز شرعاً، لأنها إما مشتملة على زيادات ربوية، أو على غرر، لا تجوز معه المعاملة كأنواع التأمين المتعارفة عند الشركات اليوم في أقطار الدنيا، فإنك لا تكاد تجد شيئاً منها سالماً من الغرر، وتحريم بيع الغرر ثابت عن النبي ﷺ ، ومن المعلوم أن من يدعي إباحة أنواع التأمين المعروفة عند الشركات، من المعاصرين أنه مخطئ في ذلك، ولأنه لا دليل معه، بل الأدلة الصحيحة على خلاف ما يقول، والعلم عند الله تعالى(٢).

١٣- الاقتصاد فضيلة بشرط أن لا يصل إلى حد التقتير والمبالغة في الإمساك. فالإقتار والبخل له انعكاسات و آثار سلبية على الفرد و المجتمع ، فهما سببا قسوة القلب والأنانية والبعد عن الله والناس . عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ: « **البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار**» (٣) كما يؤديان إلى العداوة والبغضاء وانتشار الفوارق الاجتماعية والجرائم وكسر قلوب الفقراء والمساكين والبؤساء الذين لا يكادون يحصلون على ما يسد حاجاتهم إلا بمشقة.

---

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٦/ ٧٧).

(٢) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٦/ ٧٩).

(٣) رواه البيهقي في شعب الايمان باب الجود والسخاء ٧ /٤٢٨ حديث رقم (١٠٨٤٨) ، وقال الشيخ الألباني: ( ضعيف جدا ) ينظر حديث رقم: (٣٣٤١) في ضعيف الجامع.

فإنهم عندما يرون هذه الأموال المبذرة المصروفة في غير وجوهها المشروعة، تنقبض نفوسهم، وتضيق صدورهم، وتنكسر قلوبهم. وقد عبر رسول الله ﷺ عن بعض هذه الأثار في الحديث الذي رواه عنه جابر رضي الله عنه فقال: « **اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قلبكم حملهم على سفكوا دمائهم واستحلوا محرماتهم** » [1].

وعن أبي سعد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ: «**خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الأخلاق** » [2].

١٤- المناهج التربوية الصحيحة تنتج أناسا ربانيين يتصفون بالكمالات الخلقية، والسلوك المستقيم والاعتدال والوسطية في جميع تصرفاتهم ومعاملاتهم مع أنفسهم ومع غيرهم من الناس ومع خالقهم ﷻ.

١٥- الإسراف والبذخ طريقان إلى الترف، والترف يؤدي لا محالة إلى زوال الأمة . كما قال ﷻ:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ ﴿الإسراء:١٦﴾

وقال: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ ﴿الأنبياء:١١-١٣﴾

١٦- الإسراف سبب لنزع البركة في المال.

١٧- ينتج عن التبذير اهتزاز اقتصاد الدولة المسلمة وتدني مستواه، وربما أصيبت ميزانيتها بعجز كبير، وهبطت عملتها إلى مستوى الحضيض، الأمر الذي يؤدي إلى التضخم، ومن ثم ترتفع الأسعار ويعم الغلاء، وينخفض سعر العملة في الخارج، وتنزح رؤوس الأموال خارج البلاد.

١٨- إن تبذير الأموال وإضاعتها خسارة فادحة على الأمة المسلمة، فإنها ثروة عزيزة تقوي جانب الأمة وتشيد حضارتها، فالمقصد الشرعي أن تكون أموال الأمة عدة لها وقوة لابتناء أساس مجدها والحفاظ على مكانتها حتى تكون مرهوبة الجانب مرموقة بعين الاعتبار، غير محتاجة إلى من قد يستغل حاجتها فيبتز منافعها ويدخلها تحت نير سلطانه.

١٩- الإسراف فيه إذكاء للبغضاء والشحناء بين طبقات المجتمع (الأغنياء والفقراء) .

---

(١) صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب ١٥ تحريم الظلم. ١٩٩٦/٤ حديث رقم( ٥٦).

(٢) سنن الترمذي أبواب البر والصلة ،باب٤١ بَابُ مَا جَاءَ فِي البَخِيلِ. ٤٠٨/٣ حديث رقم (١٩٦٢).

## المطلب الخامس

## التوحيد الخالص

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٦٩]

**أولاً: المناسبة:**

لما ذكر الله سبحانه و تعالى ما تحلوا به من أصول الطاعات، بما لهم من العدل والإحسان بالأفعال والأقوال، في الأبدان والأموال، أتبعه ما تخلوا عنه من أمهات المعاصي التي هي الفحشاء والمنكر، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ رحمة لأنفسهم واستعمالاً للعدل مع الله أي الذي اختص بصفات الكمال إلهاً[1].

قال أبو السعود: " شروعٌ في بيان اجتنابِهم عن المعاصي بعد بيانِ إتيانِهم بالطَّاعات وذكرُ نفيِ الإسرافِ والقَتْرِ لتحقيقِ معنى الاقتصادِ والتَّصريحُ بوصفِهم بنفيِ الإشراكِ مع ظهورِ إيمانِهم لإظهارِ كمالِ الاعتناء بالتَّوحيدِ والإخلاصِ وتهويلِ أمرِ القتلِ والزِّنا بنظمِهما في سلكِه وللتَّعريضِ بما كانَ عليه الكَفَرةُ من قُريشٍ وغيرِهم"[2].

**ثانياً: سبب نزول الآية:**

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزلت ونزل: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ... ﴾ [الزمر: ٥٣] [3].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾: أي لا يعبدون معه تعالى إلهاً آخر، بل يوحّدونه مخلصين له الدين[4].

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٣/ ٤٢٥).

(٢) تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير،٨/ ٥٤٩ حديث رقم: (٤٨١٠)،. ومسلم كتاب الإيمان، باب رقم ١٢٢ ، ١/ ١١٣، حديث رقم (١٩٣)، وأخرجه الواحدي، بسنده في "أسباب النزول" ٣٣٥.و المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (٢/ ٧٦٢).

(٤) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٠٢) وصفوة التفاسيرللصابوني (٢/ ٣٣٩).

**رابعاً: القراءات:**

- قرأ ابن كثير: ﴿**يُضعَّف...يخلدْ**﴾ بتشديد العين، بغير ألف، مع الجزم في الكلمتين. والجزم مع الألف قراءة حفص عن عاصم، ونافع، وأبي عمرو، وحمزة والكسائي. ﴿**يُضَٰعَفۡ... وَيَخۡلُدۡ**﴾.
- وقرأ ابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر بالرفع في الموضعين ﴿**يُضعَّفُ...يخلدُ**﴾[1].

وأما قراءة﴿**يُضعَّف**﴾ بالتشديد و﴿**يُضَٰعَفۡ**﴾ بالألف والتخفيف فذهب جمهور العلماء إلى أنهما بمعنى واحد. لأنهما تفيدان الكثرة والتكرار، فالتشديد يفيد الكثرة والمداومة مرة بعد مرة. ويرى أبو عمر أن﴿**ضاعفت**﴾ تفيد الكثرة أكثر من﴿**ضعفت**﴾ لأن ﴿**ضعفت**﴾ معناه مرتان أما ضاعفت (فمعناه جعلته أكثر من مرتين). وأما قراءة ﴿**يخلد**﴾ بالجزم والرفع فنسق على﴿ **يضاعف**﴾ بالجزم والرفع. وبالجمع بين القراءتين: يتبين أن الله يكثر العذاب لمن يرتكبون تلك الآثام المذكورة ويجمعون بين الكفر والمعاصي ويضاعفه عليهم مرة بعد مرة بعد اجتماع أنواع العذاب الحسي والمعنوي لهم في نار جهنم[2].

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

والمعنى: لا يدعون معه رباً، ولا يشركون به شيئاً بل يوحدونه، ويخلصون له العبادة والدعوة. ويقال الشرك ثلاثة:

أولاً: أن يعبد غير الله تعالى. ثانياً: أن يطيع مخلوقاً بما يأمره من المعصية. ثالثاً أن يعمل لغير وجه الله تعالى.

فالأول كفر، والآخران معصية وكأن في ذكر هذه الكبائر في هذا السياق وبيان تنزه عباد الرحمن عنها تعريضا بما كان عليه أعداؤهم من المكذبين بالقرآن والرسول الذي جاء به. والشرك بالله من أكبر الكبائر على الإطلاق. وقد صرح القرآن الكريم أن الذنوب جميعها تحت مشيئة الله تعالى إن لم يتب عنها المذنب، إن شاء غفرها وإن شاء عاقب عليها، إلا الشرك فلا تجاوز عن المشرك يقول ﷻ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ١١٦][3] **عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه سأل رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أن**

---

(١) ينظر: كتاب السبعة في القراءات" ص ٤٦٧، و"الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٥٠، و"النشر" ٢/ ٣٣٤.

(٢) ينظر: "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٥١٤.

(٣) ينظر فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٣٤٩.) و الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٦/ ٢٧٧).و تفسير السمرقندي بحر العلوم (٢/ ٥٤٥). اللباب في علوم الكتاب (١٤/ ٥٦٩).

**تدعو لله نداً وهو خلقك. قال ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»**[1].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- إن أكبر الكبائر الإشراك بالله تعالى، ذلك لأن الشرك ظلمات متراكمة بعضها فوق بعض، وحجب متلاطمة لا يقرّ لها قرار، فهو يجعل الإنسان عبداً للمخلوق، وهو لا يعبد المخلوق إلا جلباً لفائدة أو دفعاً لضرر، فهو في الواقع عبد لمصلحته، وبالتالي هو عبد لنفسه، وعبادة النفس معناها أن الشخص غير صالح ليكون عضواً كريماً عاملاً على الرقي بالجماعة الإنسانية محققاً لسعادتها، بل هو على الضد من ذلك يكون عدواً للإنسانية، هادماً لأركانها، ساعياً في شقائها دون أن يدري؛ إذ إن الشرك يقلب الأوضاع، فيجعل الحقّ باطلاً، والباطل حقاً، والخالق مخلوقاً، والمخلوق خالقاً، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تبنى قواعد الجماعات على أسس سليمة، ذلك لأن العلاقات الإنسانية تكون مبنية على مستلزمات الشرك، وهي الجشع والتربص والحقد والكذب وسفك الدماء والعدوان والاستعباد والإذلال. كل ذلك يؤدي إلى انفراط نظام العقد الإنساني الذي يتحوّل إلى فوضى لا ضابط لها ولا رابط، يسودها الخوف، ويخيّم عليها القلق، وتتخلّلها الحروب التي لا تنتهي، والتي تسببها الأطماع التي لا تنتهي، وحينئذ تصبح الحياة شقاء لا سعادة فيه، وجحيماً لا يطاق، يعذّب فيه البشر بعضهم بعضا[2].

٢- البعد عن الشرك: وهو عبادة أحد مع الله أو عبادة غير الله، وهو أكبر الجرائم، لذا قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[3]، هذا هو الانحراف الأول الذي تجنبه عباد الرحمن، وهذا أول معصية تحط من قدر الإنسان، وتنزل به إلى أكبر المهاوي الإنسانية ﴿يَدۡعُونَ﴾ يعني يعبدون، لأن العبادة دعاء للَّه تعالى وضراعة إليه، وتسليم كل أمورهم في جنب اللَّه، والدعاء مخ العبادة، كما قال ﷺ ، والإنسان يهبط في درجة الإنسانية إذا عبد غير اللَّه، وأي كرامة إنسانية لمن يعبد حجرا لَا يضر ولا ينفع، أو يعبد إنسانا مثله، أو يعبد ما يصوره وهمه كالملائكة يتصور أنها تعبد، أو نارا، أو غيرها، ومن يعبد شيئا من هذا، إنما يعبد وهما تدفع إليه شهوة منحرفة، فقد اتخذ إلهه هواه[4].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ٦ /١٨ رقم الحديث(٤٤٧٧) ، صحيح مسلم: كتاب الايمان باب ٣٧ باب كون الشرك أقبح الذنوب ٦٣/١ ، حديث رقم (١٤١) ، الترمذي: كتاب تفسير القرآن باب٢٦ بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْفُرْقَانِ. ٥ /١٨٩،حديث رقم (٣١٨٢).

(٢) ينظر: دعوة التوحيد، لمحمد خليل هراس (٧٢-٧).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٥).

(٤) زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣١٦).

٣- توحيد الله أساس هذه العقيدة، ومفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة في الاعتقاد والغموض والالتواء والتعقيد، الذي لا يقوم على أساسه نظام صالح للحياة[١].

٤- المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً أي ذليلا[٢].

٥- المسلم يحذر من الذنوب و المعاصي ، ويكون أكثرَ حَذَراً[٣].

٦- الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

٧- الشرك يسبب الخوف وينزع الأمن في الدنيا والآخرة.

٨- الشرك بالله يحبط جميع الأعمال، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال ﷻ: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥] [٤].

٩- الشرك بالله يطفئ نور الفطرة؛ لأن الله ﷻ فطر الناس على توحيده وطاعته، قال ﷻ: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]. قال النبي ﷺ: « **ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**» [٥]. وفي الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تعالى: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً**» [٦].

١٠- الشرك بالله يقضي على الأخلاق الفاضلة، لأن أخلاق النفس الفاضلة من الفطرة وإذا كان الشرك يقضي على الفطرة فمن باب أولى أن يقضي على ما انبنى على فطرة الله من الأخلاق.

١١- الشرك هو السبب الأعظم في نيل غضب الله وعقابه، والبعد عن رحمته نعوذ بالله من كل ما يغضبه.

---

(٤) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٧٩).

(٢) ينظر: تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ٣١٩).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٦١/١٣).

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية (٩٨/١).

(٥) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ١١٩/٢، رقم الحديث (١٣٥٨)، ومسلم، كتاب القدر باب ٦ ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٢٠٤٧/٤، رقم الحديث (٢٦٥٨).

(٦ ) مسلم، كتاب الجنة، باب ١٦ باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، ٢١٩٧/١، رقم الحديث (٢٨٦٥) و ينظر: مدارج السالكين (٣٦٨/١-٣٦٩) .

## المطلب السادس

## تجنب القتل

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ ﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٦٩]

**أولاً: المناسبة:**

لما نهى الله تعالى عن الشرك وقرر وجوب الإخلاص والتوحيد، أتبعه بتحريم قتل النفس إلا أن يكون ذلك بحق ثابت مُحلّ لقتلها، وإن من الأسباب المبيحة لقتل النفس بالحق الشرك، والزنا للمحصن.

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: لا يقتلون النفس التي حرَّم الله قتلها إلا بما يحقُّ أن تُقتل به النفوس من كفرٍ بعد إيمان، أو زنىً بعد إحصان، أو القتل قِصاصاً[1].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

لقد حرم الإسلام قتل النفس وعصمها إلا في حالات حددها الإسلام بثلاث كما جاء في قول رسول الله ﷺ : «**لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**» [2]. والحفاظ على النفس وعصمة الدماء من الكليات الخمس التي جاءت شرائع الإسلام للحفاظ عليها وهي: الدين، النفس، العقل، العرض، المال[3].

**ثالثاً: تحقيق الأهداف والمقاصد :**

١- الأصل في النفوس الصيانة، وألا يُعتَدى عليها، ويُحفَظ أمنها، وأنه لَا تُستَبَاح الأنفس، إلا بحق كما قال ﷻ: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ ﴾ [المائدة :٣٢][4]، فالابتعاد عن إزهاق النفس الإنسانية عمدا دون حق، وهو اعتداء على صنع الله، وإهدار لحق

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٩).

(٢) صحيح البخاري كتاب الديات بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: {أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥] ٥/٩ حديث رقم (٦٨٧٨)، وصحيح مسلم كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم.١٣٠٢/٣ حديث رقم (٢٥).

(٣) ينظر التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢١٩) و التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٠٩).

(٤) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣١٧).

الحياة الذي هو أقدس حقوق الإنسان. أما القتل بحق كالقتل بسبب الردة أو زنى المحصن أو القصاص فجائز من قبل الحاكم[1].

٢- التحرج من قتل النفس إلا بالحق مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة التي تحترم فيها الحياة الإنسانية ويقام لها وزن وحياة في الْأَرْضِ﴿ ...مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2]. وبين حياة الغاب التي لا أمن فيها ولا أمان ولا استقرار، وإن الأرض اليوم تشهد واقعاً لم يشهد له مثيل في التاريخ البشري، حيث سفك الدماء في كل بقعة من بقاع الأرض، وظلم ممنهج له وقوانين ومسوّقون عبر وسائل الإعلام، وله حماة وحرّاس ومدافعون ومؤيدون، أمرٌ في غاية الغرابة. فلا عجب أن تسمع بعد ذلك بعشرات يقتلون هنا، ومئات هناك يومياً، وكل ذلك بسبب غياب الحق ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾. لذا فإن واجب الفرد والمجتمع هو تجنيد الطاقات المادية والشرعية لرفع الوعي بخطورة سفك الدماء والاستخفاف بالمحرمات وتذكير الناس بما تؤديه الجنايات من تصدع في جدار المجتمع فيقف الجميع سداً منيعاً ضد من يريد خلخلة الكيان وضد من يريد النيل من أفراده، ومتى عرف الجميع الهدف المناط به وتقلده أظلتهم حياة اجتماعية متكاملة في جميع الجوانب.

٣- قال الحافظ ابن كثير: "وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل. ولا تعارض بين هذه وآية النساء ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء: ٩٣] الآية، فإن هذه، وإن كانت مدنية، إلا أنها مطلقة. فتحمل على من لم يتب. لأن هذه مقيدة بالتوبة. ثم قال ﷻ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾، وقد ثبتت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ بصحة توبة القاتل. كما ذكر مقرراً من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب فقبل الله توبته[3]، وغير ذلك من الأحاديث"[4].

٤- القتل ينافي حكمة وجود الإنسان ويضاد نظام العالم لأن فاعله عدو للنوع الإنساني.

٥- قتل النفس المحرمة من أعظم الفساد في الأرض لا تأمن معه السبل ولا ترتقي بالأمم، إنه جاهلية خرقاء، وإذا كان ظاهرة أعاد المجتمع إلى الوراء فقل إنتاجه وضعف كيانه الاقتصادي والتجاري والثقافي.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٥).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن (٥/ ٢٥٧٩).

(٣) أخرجه مسلم في بَابُ ٨ قَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاتِلِ وَإِنْ كَثُرَ قَتْلُهُ ٢١١٨/٤ رقم الحديث (٢٧٦٦) ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٦١٤/٤ رقم الحديث٢٣٢٧ باب الاستغفار و التوبة .

(٤) تفسير ابن كثير (٦/ ١٢٦-١٢٧).

٦- القاتل ظالم لنفسه وعاص لله ورسوله فالله سبحانه موجده والرسول ﷺ أنار طريقه ولكن أضل طريق الحق.

٧- إشغال الدولة بصرف شيء من مجهودها لمتابعة الجناة وتقصي الحقائق مما ينعكس على دورها في التنمية وإسراع عجلتها.

٨- ترويع المسلمين وزرع الخوف بينهم فيسيء بعضهم الظن ببعض، وتتمزق أواصر الصلة وينقطع عمل المعروف والوصال والمحبة بينهم.

## المطلب السابع

## التنزه عن الزنا

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٦٩]

**أولاً: المناسبة:**

لما ذكر القتل الجلي، أتبعه الخفي بتضييع نسب الولد، فقال: ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ أي رحمة لما قد يحدث من ولد، إبقاء على نسبه، ورحمة للمزني بها ولأقاربها أن تنتهك حرماتهم، مع رحمته لنفسه، على أن الزنى جارّ أيضاً إلى القتل والفتن، وفيه التسبب لإيجاد نفس بالباطل كما أن القتل تسبب إلى إعدامها بذلك[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾: الزنا: وطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها، أو هو إيلاج (إدخال) فرج في فرج مشتهى طبعا محرّم شرعا. فإذا كان ذلك وجب الحد[٢].

والمعنى: أي لا يرتكبون جريمة الزنى التي هي من أفحش الجرائم[٣].

٢- ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: هذه الخصال جميعًا[٤].

٣- ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: يلق عقوبة[٥].

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٣/ ٤٢٦)

(٢) ينظر: التعريفات (ص: ١١٥) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٨٧)

(٣) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٩).

(٤) تفسير مقاتل (ص ٤٧).

(٥) ينظر: "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٨١، و قال الأزهري "تهذيب اللغة" ١٥/ ١٦أي: عقوبة مجازاة العقوق.

٤- ﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ﴾: أي يُضاعف عقابُه ويُغلَّظ بسبب الشرك وبسبب المعاصي[١].

٥- ﴿وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ أي يُخلد في ذلك العذاب حقيراً ذليلاً أبد الآبدين[٢].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

نظم الإسلام الغرائز لدى الفرد وهذبها، فلم يطلق لها العنان للإشباع، ولم يكبتها فيحرمها من نيل نصيبها من الاستمتاع، وإنما أشبعها بطريق منظم لتؤدي وظيفتها الإيجابية في الحياة وعلى رأس هذه الغرائز غريزة الجنس فشرع النكاح وشرط له شروطاً لضمان استمرار النسل البشري من غير اختلاط في الأنساب ليبقى المجتمع متماسك البنيان، سليماً من الآفات والأمراض الناجمة من الفوضى الجنسية والانحرافات الخلقية.

﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ﴾ يقول: ومن يأت هذه الأفعال، فدعا مع الله إلها آخر، وقتل النفس التي حرّم الله بغير الحق، وزنى ﴿يَلۡقَ أَثَامٗا﴾ يقول: يلق من عقاب الله عقوبة ونكالاً كما وصفه ربنا جلّ ثناؤه. يعني بالأثام: العقاب﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ أي ومن يفعل واحدة من تلك الجرائم الثلاث، يلق في الآخرة عقاباً شديداً وجزاء إثمه وذنبه الذي ارتكبه، بل يضاعف له العذاب ضعفين بسبب انضمام المعصية إلى الكفر، ويخلد في نار جهنم أبداً مع الإهانة والإذلال والاحتقار، وذلك عذابان: حسي ومعنوي. ومهاناً حال قصد منها تشنيع حالهم في الآخرة، أي يعذب ويهان إهانة زائدة على إهانة التعذيب بأن يشتم ويحقر[٣].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- تحريم الزنى: وهو انتهاك حرمة العرض، وهو جريمة خطيرة تؤدي إلى اختلاط الأنساب، وإشاعة الأمراض، وهدم الحقوق، وإثارة العداوات والأحقاد والبغضاء[٤]، فالزنى جريمة شنعاء، وفعلة نكراء، لا يأتيها إنسان ومعه ضمير حي، ولذا كان النهى عن القرب من الزنا وجميع المقدمات المؤدية إليه في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٣٢][٥]، فالزنا فساد كبير، وشر مستطير، له آثار كبيرة، وتنجم عنه أضرار كثيرة، سواء على الزاني نفسه، أو على المجتمع أو على الأخلاق أو على الاقتصاد نذكر منها ما يلي:

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٣٩).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٣٣٩).

(٣) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ٤٠)،و التحرير والتنوير (١٩/ ٧٥) و التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٠٩). و (تفسير الطبري جامع البيان (١٩/ ٣٠٣).

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٦).بتصرف

(٥) ينظر: التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود (٢/ ٧٣٩).

**أولاً: أضراره على نفسة:**

الزنا جمع خلال الشر كلها من: قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، ووأد الفضيلة، يقتل الحياء، وسواد الوجه وظلمته، وما يعلوه من الكآبة والمقت الذي يبدو للناظرين، وظلمة القلب وطمس نوره، وأنه يذهب حرمة فاعله ويسقطه من عين ربه وأعين عباده، ويسلب صاحبه اسم البر، والعفيف، والعدل، ويعطيه اسم الفاجر، والفاسق، والزاني، والخائن. وللزنا أضرار جسيمة على الصحة يصعب علاجها والسيطرة عليها، بل ربما أودت بحياة الزاني، كالإيدز، والهربس، والزهري، والسيلان، ونحوها.

**ثانياً: الأضرار الأخلاقية لجريمة الزنا:**

تدمر جريمة الزنا كل الأخلاق في المجتمعات التي تنتشر فيها فتغيب الفضائل وتسود الفواحش، ويتلاشى الحياء، وينتهي الوفاء، وتنقلب الموازين، ويسود الفساد ويمحي التراحم بين الناس، الذين لا يتحاكمون إلا بالكذب والخيانة، والوقاحة والخديعة، والغدر والجريمة، ولا تسيرهم إلا شهواتهم الدونية، ورغباتهم الحيوانية، ونفوسهم الوضيعة، وأفكارهم الساقطة، وعقولهم المنحطة، وقلوبهم الميتة، التي يتحكم فيها شياطين الإنس والجن تحكما كاملا شاملا، ومجتمع هذا شأنه مآله إلي الدمار مهما طال به الأجل،وأفراده غارقون في بحار من التعاسة الفردية والجماعية تعجز الألفاظ عن تصويرها.

**ثالثاً: الأضرار الاجتماعية لجريمة الزنا:**

مع انتشار جريمة الزنا تتفكك العلاقات الأسرية، وتهون الأعراض، وتختلط الأنساب، وتشتعل العداوات، وتزداد الخلافات، ويكثر أبناء الحرام، ويتشردون بين الناس، وترتفع معدلات الجريمة، وتضيع الحقوق، وتكثر الأمراض النفسية والعضوية، وتنتشر بين الناس أسباب البغضاء والكراهية، وتتلاشي من قلوبهم الغيرة والحمية، وينمحي الإحساس بالعار والشعور بالذنب، فتكثر المعاصي وتنتشر، ويسود الشعور بالدونية، وتنتشر الأمراض النفسية والاجتماعية المختلفة. الزنا سبب لدمار الأمة ؛ فقد جرت سنة الله في خلقه أنه عند ظهور الزنا يغضب الله ﷻ ويشتد غضبه ، فلا بد أن يؤثر غضبه في الأرض عقوبة، قال ابن مسعود ﷺ: (ما ظهر الربا والزنا في قرية إلا أذن الله بإهلاكها).

**رابعاً: الأضرار الاقتصادية لجريمة الزنا:**

لجريمة الزنا من الأضرار الاقتصادية علي مستوي الأفراد والجماعات ما لا يكاد العقل يتصوره، وتكفي في ذلك الإشارة إلي ما ينفقه الزاني من أجل قضاء شهوته في الحرام، وأعداد المومسات ممن لا عمل لهن سوي الغرق في الرذائل والمعاصي، وهي طاقات معطلة في أي مجتمع تنتشر فيه هذه الجريمة وتعتمد فيه العاهرات علي دخلهن من الحرام.كما تكفي الإشارة إلي ما تنفقه الدول في علاج المصابين بالأمراض الجنسية، وعلي اللقطاء من أبناء الزنا، وعلي الأيتام والمقعدين

الذين أنتجتهم هذه الجريمة، وهو عبء حقيقي علي كواهل الدول الغنية، وتدمير حقيقي لاقتصاد الدول الفقيرة.وتكفي الإشارة كذلك إلي أعداد المصابين بعاهات تقعد عن العمل ممن وقعوا فريسة للأمراض الجنسية، وهم كذلك عبء حقيقي علي ميزانيات دولهم وعلي دافعي الضرائب في مجتمعاتهم، وعلي ذويهم.وتكفي الإشارة إلي ظاهرة المساكنة التي انتشرت في الغرب أخيرا بشكل ملحوظ وفيها يتعايش الصديقان معايشة الزوجية الكاملة بغير أدني رباط رسمي، وسرعان ما تنفض هذه العلاقة لأدني الأسباب وأبسطها، بعد أن تكون قد خلفت من التبعات ما يثقل كاهل الدولة.كما تكفي الإشارة إلي ظاهرة الأطفال الذين ترعاهم أم دون أب، أو أب دون أم، وأعدادهم في تزايد مستمر مع الأيام، وتكاليف إعاشتهم تثقل كاهل الدول الكبرى، وتؤدي إلي كوارث اقتصادية واجتماعية في دول العالم الثالث.

من هنا كانت روعة التشريع الإسلامي بتحريم مجرد الاقتراب من مقدمات الزنا، وقد نجح الإسلام في تطهير مجتمعاته من دنس هذه الجريمة، بينما غرقت الدول غير المسلمة في وحل الزنا إلي آذانها بدعوي الحرية الشخصية..!! فالحمد لله علي نعمة الإسلام، والحمد لله علي نعمة القرآن، والحمد لله علي بعثة الرسول الخاتم العدنان .

٢- الزنا من الكبائر إضافة إلى كونه جريمة اجتماعية أخلاقية- فهو جريمة شرعية كذلك؛ لأن الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله ﷻ :﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴾. ولأن الله سبحانه أوجب الحد فيه وهو مائة جلدة للبكر، وشرع فيه الرجم للمحصن[١]، فقد نفى اللَّه تعالى عن عباد الرحمن الاعتداء على النسل بالزنى، ولذا قال ﷻ : ﴿يَزۡنُونَ﴾؛ لأن إشاعة الزنى تضيع النسل، ولا تجعل الناس في أمن ودعة، وتضعف الوحدة الإنسانية، ويكون الناس في تناحر، وتنزل بالقيمة الإنسانية إلى دركة الحيوانية[٢].

٣- إن الإنسان الذي كرَّمه الله وجعله خليفة له في أرضه أراد له الطُّهْر والكرامة، وإنْ يسكن الدنيا على مقتضى قانون الله، فلا يُدخِل في عنصر الخلافة شيئاً يخالف هذا القانون؛ لأن الله تعالى يريد أن يبنى المجتمع المؤمن على الطُّهْر ويبنيه على عناية المربِّي بالمربَّى[٣]، ولا شك أن الزنا رذيلة تناقض الكرامة والنزاهة التي أُمِرنا بها.

٤- لا يُوجد تناقض بين آيات القرآن الكريم، فالذي يرتكب هذه الفِعْلة يكون اسْوة في المجتمع تُجرِّىء الغير على ارتكاب هذه الجريمة؛ لذلك عليه وزْره كفاعل أولاً، وعليه وِزْر مَنِ اقتدى به.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٨/ ١٣٢)

(٢) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣١٧) .

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥١٢) .

كما جاء في قوله تعالى حكايةً عن الكافرين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، إذن: فوجود الآباء كقدوة للشر يزيد من شرِّ الأبناء، فكأنهم شركاء فيه.

لذلك يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] .

فالوِزْر الأول لضلالهم في ذاته، والوِزْر الآخر؛ لأنهم أضلّوا غيرهم، هذا مما دل عليه مضاعفة العذاب(١).

٥- هذه الصفات الثلاثة مفرق الطريق بين الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله والحياة الرخيصة الغليظة الهابطة إلى درك الحيوان.. من أجل ذلك ذكرها الله في سمات عباد الرحمن. أرفع الخلق عند الله وأكرمهم على الله(٢).

٦- إن سبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا، فتضاعف العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه، وهذا يدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع(٣)، لذا فإن خلود القاتل والزاني في العذاب لا يتناوله الخلود لأنه قد دلت النصوص القرآنية والسنة النبوية أن جميع المؤمنين سيخرجون من النار ولا يخلد فيها مؤمن ولو فعل من المعاصي ما فعل، ونص تعالى على هذه الثلاثة لأنها من أكبر الكبائر: فالشرك فيه فساد الأديان، والقتل فيه فساد الأبدان والزنا فيه فساد الأعراض(٤).

٧- قوله ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾إشارة إلى ما ثبت أن العقاب هو المضرة الخالصة المقرونة بالإذلال والإهانة، كما أن الثواب هو المنفعة الخالصة المقرونة بالتعظيم(٥).

٨- الزنا يسئ الخُلُق ويعلم الوقاحة والسفاهة والغدر والخيانة، والمكر والخديعة ويقود للخضوع لسلطان الشهوة والغريزة فالزاني حين يرى فتاة تعجبه يحاول الوصول إليها بكل وسيلة وبهذا تنتهك الأعراض وتهدر الحرمات وتقع العداوات وتسفك الدماء ويفقد الأمن في المجتمع وتنعدم السعادة في الحياة.

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥١٣).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٧٩).بتصرف

(٣) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٨٤).بتصرف

(٤) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٧).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٢٤/ ٤٨٤).

## المطلب الثامن

## التوبة إلى الله ﷻ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠ – ٧١ ]

**أولاً: المناسبة:**

لما أتم سبحانه تهديد الفجار، على هذه الأوزار، أتبعه ترغيب الأبرار، في الإقبال على الله العزيز الغفار، فقال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ أي رجع إلى الله عن شيء مما كان فيه من هذه النقائص[١].

**ثانياً: سبب نزول الآية:**

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلى قوله ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ الآية، قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وأتينا الفواحش، فنزلت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية[٢].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ عن الإسراف، والعصيان، والقتل؛ قبل أن يدركه الموت وأسبابه ﴿وَءَامَنَ﴾ بمحمد ﷺ. ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ بعد توبته[٣].

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ أي يوفقهم للمحاسن بعد القبائح أو يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الإيمان والطاعة ولم يرد به أن السيئة بعينها حسنة[٤].

﴿مَتَابًا﴾ أي متاباً عظيمَ الشَّأنِ مرضيّاً عنده تعالى ماحياً للعقاب محصِّلاً للثَّوابِ أو يتوب متاباً إلى الله تعالى الذي يحبُّ التَّوابينَ ويحسن إليهم أو فإنَّه يرجعُ إليه تعالى أو إلى ثوابه مرجعاً حسناً وهذا تعميم بعد تخصيصِ[٥].

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٣/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٩/ ٤٢.

(٣) ينظر: أوضح التفاسير لمحمد الخطيب (١/ ٤٤٥).

(٤) ينظر: تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٥٠).

(٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود (٦/ ٢٣٠).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

إن من رحمة الله بعباده أن فتح لهم باب التوبة، فمن حسنت توبته وأخلص لله في عمله بعد التوبة، فإن الله يغفر ذنبه ويستره عليه، بل يبدل تلك السيئات حسنات. وجمهور المفسرين على أن لا تعارض بين آية الفرقان وهي مكية وآية سورة النساء وهي مدنية قوله ﷻ ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء:٩٣]. فإن سورة النساء مطلقة فتحمل على من لم يتب، أما آية سورة الفرقان فإنها مقيدة بالتوبة.

وقد جاء الحث على التوبة والاستغفار في نصوص كثيرة من الكتاب والسنة. كما في قوله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران:١٢٦-١٢٥]. وتكرر النص على التوبة في قوله ﷻ: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ تعميم بعد تخصيص، فالاستثناء على التوبة من الشرك والقتل والزنى، أما هذا فلبيان حال من تاب من جميع المعاصي(١).

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- الندب إلى التوبة فمن رحمة الله ﷻ بعباده أن فتح باب التوبة للترغيب في الإصلاح والعودة إلى الاستقامة، وفتح باب التوبة لهم من جميع المعاصي والآثام كبيرها وصغيرها، وحث عليها وأبعد اليأس والقنوط عن قلوب عباده، وباب التوبة مفتوح حتى تطلع الشمس من مغربها، وحتى تدخل النفس حال سكرات الموت، قال رسول الله ﷺ: « **لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**» (٢).

٢- التوبة تجبّ ما قبلها، وتفتح للتائب صفحة جديدة، فيثاب على الأعمال الصالحة، ويعاقب على السيئات، كغيره من المؤمنين، وفي الحديث قالﷺ: «**اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**» (٣) والشاهد: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾(٤).

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٣٠) وتفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٧) وزهرة التفاسير (١٠/ ٥٣١٩).

(٢) رواه مسلم كتاب التوبة باب ١ بَابٌ فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا. ٤/٢١٠٤،حديث رقم٧،

(٣) سنن الترمذي أبواب البر والصلة،باب٥٥ /بَابُ مَا جَاءَ فِي مُعَاشَرَةِ النَّاسِ ٣/٤٢٣حديث رقم (١٩٨٧)، و سنن الدارمي كتاب ومن الرقائق باب وفي حسن الخلق.٣/١٨٤٠ حديث رقم (٢٨٣٤).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣١)

٣- إذا تاب الكافر والقاتل والزاني تقبل توبته، ويبدل الله سيئته حسنة إما في الدنيا على رأي، بأن يجعل الإيمان محل الشرك، والإخلاص محل الشك، والإحصان مكان الفجور، وإما في الآخرة على رأي آخر فيمن غلبت حسناته على سيئاته. وقيل: التبديل عبارة عن الغفران، أي يغفر الله لهم تلك السيئات، لا أن يبدلها حسنات، ثم أكّد الله قبول التوبة الصادقة النصوح من كل إنسان[١] جاء في الحديث الذي يرويه أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف آخر أهل الجنة خروجا من النار، وآخر أهل الجنة دخولا إلى الجنة، يؤتى برجل فيقول: نَحّوا عنه كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها، قال: فقال له: عملت يوم كذا: كذا وكذا، وعملت يوم كذا: كذا وكذا وكذا، فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئا، فيقال: فإن لك بكل حسنة سيئة، فيقول: يارب عملت أشياء لا أراها ههنا ،قال فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه**"» [٢]، وذهب قوم إلى أن الله تعالى يمحو السئية عن العبد، ويثبت له بدلها الحسنة بحكم هذه الآية. ويحتجون بما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: « **ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات! قيل: من هم؟ قال: الذين بدل الله سيئاتهم حسنات**» [٣]

٤- التوبة المطلوبة هي التوبة البالغة والصادقة من العبد العاصي، وهي كما ذكر النووي التي تستجمع ثلاثة أمور: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إلى مثلها أبدا. وقال العلماء: الذنب الذي تكون منه التوبة لا يخلو، إما أن يكون حقا لله أو للآدميين، فإن كان حقا لله كترك صلاة، فإن التوبة لا تصح منه حتى ينضم إلى الندم قضاء ما فات منها، وهكذا إن ترك صوماً أو فرط في الزكاة. وإن كان ذلك ما يوجب القصاص أو الحد الذي فيه حق لآدمي كالقذف، وطلب منه، مكّن نفسه من العقوبة، إلا إذا عفي عنه، فيكفيه الندم والعزم على ترك العود بالإخلاص. أما إن كان الحد من الحدود الخالصة لله كالزنى والشرب، فيسقط عنه إذا تاب إلى الله تعالى بالندم الصحيح، وقد نص الله تعالى على سقوط الحد عن المحاربين إذا تابوا قبل القدرة عليهم، ولا يسقط عنهم إذا تابوا بعد القدرة عليهم. فإن كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه والخروج عنه عيناً كان أو غيره إن كان قادراً عليه، فإن لم يكن قادراً، فالعزم أن يؤديه إذا قدر في أعجل وقت وأسرعه، وإن كان أضرّ بواحد من المسلمين، فإنه يزيل ذلك الضرر عنه، ثم يسأله أن يعفو عنه ويستغفر له، فإذا عفا عنه، فقد سقط الذنب عنه، وإن

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٦).

(٢) صحيح مسلم،١/١٧٤،حديث رقم٣٠٩،كتاب الايمان، باب ٨٣ بَابُ آخَرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين كتاب التوبة والإنابة، رقم الحديث:٤/ ٢٨١، (٧٦٤٣). وهذا مذهب سعيد بن المسيب، ومكحول، وعمرو بن ميمون، قال سعيد: صيَّر سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة (أخرجه ابن جرير ١٩/ ٤٧، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٧٣٣، وقال مكحول: يغفرها الله لهم فيجعلها حسنات أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير القرآن بالعظيم ٨/ ٢٧٣٥.

أساء إلى رجل بأن فزّعه بغير حق، أو غمه، أو لطمه، أو صفعه بغير حق، أو ضربه بسوط فآلمه، ثم استعفى منه، حتى طابت نفسه، فعفا عنه، سقط عنه ذلك[١].

٥- الآية صريحة في أن العمل الصالح والمثابرة عليه قولاً وفعلاً، شرط في صحة التوبة وقبولها وأنه لا اعتداد بها بدون العمل الصالح. فليتفطن لمعنى هذه الآية من يتوهم أن التوبة استغفار بلسان، أو تخشع بأركان، ولا عمل صالح له يرضي الرحمن[٢].

٦- المسلم يحذر من الذنوب والمعاصي، ويكون أكثر حَذَراً من الكبائر.

٧- الله كريمٌ رحيمٌ، ولذلك يقبل توبة التائبين، ويبدِّل ذنوبهم السابقةَ حسناتٍ.

٨- من ثمراتِ التوبة الصادقةِ تغييرُ مسار الحياة، والإكثار من العمل الصالح[٣].

٩- أظهرت هذه الآيات النموذج الخير للبشرية وهم عبادُ الرَّحمن كي يجاهدَ العبدُ نفسه أن يكون منهم.

---

(١) ينظر : تفسير القرطبي: (١٨/ ١٩٩- ٢٠٠). و التفسير المنير للزحيلي (٢٨/ ٣٢١).

(٢) ينظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل (٧/ ٤٤٤).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٦١/١٣).

## المطلب التاسع

## تجنب شهادة الزور والكلام الباطل

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ ﴾ [الفرقان: ٧٢]

**أولاً: المناسبة:**

لما وصف عباده سبحانه بأنهم تحلوا بأصول الفضائل، وتخلوا عن أمهات الرذائل، ورغب التوبة، لأن الإنسان لعجزه لا ينفك عن النقص، وكان قد مدحهم بعد الأولى من صفاتهم بالحلم عن الجهل مدحهم قبل الأخرى من أمداحهم وعقب تركهم الزنى بالإعراض أصلاً عن اللغو الذي هو أعظم مقدمات الزنى فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ﴾[1].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ﴾: أي: لا يحضرون الزور أي: القول والفعل المحرم، فيجتنبون جميع المجالس المشتملة على الأقوال المحرمة أو الأفعال المحرمة، كالخوض في آيات الله والجدال الباطل والغيبة والنميمة والسب والقذف والاستهزاء والغناء المحرم وشرب الخمر وفرش الحرير، والصور ونحو ذلك[2].

٢- ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ معنى اللغو، في اللغة: كل ما يُلغى ويُطرح[3] والمعنى: إذا مروا بجميع ما ينبغي أن يُلغى؛ وهو: المعاصي كلها؛ و قيل : مجالس الباطل[4].

٣- ﴿مَرُّواْ كِرَامٗا﴾: يعني حلماء لا يشهدونه، ولا يحضرونه، والمعنى: وإذا مرُّوا بمجالس اللغو وهي الأماكن التي يكون فيها العمل القبيح كمجالس اللهو، والسينما، والقمار، والغناء المحرَّم مرُّوا معرضين مكرمين أنفسهم عن أمثال تلك المجالس[5].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

من أشد أنواع الكذب الزور، فأثر هذه الجريمة مضاعف لأن الأصل في الشهادة أن تكون عونا لإبراز الحق وإيصاله إلى صاحبه، فالميل بها عن حقيقتها تعطيل لها عن أداء دورها، والثانية يكون قد ساهم في إلحاق الظلم بآخرين، وتمكين أهل الباطل من تحقيق مآربهم، لذا اعتبرها رسول الله ﷺ من أكبر الكبائر فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله**

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٣٢).

(٢) ينظر: الدر المنثور" ٦/ ٢٨٢ و تفسير السعدي (ص: ٥٨٧).

(٣) ينظر: معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٧٧).

(٤) ينظر: الوسيط" للزحيلي ٣/ ٣٤٨.

(٥) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٠)

**وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»** [1].

إن من صفات عباد الرحمن أنهم لا يرتكبون شهادة الزور، ولا يحضرون المجالس التي توجد فيها هذه الشهادة، لأنها من أمهات الكبائر التي حاربها الإسلام، وفضلاً عن ذلك فإنهم «إذا مروا باللغو» أي: بالمجالس التي فيها لغو من القول أو الفعل ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: أي: أعرضوا عنها إكراماً لأنفسهم، وصوناً لكرامتهم، وحفاظاً على دينهم ومروءتهم.

والتعبير بقوله تعالى: وَإِذا مَرُّوا ... فيه إشعار بأن مرورهم على تلك المجالس كان من باب المصادفة والاتفاق، لأنهم أكبر من أن يقصدوا حضورها قصداً، وذهب بعض المفسرين إلى أن الزور يعم كل باطل، وبهذا المعنى يكون من صفات عباد الرحمن عدم حضورهم مجالس الباطل، ولعل ذكر مرورهم كراماً على اللغو يؤيد هذا التعميم، كما في قوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص:٥٥]

إن الوقت رأس مال الإنسان، والمؤمن يضن أن ينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه، ومجالس اللغو أقل ما يقال فيها: إنها للثرثرة والعبث وضياع الوقت والغفلة[2].

**رابعاً : تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- تحريم شهادة الزور وتجنب مجالس اللغو والكذب والباطل أو العفو عن المسيء، ، فلا يحضر المسلم مجالس اللغو والكذب والغناء واللهو ونحوها، ولا يؤدي شهادة الزور مهما كانت البواعث والأسباب لأنها محرمة لذاتها، لذا قال أكثر أهل العلم: ولا تقبل له شهادة أبداً، وإن تاب وحسنت حاله، فأمره إلى الله تعالى.

ويستدل الفقهاء (الأئمة الأربعة) على تحريم شهادة الزور، كما ورد في الحديث سابق الذكر[3].

وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخّم وجهه (يطليه بالسواد) ويحلق رأسه، ويطوّف به السوق[4].

٢- أن قَوْل الزور والشهادة بغير حق تقلب الحقائق وتضرُّ بالمجتمع؛ لأنك حين تشهد بالزُّور تأخذ الحق من صاحبه وتعطيه لغيره، وهذا يؤدي إلى تعطل حركة الحياة، وتجعل الإنسان لا يأمن على

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الشهادات. باب ما قيل في شهادة الزور ١٧٢/٣،حديث رقم (٢٦٥٤). صحيح مسلم كتاب الايمان باب ٣٨ بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا ٩١/١ حديث رقم (١٤٣).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (٢٢١/١٠)و زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٢١).و بيان المعاني (٢/ ١٠٣)

(٣) ينظر: تم تحريجه في نفس الصفحة.

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١١) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣٤). بتصرف

ثمار تعبه وعرقه، فيحجم الناس عن السعي والعمل ما دامت المسألة زوراً في النهاية. لماذا؟ لأن شهادة الزُّور تهدم كُلَّ قضايا الحق في المجتمع[١].

٣- الإنسان الكريم يعلو بنفسه عن مواضع العبث والهذر والسخف، فلا يحضرُ مجالسَ الباطل، و لا يشارك فيها، ويبتعد عن أصحابها[٢] يقال تكرم فلان عما يشينه، وإكرام نفسه عن القبح[٣].

٤- شهادة الزور فيها ترويج للباطل، ونُصرة للظالم، وفيها أكل أموال الناس.

٥- خصصت شهادة الزور بعد التعميم لعظمها عند الله، ولما فيها من تضييع الحقوق وفساد الأخلاق، لأنها لا تكون إلا بالمقابلة أو بالعصبية أو الرشوة، وكلها مذمومة[٤].

٦- قال أكثر أهل العلم: ولا تقبل له شهادة أبدا وإن تاب وحسنت حاله فأمره إلى الله. وقد قيل: إنه إذا كان غير مبرز فحسنت حال قبلت شهادته[٥].

٧- قال الرازي: "من خالط أهل الشر ونظر إلى أفعالهم وحضر مجامعهم فقد شاركهم في تلك المعصية، لأن الحضور والنظر دليل الرضا به، بل هو سبب لوجوده والزيادة فيه" [٦].

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥١٨).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٦٥/١٣).

(٣) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٢٢).

(٤) ينظر: "بيان المعاني" لعبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (٢/ ١٠٣).

(٥) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٨٠).

(٦) ينظر: تفسير مفاتيح الغيب للرازي (٢٤/ ٤٨٥)

## المطلب العاشر

## قبول الموعظة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٣]

**أولاً: المناسبة:**

لما ذكر وصفهم الذي فاقوا به، أشار إلى وصف الجهلة الذي سفلوا به، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ ﴾[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ :الخرور في اللغة: يطلق على السقوط الذي يكون صوتا أو النزول من أعلى إلى أسفل نسبياً بصوت أي: لم يقعوا عليها، ومعنى ﴿لَمْ يَخِرُّوا۟ ﴾: لم يقعدوا، ولم يصيروا عندها صمًا وعميًا[٢].

٢- ﴿صُمًّا﴾ لم يسمعوه ﴿وَعُمْيَانًا ﴾ لم يبصروه، ولكنهم سمعوا وأبصروا وانتفعوا به[٣].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

إذا ذكروا بآيات الله أكبوا عليها وأقبلوا على من ذكروهم بها بأذن سامعة وأعين باصرة، وقلوب واعية لا كالكفار وعصاة المؤمنين إذا ذكروا بالقرآن تراهم مقبلين بوجوههم فقط وهم صم الآذان عمى البصائر والأبصار حيث لم يفهموا من هذا القرآن شيئا، ولم يتعظوا بمرور تلك الآيات أبدا.

إن من شأن عباد الرحمن أن يأخذوا العظة والعبرة من كل شيء، فإذا سمعوا آيات الله تتلى، أو ذكرهم أحد الناصحين بآيات من كلام الله تعالى لم يردوها عليه؟ بل يفهموا معناها مقدرين لما تهدي إليه، مقارنين حالهم على ضوء هدايات الآيات، فإن كان في سلوكهم أو فعلهم أو قولهم خلل عدّله واستقام على الهداية[٤].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- قبول المواعظ: فإذا قرئ القرآن عليهم ذكروا آخرتهم ومعادهم، ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع[٥].

---

(١) ينظر: نظم الدرر للبقاعي (١٣/ ٤٣٣).

(٢) ينظر: زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٢٣).

(٣) تفسير مقاتل (ص: ٤٧).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٢٩٥).و( التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٢) و(التفسير و(التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٢٢).( زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٢٣)

(٥) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٧).

٢- في الآية الكريمة مدح للمؤمنين على حسن تذكرهم وتأثرهم ووعيهم، وتعريض بالكافرين والمنافقين الذين يسقطون على باطلهم سقوط الأنعام على ما يقدم لها من طعام وغيره ، و قد ذم الله تعالى من كان على هذه الشاكلة ممن عطّل سمعه وبصره وقلبه من الموعظة فقال ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١] [١].

٣- فضيلة تدبر القرآن وحسن الاستماع لتلاوته والاتعاظ بمواعظه والعمل بهدايته[٢].

٤- من سمات المؤمنين أنهم سريعو التذكر إذا ذكروا، قريبو الاعتبار إذا وعظوا، مفتوحو القلوب لآيات الله، يتلقونها بالفهم والاعتبار[٣].

٥- هذه الآية متضمنة للنهي عن المعاصي والتخويف لمرتكبها[٤].

٦- المؤمن يتفاعل مع آيات القرآن ويعيها ويتدبرها، وتزيدهُ إيماناً وطاعةً وتقوى[٥].

## المطلب الحادي عشر

## الدعاء

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

**[الفرقان: ٧٤]**

**أولاً: المناسبة:**

لما ذكر هذه الخصلة المثمرة لما يلي الخصلة الأولى، ختم بما ينتج الصفة الأولى. فقال مؤذناً بأن إمامة الدين ينبغي أن تطلب ويرغب فيها: ذكر سبحانه في نهاية الحديث عنهم أنهم لا يكتفون بهذه المناقب الحميدة التي وهبهم الله إياها، وإنما هم يتضرعون إليه سبحانه أن يجعل منهم الذرية الصالحة، وأن يرزقهم الزوجات الصالحات. فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[٦].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٢٢). بتصرف

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣٥).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٨٠).

(٤) ينظر: تفسير الألوسي روح المعاني (١٠/ ٥١).

(٥) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (ص:٦٥).

(٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٣٤).( التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٢٢).بتصرف

**ثانياً: القراءات:**

- قرأ المدنيان وابن كثير ويعقوب وبن عامر وحفص﴿وَذُرِّيَّـٰتِنَا﴾ بالألف على الجمع.
- وقرأ أبو عمرو، وعاصم في رواية أبي بكر، وحمزة، والكسائي ﴿ وَذُرِّيَّتِنَا﴾ بغير ألف على الإفراد[١].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ : كل ما تقر به عين الإنسان، ومعنى ذلك: أن الرجل إذا فرح بالشيء خرج من عينه ماء بارد، وهو القَرُّ، وإذا اغتم وبكى خرج من عينه ماء ساخن، فيقال: سخن الله عينه، إذا دعوا عليه، وإذا دعوا له: أقر الله عينه، ويقال: معنى أقر الله عينه، أي: غنم، وقيل: أقر الله عينه، أي: بلَّغه الله مراده حتى تقر عينه فلا تطمح إلى شيء وتستقر[٢].

٢-﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾:أي: يُقتدى بنا في الخير[٣].

**رابعاً: اللطائف البلاغية:**

قال الشيخ الشعراوي: "نلحظ أن الدعوة هنا جماعية، ومع ذلك لم يقُلْ أئمة، وذكر إماماً بصيغة المفرد، فلماذا؟ قالوا: لأنه تعالى يُنبِّهنا إلى أنّ الإمام هو الذي يسير على وَفْق منهج الله ولا يحيد عنه؛ لذلك إنْ تعددتْ الأئمة فهُمْ جميعاً في حُكْم إمام واحد؛ لأنهم يصدرون عن رب واحد، وعن منهج واحد لا تحكمهم الأهواء فتُفرِّقهم كالأمراء مثلاً. فجمعهم في القول من كل منهم على حدة ووحدهم في الإمامة "[٤].

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

إن من أصول العبادة الابتهال إلى الله ﷻ بالدعاء والالتجاء إليه في كل شيء (فالدعاء مخ العبادة) والدعاء مطلوب في أمور الدنيا كما هو مطلوب في أمور الآخرة، ومما يجمع به خيري الدنيا والآخرة الذرية الصالحة، فبهم تقر الأعين في الحياة الدنيا، وهم استمرار لعمل المرء بعد مماته وانقطاع عمله، ففي الذرية الصالحة حياة مديدة للآباء والأمهات، وعمل صالح مستمر، يقول رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به، أو صدقة جارية**» [٥].لا شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى ولداً أو أخاً أو حميماً مطيعاً لله.

---

(١) ينظر: النشر لابن الجزري ( ص:٢١) و كتاب السبعة في القراءات (ص:٤٦٧)، و"الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٥٢.

(٢) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللَّها" لمكي ابن طالب ٢/ ١٢٨.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء" ٢/ ٢٧٤.

(٤) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٢٤).

(٥) رواه مسلم، كتاب الوصية باب ٣ ما يلحق الإنسان من ثواب بعد وفاته: ١٢٥٥/٣،حديث رقم ١٤.

والإمامة في الدين مرغوب فيها بموجب هذه الآية الكريمة، فدعاء عباد الرحمن لم يقتصر على طلب الذرية الصالحة التي تخلفه من بعده، بل يدعون أن يكونوا هم وذرياتهم أئمة في الدين يقتدى بهم، هداة مهتدين يتعدى نفعهم وخيرهم إلى غيرهم من الناس. لذا كان من دعاء خليل الرحمن ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

هذه أخلاق عباد الرحمن التي وعدهم ربهم عليها الدرجات العلى في الجنة، بسبب صبرهم على هذه الأخلاق الكريمة وصبرهم على ما يلاقونه من الأذى والمصائب بسبب عقائدهم وسلوكهم المتميز[١].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- طلب الزعامة والرياسة في الدين مرغوب فيه، لأن القدوة في الدين يكتب له أجر من يقتدي به وكل من يتبعه، فأعماله في صفحة عمل إمامه وقدوته من غير أن ينقص من أجره شيء. فاسْتدلَّ بَعضهم بِهَذَا على أَنه لَا بَأْس بِطَلَب الْإِمَامَة فِي الدّين، وَيُنْدب إِلَيْهِ، فالآية دليل على أن الرياسة في الدين يجب أن تطلب ويرغب فيها، قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾، وَقَالَ بَعضهم: لَا يطْلب للرئاسة، وَلَكِن يطْلب للدّين، ثمَّ حِينَئِذٍ يَقْتَدِي بِهِ المتقون، فَيصير إِمَامًا لَهُم على مَا قَالَ الله تَعَالَى[٢].

٢- الابتهال إلى الله بجعل توابع الإنسان من أزواج وذريات هداة مهديين مطيعين لله، تقرّ النفوس بهم، وتثلج الصدور بسيرتهم العطرة، وأن يكونوا أئمة وقدوة يقتدى بهم في الخير، ولا يكون ذلك إلا إذا كان الداعي تقياً صالحاً، وهذا يدل على جواز الدعاء بالولد، وللولد وللزوجة، وبأن يكون نفع الإنسان شاملاً غيره[٣].

٣- درجة الإمامة في الدين لا تتم إلا بالصبر واليقين كما قال ﷻ: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] فهذا الدعاء يستلزم من الأعمال والصبر على طاعة الله وعن معصيته وأقداره المؤلمة ومن العلم التام الذي يوصل صاحبه إلى درجة اليقين، خيرا كثيراً وعطاءً جزيلاً وأن يكونوا في أعلى ما يمكن من درجات الخلق بعد الرسل[٤].

٤- الشعور الفطري الإيماني العميق: شعور الرغبة في مضاعفة السالكين في الدرب إلى الله. وفي أولهم الذرية والأزواج، فهم أقرب الناس تبعة وهم أول أمانة يسأل عنها الرجال. والرغبة كذلك في

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير (٢/ ٦٤٢) و التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٢).

(٢) ينظر: تفسير السمعاني (٤/ ٣٦) و التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٢).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٧).

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٨).

أن يحس المؤمن أنه قدوة للخير، يأتم به الراغبون في الله. وليس في هذا من أثرة ولا استعلاء فالركب كله في الطريق إلى الله[١].

٥- هذه الآية جامعة للكمال في الدين واستقامة الأحوال في الحياة إذ لا تقر عيون المؤمنين إلا بأزواج وأبناء مؤمنين[٢].

٦- هذا النص السامي يدل على أن من أخلاق عباده أن يطلبوا الولد صالحا تقيا مؤمنا صادق الإيمان لَا أن يطلبوا النعم؛ لأن عمارة هذا الوجود بالولد، ولذا طلبوا هبته، ولم يطلبوا الحرمان، كما يطلب فجرة هذا الزمان المشئوم[٣].

٧- فضيلة علو الهمة وسمو الروح وطلب الكمال والقدوة في الخير[٤].

٨- على المؤمن أن يحرص على تربية أهله و ذُرِّيتهِ ، ليكونوا قرةَ عينٍ له ، و أن يكون إماماً قُدوةً في الخير[٥].

٩- أهمية دعاء الله وعبادته، فمن أجل العبادة والدعاء خُلقنا[٦].

## المطلب الثاني عشر

## بيان عاقبة المطيعين و تهديد المخالفين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[الفرقان: ٧٥ – ٧٧]

**أولاً: المناسبة:**

لما وصف سبحانه عباده المؤمنين بضد أوصاف الكافرين من الرفق والسكينة، والتواضع والحلم والطمأنينة والشكر لربهم والرغبة إليه والرهبة منه. فوصف مشيهم خطابهم وانتصابهم له ودعاءهم ونفقاتهم ونزاهتهم وتيقظهم وانتباههم وصدقهم ومحبتهم ونصحهم. تشوف السامع إلى ما لهم عنده بعد المعرفة بما للكافرين، فابتدأ الخبر عن ذلك بتعظيم شأنهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ﴾[٧].

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٨١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٨١).

(٣) زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة (١٠/ ٥٣٢٤).

(٤) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣٥)

(٥) التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٦٥/١٣).

(٦) المصدر السابق (٦٥/١٣).

(٧) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٣/ ٤٣٦).( (البحر المحيط في التفسير (٨/ ١٣٤).بتصرف

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

قال تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ﴾ الغُرْفَة معناها في اللغة: العلِّيَّة، وكلُ بناء عالٍ مرتفع فهو: غُرْفة. ويقال للسماء السابعة غرفة. ويحتمل أن يكون أصلها من الغَرْف، بمعنى: القطع والفصل، يقال غَرَفْتُ ناصيتَه، أي: قطعتها[١].

﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ قال ابن عباس: على دينهم، وعلى أذى المشركين[٢].

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾: تقول: ما أعبأ بهذا الأمر، أي: ما أصنع به، كأنك تستقلُّه وتستحقرُه. تقول: عَبَأَ يَعْبَأُ عَبْأً وعِبَاءً ممدود وأصل العِبْء في اللغة: الثِقل، ومن ذلك: عبأت المتاع، جعلت بعضه على بعض[٣].

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ اللزام الذي يلزمك ولا يفارقك[٤].

قال الزجاج[٥]: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ أخذًا باليد، والقتل يوم بدر؛ وهو من عذاب الدنيا فأسروا يوم بدر وقتلوا[٦].

**ثالثاً: القراءات:**

- قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ﴿يَلْقَوْنَ﴾ بفتح الياء واسكان اللام وتخفيف القاف.
- قرأ الباقون ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف[٧].

قال الأزهري: المعنى في ﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾ أن الله يلقي أهل الجنة إذا دخلوها ملائكته بالتحية والسلام، ومن قرأ: ﴿يلقَون﴾ فالفعل لأهل الجنة، إنهم يلقون فيها التحية والسلام من الله ﷻ[٨].

**رابعاً: اللطائف البلاغية :**

١- المقابلة اللطيفة بين نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ مقابل قوله عن أهل النار ﴿سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ .

---

(١) تهذيب اللغة" للأزهري ٨/ ١٠٤ (غرف).

(٢) ينظر: "الوسيط" للزحيلي (٣/ ٣٤٩)

(٣) ينظر: كتاب "العين" ٢/ ٢٦٣ (عبء).

(٤) ينظر: العين" ٧/ ٣٧٢ (لزم)، بمعناه، وكذا في "تهذيب اللغة" ١٣/ ٢٢٠.).

(٥) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتاباً في معاني القرآن وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب مختصر في النحو، ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان (١/٤٩-٥٠).

(٦) ينظر:(الزجاج ٤/ ٧٩). التفسير البسيط (١٦/ ٦٢٦).

(٧) ينظر: النشر لابن الجزري ٢ /١٤٨.بتصرف

(٨) ينظر: معاني القراءات ٢/ ٢٢١.

٢- ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ كناية عن الدرجات العالية في الجنة.

٣- قال القرطبي: وصف تعالى «عباد الرحمن» بإحدى عشرة خصلة هي أوصافهم الحميدة من التحلِّي، والتخلِّي وهي «التواضع، والحلم، والتهجد، والخوف، وترك الإسراف والإقتار، والبعد عن الشرك، والنزاهة عن الزنى والقتل، والتوبة، وتجنب الكذب، وقبول المواعظ، والابتهال إلى الله» ثم بين جزاءهم الكريم وهو نيل الغرفة أي الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا(١).

٤- ذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه، ليعم كل نوع فيدخل فيه صبرهم على مشاق التفكر والاستدلال في معرفة الله تعالى، وعلى مشاق الطاعات، وعلى مشاق ترك الشهوات وعلى مشاق أذى المشركين وعلى مشاق الجهاد والفقر ورياضة النفس فلا وجه لقول من يقول المراد الصبر على الفقر خاصة، لأن هذه الصفات إذا حصلت مع الغنى استحق من يختص بها الجنة كما يستحقه بالفقر(٢).

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

ذكر الله تعالى جزاء عباد الرحمن وهو أنهم يجزون بالدرجات العالية في الجنان ويتلقون التحية والسلام والإكرام، بسبب صبرهم على الطاعة، وعن المعصية. وهم خالدون في النعيم الأبدي الذي لا ينقطع، وحسن ذلك المقر والمقام. يجزون على ذلك الغرف العالية يكرمون بالتحية والدعاء بالسلامة والإقامة الدائمة في نعيم الجنة الذي لا ينقطع ولا الخوف من الزوال،

يتوج كل ذلك بالتحية والسلام من ربهم ﷻ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [ يس: ٥٨ ]

وفي الختام بين الله أنه غنى عن الكل، وإنما كلفهم لينتفعوا، وعذبهم لعصيانه وتكذيب رسله فقال ما يفعل الله بعذابكم .. الآية والمعنى. لا يبالى بكم، ولا يكترث، وليس لكم وزن عنده إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه، ويوحدوه، ويسبحوه بكرة وأصيلا، لولا إيمانكم ما أبالى بكم أي: إني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم، وأما أنتم يا كفار مكة فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم نتيجة تكذيبكم وهو عقاب الآخرة لزوما دائما مستمرا.﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة هود ١٠٦- ١٠٧] .فهم أهون عند الله من أن يجعل لهم وزنا، أو يكترث بهلاكهم، ولولا كون بعثة رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، وقد أرجأ الله ﷻ عقوبتهم إلى الآخرة ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال:٣٣ ] لولا ذلك لأنزل بهم عذاب الاستئصال، ولا يبالي بشأنهم ولا

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤١).

(٢) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٨٨).

يعبأ بهم فقد استحقوه بأقوالهم وأفعالهم التي كذبوا بها الرسول وأنكروا دعوته وقاوموا منهجه، والله من ورائهم محيط[١].

**سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- الطائعون في نعيم الجنة، جزاؤهم الدرجات العليا في غرفات الجنان، مع التعظيم والتوقير والاحترام، بالتحية والسلام، والخلود الدائم، والتمتع بحسن المقام والمنظر والاستقرار. ونفع الطاعة للعباد لا لله، فالله غني عن عباده، فلولا عبادتهم وكثرة استغاثتهم إليه في الشدائد ونحوها، لما بال الله بهم ولا اكترث بشأنهم. فإن كذبوا بما دُعُوا إليه من الإيمان وعبادة الله كان تكذيبهم ملازما لهم، وجزاء التكذيب دائم لا مفرّ منه. على عكس العصاة الذين يضاعف لهم العذاب، مع الإهانة والاحتقار[٢].

٢- لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله ﷻ فإذا لم يعبده كان شر الخليقة[٣].

٣- هذه الآيات قد أوضحت أن الحكمة في خلقه السماوات والأرض، وجميع ما على الأرض، والموت والحياة، هي أن يدعوهم على ألسنة رسله ويبتليهم، أي: أن يختبرهم أيهم أحسن عملا.

وهذه الآيات تبين معنى قوله ﷻ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وفي هذه الآيات إيضاح لمعنى قوله: لولا دعاؤكم، أي: دعاؤه إياكم على ألسنة رسله، وابتلاؤكم أيكم أحسن عملاً، وعلى هذا فلا إشكال في قوله: فقد كذبتم، أي:﴿مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ لَوْلَا﴾ دعاؤه إياكم، أي: وقد دعاكم فكذبتم، وهذا القول هو وحده الذي لا إشكال فيه، فهو قوي بدلالة الآيات المذكورة عليه[٤].

٤- الأرض التي تضم البشر جميعاً إن هي إلا ذرة صغيرة في فضاء الكون الهائل. والبشرية كلها إن هي إلا نوع من أنواع الأحياء الكثيرة على وجه هذه الأرض. والأمة واحدة من أمم هذه الأرض. والجيل الواحد من أمة إن هو إلا صفحة من كتاب ضخم لا يعلم عدد صفحاته إلا الله

وإن الإنسان مع ذلك لينتفخ وينتفخ ويحسب نفسه شيئاً ويتطاول على خالقه سبحانه! وهو هين، ضعيف، قاصر. إلا أن يتصل بالله فيستمد منه القوة والرشاد، وعندئذ فقط يكون شيئاً في ميزان الله وقد يرجح ملائكة الرحمن في هذا الميزان[٥].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨١٥).و التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود (٢/ ٧٤١).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١١٧).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣٥)

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٦/ ٨٣).

(٥) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٨١).بتصرف

٥- تكرر في السورة في أكثر من موضع النص على الخلود، ومنها الخاتمة لبيان أهمية الأمن النفسي والاستقرار والطمأنينة في حياة الإنسان وخاصة في الجنة، أما في الدنيا فلا أمن على البقاء على حالة واحدة لأن النعيم معرض للزوال عن صاحبه للعوارض التي تعتور أحواله أو صاحب النعمة سيزول عن النعيم بالموت أما نعيم الجنة فهو المخلد الذي لا يزول ولا موت فيها لأصحاب النعيم[١].

٦- هوان الكفار على الله، فلا يبالي بهم، ولا يضرونه شيئاً، والعذاب الملازم ينتظرهم[٢].

٧- الإيمان والاستقامة و الدعاء والإنابة أساس التكريم عند الله[٣]

---

(١) ينظر: كتاب المعجزة و الرسول من خلال سورة الفرقان أ.د مصطفى مسلم (ص:١٩٢).

(٢) التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣/ ٦٥).

(٣) المصدر السابق (١٣/٦٥).

# الفصل الثالث

# الدارسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١-٦٨)

يشتمل على مبحثين:

## المبحث الأول

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١-٩)

## المبحث الثاني

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠-٦٨)

# المبحث الأول

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١-٩)

**وفيه ثلاثة مطالب:**

**المطلب الأول:** تسلية الرسول ﷺ من إعراض قومه.

**المطلب الثاني:** وعيد المكذبين بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

**المطلب الثالث:** دعوة إلى النظر في آيات الله.

## المطلب الأول

### تسلية الرسول ﷺ من إعراض قومه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ ﴾[الشعراء:١ -٥]

**أولاً: المناسبة:**

لما فرق ﷻ في تلك بين الدين الحق والمذهب الباطل، وبين ذلك غاية البيان، وفصل الرحمن من عباد الشيطان، وأخبر أنه عم برسالته ﷺ جميع الخلائق، وختم بشديد الإنذار لأهل الإدبار، بعد أن قال ﴿فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ﴾ وكان حين نزولها لم يسلم منهم إلا القليل، وكان ذلك ربما أوهم قرب إهلاكهم وإنزال البطش بهم، كما كان في آخر سورة مريم، وأشارت الأحرف المقطعة إلى مثل ذلك، فأوجب الأسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالإيمان، والحفظ عن نوازل الحدثان[1].

**ثانياً: القراءات:**

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ﴿نُنْزِلْ﴾ بنونين مع ضم الأولى وإسكان الثانية وتخفيف الزاي، وهي تفيد النزول مرةً واحدة.
- قرأ الباقون ﴿نُنَزِّلْ﴾ بفتح النون الثانية وتشديد الزاي، تفيد النزول بالتدرج حيث التشديد يفيد في الفعل وتكراره[2].

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

الكناية اللطيفة ﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ كنّى به عن الذل والهوان الذي يلحقهم بعد العز والكبرياء[3].

**رابعاً: المفردات اللغوية:**

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٤/ ٣).

(٢) ينظر: الميسر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: محمد فهد خاروف (ص:٣٦٧).

(٣) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٨).

١- ﴿طسٓمٓ﴾: اختلف العلماء في الأحرف المقطعة في فواتح السور على رأيين رئيسين:
الأول: أنها من المتشابه الذي لا يُدرى معناه، فهي مما لا يعلم معناه الا الله، وعليه فلا يجوز الخوض في بيان معناها.
الثاني: أنها مما يعرف معناه، وليست هي مما استأثر الله بعلمه، وهؤلاء العلماء اختلفوا على أراء عديدة أظهرها ما ذكره الزمخشري في تفسيره و هو أنها حروف جيء بها للتنبيه و التحدي(١).

٢- ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾: الباخع: المهلك، يقال: بخع زيد نفسه إذا أهلكها، وبخعه الحب إذا أهلكه وأذابه(٢)، والمعنى: مهلك نفسك وشاق عليها(٣).

٣- ﴿أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ المعنى: لعلك قاتل نفسك لتركهم الإيمان(٤).

٤-﴿فَظَلَّتۡ أَعۡنَاقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾أي فتظل أعناقهم منقادةً خاضعة للإيمان قسراً وقهراً(٥).

٥-﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾أي ما يأتي هؤلاء الكفار شيء من القرآن أو الوحي منزلٍ من عند الرحمن ﴿مُحۡدَثٍ﴾ أي جديد في النزول، ينزل وقتاً بعد وقت(٦).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ أي هذا القرآن مكون من أحرف عربية، مثل الطاء والسين والميم، يقصد بها تحدي العرب به ليأتوا مثله، فإذا عجزوا دل على أنه كلام الله الموحى به إلى نبيه. وهذه آيات القرآن البيّن الواضح الجلي الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد.

﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ أأنت يا محمد مهلك نفسك حزناً وأسفاً على عدم إيمان قومك برسالتك؟! وهذه تسلية من الله لرسوله في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار، كما قال ﷻ: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر:٨]: وقال ﷻ:﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]. قال سيد قطب: "فيها تسلية لرسول الله ﷺ وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ وإلى طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما

---

(١) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٢٠) و تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٨٢) و تفسير ابن كثير (١/ ١٥٦).

(٢) ينظر: المقتضب (٤/ ٢٥٩)، والأزهري، تهذيب اللغة (١/ ١٦٨).

(٣) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص:٥٨٩).

(٤) معاني القرآن، للزجاج (٨٢/٤).

(٥) صفوة التفاسير للصابوني (٣٤٤/٢).

(٦) تفسير الثعلبي (١٠٨/٨).

يلقون من عنت المشركين وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين كما ثبت من قبلهم من المؤمنين"[1].

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ أي إن الله قادر على كل شيء، فلو نشاء لأنزلنا عليهم من السماء آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً، وتقسرهم عليه، فتصبح رقابهم خاضعة ذليلة منقادة لما نريد، أو يصبح كبراؤهم ورؤساؤهم منقادين، ولكنا لا نفعل ذلك لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان عن اختيار وطواعية ورضا، لا بالقسر والإكراه، كما قال ﷻ:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وقال ﷻ:﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ [هود: ١١٨]. وأضحت سنتنا إرسال الرسل إلى البشر، وإنزال الكتب عليهم، ليؤمنوا عن بيّنة واقتناع[2].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- سورة الشعراء من السور التي ابتدأت ببعض حروف التهجي، وقد وردت هذه الفواتح تارة مفردة بحرف واحد، وتارة مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة، فيكون مجموع السور التي افتتحت بالحروف المقطعة تسعا وعشرين سورة.

٢- القرآن كتابٌ مبينٌ معجزٌ، ومواعظه متجددةٌ متكررةٌ مستمرةٌ[3].

٣- احتجت المعتزلة بقوله ﷻ:﴿مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ على خلق القرآن فقالوا: الذكر هو القرآن، لقوله ﷻ: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠] وبيّن في هذه الآية أن الذكر محدث، فيلزم منه أن القرآن محدث، والجواب: أن الحدوث إنما هو لهذه الألفاظ المتلوة بالوحي الحاصل، أما أصل القرآن الذي هو كلام الله فهو قديم قدم الله ﷻ[4].

٤- بيان أن القرآن الكريم معجز لأنه مؤلف من مثل طا سين ميم ولم يستطع أحد أن يؤلف مثله[5].

٥- بيان ما كان الرسول ﷺ يناله من الغم والحزن من تكذيب قومه له[6].

٦- إن موقف المشركين المعارض لدعوة النّبي ﷺ يعود سبباً في أمرين: تأكيد العناية والحرص على سلامة النّبي من الأذى، وتطمين نفسه، وإزالة ما به من القلق، وتهديد أهل الشّرك صراحة

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٨٣).

(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٩/١٢٣).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣/٧٠).

(٤) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٥).

(٥) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣٨).

(٦) المصدر السابق (٣/ ٦٣٨).

بإنزال آية من آيات العذاب الكبرى، فتبيد آثارهم، وتجعلهم عبرة للمعتبر، لأنهم كذبوا الرسول وآيات القرآن، ولم يشكروا نعمة الله عليهم.

٧- في الآية الخامسة تنديد بالكفار الذين كلما جاءهم كتاب من الله أعرضوا عنه وكذبوه.

٨- إن ذكر اسم الرحمن هنا: إشارة إلى عظيم رحمته ﷻ بإنزال هذا الذكر، وتسجيل لأقصى دركات الجهالة عليهم، لأنهم أعرضوا عن الهداية التي أنزلها الرحمن الرحيم لسعادتهم، وحرموا أنفسهم منها وهم أحوج الناس إليها[١].

٩- ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ من تمام قوله: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم﴾ فنبه ﷻ على أنه مع قدرته على أن يجعلهم مؤمنين بالإلجاء رحيم بهم من حيث يأتيهم حالاً بعد حال بالقرآن، وهو الذكر ويكرره عليهم وهم مع ذلك على حد واحد في الإعراض والتكذيب والاستهزاء، ثم عند ذلك زجر وتوعد لأن المرء إذا استمر على كفره فليس ينفع فيه إلا الزجر الشديد فلذلك قال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ أي بلغوا النهاية[٢].

١٠- من سُنَّة اللهِ ﷻ في الناس ألا يجبروا ولا يُكرَهوا على الإيمان، لأنه لا إكراه في الدين، فالله لطيفٌ بعباده، حيث لم ينزل عليهم آية ومعجزة تقسرهم على الحق قسراً، وتجبرهم على الله جبراً، وإنما ترك ذلك لمحض اختيارهم، احتراماً لهم ولرأيهم ومشاعرهم، وهي سنة الله ﷻ في عباده [٣].

١١- معجزة الرسول ﷺ آيةٌ تخاطب العقول وتبقي على مرِّ الدهور والله قادرٌ على إنزال الآيات الحسية، ولكنها تدهشُ الرَّائي ثم تزول[٤].

١٢- رحمة النبي ﷺ بقومه وشفقته بهم، حرصاً منه ﷺ على إسلامهم و انقاذهم من النار، حتى لكأنه كاد يهلك نفسه من أجل ذلك، ولا عجب فهو الذي قال «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً....** » الحديث[٥]، فعدم المبالغة في الحزن على إعراض المنكرين، لئلا يقود ذلك إلى الهلاك، فإن الإكثار من الحزن والألم النفسيِّ يقضي على الإنسان[٦].

---

(١) التفسير الوسيط، لطنطاوي (١٠/ ٢٣٣).

(٢) تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٩١).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٧٠/١٣).بتصرف

(٤) ينظر: المرجع السابق (٧٠/١٣).

(٥) رواه البخاري كتاب أصحاب النبي ﷺ بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ ﷺ ٥ /١٨،حديث رقم (٣٧٠١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة،باب٤ بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ ١٨٧٢/٤حديث رقم(٣٤)،

(٦) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٧٠/١٣) بتصرف

## المطلب الثاني

## وعيد المكذبين بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

**قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٦]**

**أولاً: المناسبة:**

لما كان حال المعرض عن الشيء حال المكذب به قال: ﴿فَقَدْ﴾ أي فتسبب عن هذا الفعل منهم أنهم قد ﴿كَذَّبُوا۟﴾ أي حققوا التكذيب وقربوه كما تقدم آخر تلك، واستهزؤوا مع التكذيب بآياتنا.

ولما كان التكذيب بالوعيد سبباً في إيقاعه، وكان حالهم في تكذيبهم له ﷺ حال المستهزئ لأن من كذب بشيء خف عنده قدره، فصار عرضة للهزء، قال مهدداً: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ سببه بالفاء وحققه بالسين، وقلل التنفيس عما في آخر الفرقان ليعلموا أن ما كذبوا به واقع[1].

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

١- الوعيد والتهديد ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[2].

٢- إضافة ﴿أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ على هذا إضافة بيانية، أي ما كانوا به يستهزئون الذي هو أنباء ما سيحل بهم، وجمع الأنباء على هذا باعتبار أنهم استهزأوا بأشياء كثيرة منها البعث، ومنها العذاب في الدنيا، ومنها نصر المسلمين عليهم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨] ، ومنها فتح مكة، ومنها عذاب جهنم، وشجرة الزقوم. وكان أبو جهل يقول: زقمونا، استهزاء[3].

٣- القول في إقحام فعل﴿كَانُوا۟﴾هنا كالقول في إقحامه في قوله آنفاً:﴿كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[الشعراء: ٥] ولكن أوثر الإتيان بالفعل المضارع وهو ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ دون اسم الفاعل كالذي في قوله:﴿كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾ لأن الاستهزاء يتجدد عند تجدد وعيدهم بالعذاب، وأما الإعراض فمتمكن منهم[4].

**ثالثاً: المعنى الإجمالي:**

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ أي كذَّبوا بالذِّكرِ الذي يأتيهم تكذيباً صَريحاً مُقارناً للاستهزاءِ به ولم يكتفُوا بالإعراضِ عنه حيثُ جعلُوه تارة سحراً وأُخرى أساطيرَ وأُخرى شعراً والفاء في قوله ﷻ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ﴾ لترتيبِ ما بعدها على ما قبلَها والسِّينُ لتأكيد مضمونِ الجملة وتقريرِهِ أي فسيأتيهم البتةَ من غير تخلّفٍ أصلاً

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٤/ ٩).

(٢) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٨).

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ٩٩).

(٤) المرجع السابق (١٩/ ٩٩).

﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ عدلَ عمَّا يقتضيه سائرُ ما سلف من الإعراض والتَّكذيبِ وللإيذان بأنَّهما كانا مقارنين للاستهزاءِ كما في قوله ﷻ ﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤ فَقَدۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ فَسَوۡفَ يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأنعام: ٤ – ٥] وأنباؤُه ما سيحيقُ بهم من العُقوبات العاجلةِ والآجلةِ عبر عنها بذاك إما لكونها مما نبأ بها القُرآنُ الكريمُ وإمَّا لأنَّهم بمشاهدتِها يقفُون على حقيقةِ حالِ القُرآنِ كما يقفُون على الأحوالِ الخافيةِ عنهم باستماعِ الأنباءِ[1].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- بالرغم من تجدد المواعظ والمذكّرات فإن المشركين أعرضوا عن الهدى، وكذبوا بالمنزل على الأنبياء، فسوف يأتيهم عاقبة ما كذبوا، والذي استهزءوا به.

ويلاحظ أنه ﷻ وصف الكفار بالإعراض عن القرآن المنزل أولاً وبالتكذيب ثانياً وبالاستهزاء ثالثاً وهذه درجات من أخذ يترقى في الشقاوة، فإنه يعرض أولاً ثم يصرح بالتكذيب والإنكار إلى حيث يستهزئ به ثالثاً[2].

٢- التحذير من عاقبة التكذيب بآيات الله وعدم الاكتراث بها[3].

٣- التعبير عن وقوع العذاب بهم، بإتيان أنبائه وأخباره، تهويل من شأن هذا العذاب، وتحقيق لنزوله. أي: فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا به يستهزئون ويصيرون هم أحاديث الناس يتحدثون بها ويتناقلون أنباءها[4].

٤- الكفار معاندون، يعرضون عن الآيات عِناداً، بعد ما قامت عليهم الحُجَّة[5].

---

(١) ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٦/ ٢٣٤)، وتفسير الألوسي روح المعاني (١٠/ ٦١).

(٢) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤٩٢).بتصرف

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣٨).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٣٤).

(٥) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٧٠/١٣)

**المطلب الثالث**

**دعوة إلى النظر في آيات الله**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٩﴾ [الشعراء: ٧ – ٩]

**أولاً: المناسبة:**

لَمَّا لم يفلح الذكر المُحْدث والآيات المتجددة مع هؤلاء المعاندين فلم يَرعَوُوا. ردَّهم الله ﷻ إلى الآيات الكونية الظاهرة لهم والتي سبقتهم في الوجود، آيات في السماء: الشمس والقمر والنجوم، وآيات في الأرض: البحار والقفار والجبال والنبات والحيوان.

وكلها آيات كونية لم يدَّعها أحد منهم، بل جاء الإنسان إلى الوجود وطرأ عليها، وقد سبقتْه هذه الآيات التي يراها: الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والعاقل وغير العاقل، أَلاَ ينظرون فيها نظرةَ اعتبار، فيسألون عن مبدعها؟[١].

**ثانيا: اللطائف البلاغية:**

١- التوبيخ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الأرض﴾ الاستفهام للتوبيخ على تركهم النظر بعين الاعتبار[٢].

٢- الجمع بين ﴿كَمْ﴾ و﴿كُلِّ﴾ لدلالة كُلِّ على الإحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل، ودلالة كَمْ على أن هذا المحيط متكاثر، فجمع بين الكثرة والإحاطة[٣].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١-﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي: من جميع أصناف النباتات، حسنة المنظر، كريمة في نفعها[٤].

٢-﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ أي: إن في إخراج النبات من الأرض لدلالة عظيمة على وجود الخالق القدير، وما كان أكثر القوم مؤمنين[٥].

---

(١) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٣٩).

(٢) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٨).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٥).

(٤) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٨٩).

(٥) ينظر: المنتخب في تفسير القرآن، المؤلف : لجنة من علماء الأزهر (ص: ٥٤٣).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

الآية الكريمة توبيخ لهم على إعراضهم عن الآيات التكوينية، بعد توبيخهم على إعراضهم عن الآيات التنزيلية، وتحريض لهم على التأمل فيما فوق الأرض من نبات مختلف الأنواع والأشكال والثمار. لعل هذا التأمل ينبه حسهم الخامد وذهنهم البليد وقلبهم المطموس[١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي أولم ينظروا إلى الأرض التي خلقها الله، وأنبت فيها من كل صنف كثير النفع من الزروع والثمار، فيستدلوا بذلك على عظمة سلطان الله، وباهر قدرته، فهو موجود واحد قادر على كل شيء من هداية القوم وغيرها[٢].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي في ذلك الإنبات لدلالة على قدرة الخالق للأشياء، وقدرته على البعث والإحياء، ومع هذا ما آمن أكثر الناس، بل كذبوا به وبرسله وكتبه، وخالفوا أمره، وارتكبوا نهيه.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أي وإن ربك أيها الرسول لهو القادر على كل ما يريد، القاهر الغالب الذي قهر كل شيء وغلبه، الرحيم بخلقه، فلا يعجل على من عصاه، بل يمهله ويؤجله، لعله يرجع عن غيه، ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر[٣].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- القرآن يلفتُ أنظارنا إلى الآيات والعبر التي حولنا، في الأرض والآفاق، لتزيد صِلتُنا بالله[٤].

٢- نبّه الله ﷻ بقوله ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾، على عظمته وقدرته، وأنهم لو رأوا بقلوبهم ونظروا ببصائرهم، لعلموا أن الله هو الذي يستحق أن يعبد، إذ هو القادر على كل شيء، لذا قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ أي إن فيما ذكر من الإنبات في الأرض لدليلاً واضحاً على أن الله قادر، ولكن، وما أكثر الناس بمصدقين، لما سبق من علمي فيهم، وإن الله هو المنيع المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه[٥].

٣- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ نفى القرآن عنهم الرؤية مع أنهم يرون، ولكنهم كالبهائم التي ترى ولا تعقل، والرؤية المنفية عنهم هي رؤية الروح والقلب التي بها العظة والعبرة والذكرى لا رؤية العين فإنها موجودة[٦].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٣٤).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١٩/ ١٢٤).

(٤) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣/٧٠)

(٥) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٥).

(٦) ينظر: التفسير الواضح ،المؤلف: الحجازي، محمد محمود (٢/ ٧٤٤).

فالاستفهام هنا فيه إنكار على عدم رؤيتهم ذلك لأن دلالة الإنبات على الصانع الواحد دلالة بينة لكل من يراه فلما لم ينتفعوا بتلك الرؤية نزلت رؤيتهم منزلة العدم فأنكر عليهم ذلك. والمقصود: إنكار عدم الاستدلال به[١].

٤- في إحياء الأرض بالماء وإنبات النباتات المختلفة فيها دليل على البعث الآخر[٢].

٥- "المنهج القرآني في التربية يربط بين القلب ومشاهد هذا الكون وينبه الحس الخامد، والذهن البليد، والقلب المغلق، إلى بدائع صنع الله المبثوثة حول الإنسان في كل مكان كي يرتاد هذا الكون الحي بقلب حي يشاهد الله في بدائع صنعه، ويشعر به كلما وقعت عينه على بدائعه ويتصل به في كل مخلوقاته"[٣].

٦- الله ﷻ يبشر عباده المؤمنين بنصره وتأييده لهم وغلبته لأعدائه وإظهاره عليهم. فقال: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٧- إن الله عزّ كل شيء وقهره، ورحم خلقه، فلا يعجل بعقاب من عصاه، بل يؤجله وينظره لعله يرعوى عن غيه، فإن تمادى أخذه أخذ عزيز مقتدر[٤].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ١٠١) بتصرف.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٣٨).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٨٥).

(٤) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ٤٨).

# المبحث الثاني

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠-٦٨)

وفيه أحد عشر مطلباً:

**المطلب الأول: خطاب تكليف موسى وهارون عليهما السلام بالرسالة.**

**المطلب الثاني: المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون.**

**المطلب الثالث: سياسة الإعلام التحريضي والموجه.**

**المطلب الرابع: تآمر الباطل في مواجهة الحق واستعمال أساليب الإغراء.**

**المطلب الخامس: المبارزة بين الحق والباطل ونتيجتها.**

**المطلب السادس: عنجهية فرعون وتمرده على الحق.**

**المطلب السابع: ثبات المؤمنين أمام غطرسة المتمردين.**

**المطلب الثامن: وحي الله لموسى عليه السلام بالسَّري ليلاً.**

**المطلب التاسع: إصرار فرعون على الانتقام من الذين آمنوا.**

**المطلب العاشر: معية الله مع المؤمنين.**

**المطلب الحادي عشر: نجاة موسى عليه السلام والمؤمنين وغرق فرعون وجنوده.**

## المطلب الأول

## خطاب تكليف موسى وهارون عليهما السلام بالرسالة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾

[الشعراء: ١٠ – ١٧]

**أولاً: المناسبة:**

هذه القصة التي ترددت في القرآن كثيراً في سور عديدة يراد من ذكرها هنا تسلية النبي ﷺ عما يلقاه من قومه من صدود وإعراض وتكذيب، فبعد أن ذكر الله ﷻ تكذيب المشركين برسالته وإنذارهم وإثبات وحدانية الله لهم بإنبات النبات، ذكر قصة موسى مع فرعون وقومه الذين كذبوه مع إثبات نبوته بالمعجزات البينات، ولما لم تغن الآيات والنذر، حاق بالمكذبين سوء العذاب، وأغرقهم الله في اليم، جزاء جحودهم وتكذيبهم[١]. ولما ذكر تكذيب قريش بما جاءهم من الحق وإعراضهم عنه، ذكر قصة موسى عليه السلام، وما قاسى مع فرعون وقومه، ليكون ذلك مسلاة لما كان يلقاه ﷺ من كفار قريش. إذ كانت قريش قد اتخذت آلهة من دون الله، وكان قوم فرعون قد اتخذوه إلها، وكان أتباع ملة موسى عليه السلام هم المجاورون من آمن بالرسول ﷺ[٢].

**ثانياً: القراءات:**

- قرأ يعقوب ﴿**يضيقَ... ينطلقَ**﴾ بنصب القاف منهما.
- قرأ الباقون ﴿**وَيَضِيقُ... يَنطَلِقُ**﴾ برفعهما[٣].

قال الزمخشري في الكشاف "يضيق وينطلق، بالرفع لأنهما معطوفان على خبر إنّ، وبالنصب لعطفهما على صلة أن، والفرق بينهما في المعنى: أنّ الرفع يفيد أنّ فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب على أنّ خوفه متعلق بهذه الثلاثة وبهذا فإن قراءة النصب تفيد دخول ضيق الصدر وعدم انطلاق اللسان تحت الخوف. فالقراءتان جمعتا بين ما هو محقق وما هو مقدر عند موسى عليه السلام من فرعون وقومه[٤].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير لابن حيان (٨/ ١٤٢).

(٣) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٣٣٥).

(٤) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٣٠٢)

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

١- المقابلة اللطيفة بين ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾[١].

٢- جناس الاشتقاق ﴿رَسُولُ ...أَرْسِلْ﴾[٢].

٣- هناك إيجاز في ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾[٣].

قال الزمخشري: أصلُه أرسلْ جبريل إلى هارون واجعله نبياً وآزرني به واشدد به عضدي فأحسن في الاختصار غاية الإحسان[٤].

**رابعاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ بتكذيبهم إيَّايَ وَيُقَال يجبن قلبِي[٥].

٢- ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾ لَا يَسْتَقِيم لساني من مهابته بِأَدَاءِ الرِّسَالَة لِلْعُقْدَةِ الَّتِي فِيه[٦].

٣- ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ أي في قتل القبطي[٧].

٤- ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي أطلقْ بني إسرائيل من إسارك واستعبادك وخلِّ سبيلهم حتى يذهبوا معنا إلى الشام[٨].

**خامساً: التفسير الإجمالي:**

يبدأ الله ﷻ القصة من بدء بعثة موسى بن عمران عليه السلام وتكليم ربّه له ومناجاته إياه من جانب الطور الأيمن، فيقول: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ أي، اذكر يا محمد لقومك حين نادى الله موسى من جانب الطور الأيمن بالوادي المقدس طوى، وكلمه وناجاه، وأرسله واصطفاه، وأمره بالذهاب إلى فرعون وملئه القوم الظالمين أنفسهم بالشرك واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم، فيدعوهم إلى عبادة الله وحده، وتخلّيهم عن فكرة تأليه فرعون.

ألا يتقون هؤلاء الناس؟ ألا يخافون بطش العزيز الجبار؟!! يوم لا ينفع مال ولا بنون.

قال موسى: يا رب إني أخاف أن يكذبوني ويضيق صدري بما يعملون، ولقد عشت بعيدا عن مصر مدة من الزمن فضعفت لهجتي، فلا ينطلق لساني بها، واخى هارون هو أفصح منى لسانا،

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٨).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٧).

(٣) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٩).

(٤) ينظر: تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٣٠٢).

(٥) ينظر: تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٥٦).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين (ص: ٤٨٠).

(٧) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٨٩).

(٨) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٥).

وأقوى بيانا، ولهم على ذنب، فإني قد قتلت قبطيا قبل خروجي من مصر، لهذا وذاك فإني أخاف أن يقتلوني، قال الله ﷻ كَلَّا لن يصيبك شيء أبدا، فالله معك، وناصرك أنت هارون، فاذهبا بالمعجزات الدالة على صدقكما، إنا معكم بالعلم والحفظ والنصرة ، فاذهبا إلى فرعون وملئه بآياتنا، إنا معكم، ولن نترككم لحظة، فالله سميع بصير، لا تخفى عليه خافية.

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ أي فاذهبا إلى فرعون، فقولا له بلين ورفق: إننا رسولا ربّ العالمين أرسلنا الله لك ولقومك أي أرسل كلا منا إليك، فأطلق حرية بني إسرائيل، ليعبدوا ربّهم في أرض الله الواسعة، ويعودوا معنا إلى الأرض المقدسة: فلسطين، قد جئناك بآية من ربك، والسلام على من اتبع الهدى[1].

**سادساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- إثبات صفة الكلام لله ﷻ بندائه موسى عليه السلام فالذي سمعه موسى عليه السلام كان نداء من جنس الحروف والأصوات[2].

٢- لا بأس بإبداء التخوف عند الإقدام على الأمر الصعب ولا يقدح في الإيمان ولا في التوكل.

٣- كان إرسال موسى وأخيه هارون إلى فرعون الطاغية الجبار الذي ادعى الألوهية، ومعه قومه الظالمون بالشرك واستعباد الضعفاء إعذاراً وإنذاراً، حتى لا يبقى لهم ولأمثالهم حجة يتذرعون بها للجهل بحقيقة الإيمان والدين[3].

٤- في قوله: ﴿أَلَا يَتَّقُونَ﴾ حثّ شديد على التقوى لمن تدبر وتأمل ووعى المستقبل المنتظر[4].

٥- قدّر موسى خطورة المهمة وأداء الرسالة التي كلف بها إلى فرعون فسأل ربّه أمرين: أن يدفع عنه شرهم، وأن يرسل معه هارون نبياً، فأجابه الله ﷻ إلى الأمرين، فهدّأ خوفه وروعه، وأمره بالثقة بالله ﷻ، وأيّده بنصره وعونه، وجعل أخاه رسولاً مثله، ليؤازره ويعاونه، كما قال ﷻ: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ [طه: ٢٩ – ٣٢] ، وقال ﷻ: ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ﴾ [القصص: ٣٤ ][5].

٦- لا بدّ من اتخاذ الأسباب لكل مهمة خطيرة أو غير خطيرة، فذلك مأمور به شرعاً، كما أن الحذر مطلوب، والاحتياط واجب وتقدير المخاطر مما يوجبه الشرع والعقل[6].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٣١)، والتفسير الواضح (٢/ ٧٥٠).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤١).

(٣) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٣٣).

(٤) المصدر السابق (١٩/ ١٣٣).

(٥) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: (١٣/ ٩٢).

(٦) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٣٣).

٧- مشروعية طلب العون والمساعدة من المسئولين إذا كلفوا المرء بما يصعب، قال القرطبي:" وفي هذا دليل على أن من لا يستقل بأمر، ويخاف من نفسه تقصيراً، أن يأخذ من يستعين به عليه، ولا يلحقه في ذلك لوم"(١).

٨- وجود المساعد المعاون ضروريٌ، يعين الرجل على أداء مهمته ويساعده ويؤازره(٢).

٩- لم يتردد موسى وأخوه هارون بعد هذا التأييد الإلهي من الذهاب إلى فرعون الظالم، وأعلنا له أنهما رسولان إليه من ربّ العالمين، وهذا واجب التبليغ الذي لا بدّ فيه من الجرأة والشجاعة والصبر، حتى إنه ذكر أن فرعون لم يأذن لهما سنة في الدخول عليه، ثم أذن استهزاء، فدخلا عليه وأدّيا الرسالة ، فيجب على الداعية أن يكون شجاعاً جريئاً في مواجهة أصحاب الباطل، فلا يخاف منهم، ولا يَجبُنُ أمامهم(٣).

١٠- إن حادثة قتل القبطي من قبل موسى عليه السلام لا تضر بنبوته ولا تقدح بها، لأنها كانت قبل النبوة في عهد الشباب، بدليل قوله بعدئذ: ﴿ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١ ] ، وحدثت تلك الحادثة خطأ من غير تعمد القتل، وجهلا بأن الوكزة تؤدي إلى القتل، وقد أجاب موسى عليه السلام فرعون عن ذلك أولاً(٤).

١١- من كان أهلاً للوعظ والتذكير لا ينبغي أن يتأخر عنه خوف التكذيب ولا خوف الإذاية، فإن الله معه بالحفظ والرعاية(٥).

١٢- الله مع جنوده وأوليائه – من الرسل والدعاة – بالتأييد والحفظ والتثبيت، وهذا يدفعهم إلى أداء واجبِ التبليغِ بهمَّةٍ أكبر(٦).

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي: (١٣/ ٩٢).بتصرف

(٢) ينظر: التفسير المنهجي، د. صلاح الخالدي (٧٥/١٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٧٥/١٣).

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٣٥).

(٥) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٤/ ١٢٨).

(٦) ينظر: التفسير المنهجي، د. صلاح الخالدي (٧٥/١٣).

## المطلب الثاني

## المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[ الشعراء: ١٨ – ٣٣]

**أولاً: المناسبة:**

لما رأى فرعون أن موسى وهارون مصران على دعوتهما إلى توحيد الله، وطلبهما إخراج بني إسرائيل من مصر، أخذ يعدَّد عليه نعمتَهُ من تربيته وتبليغِه مبلغَ الرِّجالِ وبَّخه بَما جَرَى عليه من قتلِ خبَّازِه وعظَّم ذلك ثم شرع في الاعتراض على الدعوى، فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل للأنبياء، علماً بأن فرعون لم يقل لموسى: وما ربّ العالمين إلا وقد دعاه موسى إلى طاعة رب العالمين، بدليل ما تقدم من قوله: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

١- الجناس الناقص ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ فقد اتفقت الحروف بين ﴿**فعلتَ وبين فعْلة**﴾ واختلف الشكل فأصبح جناساً غير تام[2].

٢- الإيجاز بالحذف ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾ دلَّ على هذا الحذف السياق تقديره فأتيا فرعون فقالا له ذلك فقال لموسى ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ﴾.

٣- صيغة التعجيب ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٣٨)، وتفسير أبي السعود (٦/ ٢٣٨) بتصرف.

(٢) التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٢٧).

٤- التأكيد بأنَّ واللام لأن السامع متشكك ومتردد ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ومثله قول السحرة في بدء المناظرة، ثم توافق الفواصل وهو من السجع البديع. لطيفَة: إن قيل كيف قال موسى في بدء مناظرته لفرعون وقومه ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ ثم قال آخراً ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

٥-﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾. عبر عن المعجزة التي أيده الله بها بأنها بِشَيْءٍ مُبِينٍ للتهويل من شأنها، والتفخيم من أمرها[٢].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾: الوليد: هو المولود، وموسى وُلِد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلاً[٣].

٢- ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: أي ومكثت بين ظهرانينا سنين عديدة نحسن إليك ونرعاك[٤].

٣- ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾: يعني قتل القبطي الذي قتله موسى[٥].

﴿وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ فيه قولان:

- أحدهما: وأنت من الكافرين بإلهك، وكنت معنا على ديننا هذا الذي تعيب[٦].
- الثاني: وأنت من الكافرين للنعم التي ذكرها؛ يعني: من التربية والإحسان إليه، يقول: ربيناك وأحسنا إليك وأقمت فينا سنين ثم كافأتنا بأن قتلت منا نفسًا، وكفرت بنعمتنا[٧].

٤- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ أي: فعلت تلك الفعلة وأنا إذ ذاك من الضالين. أي: من الجاهلين[٨].

٥- ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: استعبده وعبَّده أي: أخذه عبدًا ويقال: تَعَبَّدت فلانًا، ﴿عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قهرتهم واستعملتهم[٩]. وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل إبطال

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٩)

(٢) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٤٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري ( ١٩/ ٦٦).

(٤) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٥) .

(٥) ينظر :تفسير الجلالين (ص: ٤٨١).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٦)، وتفسير الماوردي (٤/ ١٦٧)، وفي الوسيط (٣/ ٣٥٢).

(٧) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٤٨)، وتفسير الطبري (١٩/ ٦٦)، و تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٧).

(٨) ينظر: معاني القرآن، للفراء (٢/ ٢٧٨).

(٩) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٨/ ٢٧٥٦)، وهو في تفسير مجاهد (٢/ ٤٦٠).

لمنته عليه في التربية، ببيان أنها في الحقيقة نقمة. لأنه كان اتخذ بني إسرائيل عبيداً مسخرين في شؤونه، مذللين لأموره، مقهورين لعسفه[١].

٦- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ أي: وأخرج يده من جيبه فإذا هي تتلألأ كالشمس الساطعة، لها شعاع يكادُ يعشي الأبصار ويسدُّ الأفق[٢].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

قال فرعون لموسى -ممتنًا عليه-: ألم نُرَبِّك في منازلنا صغيرًا، ومكثت في رعايتنا سنين من عُمُرك وارتكبت جنايةً بقتلك رجلاً من قومي حين ضربته ودفعته، وأنت من الجاحدين نعمتي المنكرين ربوبيتي؟ قال موسى مجيبًا لفرعون: فعلتُ ما ذكرتَ قبل أن يوحي الله إلي، ويبعثني رسولاً فخرجت من بينكم فارًّا إلى «مدين» ، لمَّا خفت أن تقتلوني بما فعلتُ من غير عَمْد، فوهب لي ربي تفضلاً منه النبوة والعلم، وجعلني من المرسلين. أو تلك التربية في بيتك تَعُدُّها نعمة منك عليَّ، وقد جعلت بني إسرائيل عبيدًا تذبح أبناءهم وتستبقي نساءهم للخدمة والامتهان؟ قال فرعون لموسى: وما رب العالمين الذي تدَّعي أنك رسوله؟ قال موسى: هو مالك ومدبر السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم موقنين بذلك، فآمِنوا. قال فرعون لمن حوله مِن أشراف قومه: ألا تسمعون مقالة موسى العجيبة بوجود رب سواي؟ قال موسى: الرب الذي أدعوكم إليه هو الذي خلقكم وخلق آباءكم الأولين، فكيف تعبدون مَن هو مخلوق مثلكم، وله آباء قد فنوا كآبائكم؟ قال فرعون لخاصته يستثير غضبهم؛ لتكذيب موسى إياه: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون، يتكلم كلامًا لا يُعْقَل! قال موسى: رب المشرق والمغرب وما بينهما وما يكون فيهما من نور وظلمة، وهذا يستوجب الإيمان به وحده إن كنتم من أهل العقل والتدبر! قال فرعون لموسى مهددًا له: لئن اتخذت إلهًا غيري لأسجننك مع مَن سجنت. قال موسى: أتجعلني من المسجونين، ولو جئتك ببرهان قاطع يتبين منه صدقي؟ قال فرعون: فأت به إن كنت من الصادقين في دعواك. فألقى موسى عصاه فتحولت ثعبانًا حقيقيًا، ليس تمويهًا كما يفعل السحرة، وأخرج يده مِن جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص، تَبْهَر الناظرين[٣].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- قبح جريمة القتل عند كافة الناس مؤمنهم وكافرهم وهو أمر فطري[٤]، ولكن عند المؤمن أقبح بفضل الإيمان.

٢- جواز التذكير بالإحسان لمن أنكره ولكن لا على سبيل الامتنان فإنه محبط للعمل، فالإحسانُ إلى الإنسان والإنعامُ عليه لا يبرر استبعادَهُ أو استخدام ذلك وسيلةً للإساءةِ إليه أو إلى قومه[٥].

---

(١) ينظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل (٧/ ٤٥١).

(٢) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٧).

(٣) ينظر: التفسير الميسر المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير(٣٦٨/١).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٣).

(٥) ينظر: التفسير المنهجي، د. صلاح الخالدي (٧٥/١٣).بتصرف

٣- جواز إطلاق لفظ الضلال على الجهل كما قال ﷻ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] كما قال موسى ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي الجاهلين قبل أن يعلمني ربي[١].

٤- مشروعية الفرار من الخوف إذا لم يكن في البلد قضاء عادل، وإلا لما جاز الهرب من وجه العدالة قال ﷻ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٥- تقرير الربوبية المقتضية للألوهية من طريق هذا الحوار ليسمع ذلك المشركون، وليعلموا أنهم مسبوقون بالشرك والكفر وأنهم ضالون[٢].

٦- الحكمة في الدعوة إلى الله، فقد قال ﷻ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[النحل:١٢٥] فعلى صاحب الحق أن يحسن مخاطبة الآخرين ومحاورتهم، وإقامة الأدلة أمامهم[٣].

٧- أهل الكبر والعلو في الأرض إذا أعيتهم الحجج لجأوا إلى التهديد والوعيد واستخدام القوة، ولذلك لا عجب من تكرار فرعون عبر الزمان؛ لا زال فرعون يقول﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] ولا زال يفرد عضلاته ويستخدم قوته وتهديده وبطشه ضد دعاة الحق، وإنك لترى هذا الفرعون في هذا الزمان نموذجاً منتسخاً عن فرعون موسى، إن كان ذلك على مستوى العالم اليوم، أو على مستوى معظم البلدان الإسلامية وغير الإسلامية، فترى الحاكم أو الرئيس يقول بأفعاله ولسان حاله "ما شئت كان وما لم أشأ لم يكن"، يقتل الدعاة، ويسجن المصلحين، ويستعمل كامل قوته ضد أنصار الحق في حين تجد دولاً معتدية ظالمة " كدولة إسرائيل المزعومة " لا أحد منهم يتكلم معها بسوء، بل ﴿ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [المائدة: ٥٢] أما ضد شعوبهم فالأمر مختلف.

٨- عندما ينهزم الطغاة في مجال الفكر والجدال يلجأون إلى سلاح التهديد والوعيد[٤].

٩- من خلال المناظرة التي تمت بين موسى عليه السلام وفرعون في شأن إثبات وجود الله ﷻ، يتبين منها النزعة المادية عند الماديين والملحدين، الذين يريدون رؤية الله ﷻ بالعين المجردة أو لمسه بالحس المجاور، لذا استفهم فرعون عن حقيقة رب العالمين، فأتى موسى عليه السلام بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته، التي لا يشاركه فيها مخلوق لأن حقيقة الله لا يدركها أحد، ولأن المادة المجسدة محدثة، والله ﷻ هو خالقها وموجدها. وكان جواب موسى الأول أن الله هو خالق السموات

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٣).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٥).

(٣) ينظر: التفسير المنهج د. صلاح الخالدي (١٣/٨٠).

(٤) المرجع السابق (١٣/٨٠).

والأرض وما بينهما، فهو المالك والمتصرف وخالق الأشياء كلها، وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيّرات، وما فيه من بحار وقفار وجبال وأشجار وحيوانات ونبات وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطير وغيرهما. وخلق الأشياء هو الدليل القاطع على وجود الله: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [ النحل: ١٧].

فلما أدرك فرعون عجزه عن الإيجاد والخلق، قال: أَلا تَسْتَمِعُونَ؟

مستخدما أسلوب الإغراء والتعجب من غرابة المقالة التي تصادم المقرر في عقيدة القوم أن فرعون ربهم ومعبودهم، كالفراعنة المتقدمين(١).

١٠- عند المناظرة والمحاورة لا بد من مقارعة الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، كي تكون المناظرة على أسس سليمة ومجدية، أما أن يقارع الحجة بالتهديد والوعيد، فهذا دليل إفلاس(٢).

١١- يلاحظ من هذا الحوار المثير أن هناك بعداً شديداً في وجهات النظر والمواقف بين موسى النّبي، وبين فرعون الحاكم، وليس هناك استعداد لدى فرعون بالاستجابة لهدي النّبوة والرّسالة الإلهية، لأن غرور السلطة والجبروت يحجب فرعون عن التفكير السديد، ويجعله أسير الاعتماد على الحكم الغاشم وادّعاء الألوهية، لذا فإن السلطة الزمنية والرئاسة والمنصب يعد أهم أحد الأسباب الصارفة عن اتباع الحق والاهتداء به، لأن الإسلام يحول بين هؤلاء وتسلطهم على الشعوب، ولذلك نسمع كثيراً في القرآن الكريم ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ... ﴾ رداً على دعوة الرسل إليهم إلى إتباع الإسلام (٣).

١٢- الحق مؤيد ومسدد بالحجج والبراهين، والباطل لا حجة له، وبناءً عليه فإن أي مناظرة أو مجادلة بين الحق والباطل، فالنصر للحق، فهو قانون إلهي ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ ﴾ [محمد: ١١ ] .

١٣- الطغاة الكفار متكبرون معاندون يرفضون الإقرار بألوهيةِ الله ورُبوبيتهِ والخضوع له(٤).

١٤- من الأساليب التي يلجأ لها أعداء الإسلام إليها لنصرة باطلهم وزخرفته وتشويه الحق وأتباعه "الإعلام" وهي وسيلة قديمة حديثة لا تتغير ولا تتبدل و إنما تظهر بإشكال تناسب كل عصر، وما أكثر وسائل الإعلام الهابطة اليوم التي على هذه الشاكلة، تنتصر للباطل من الحق، ويتهمون أصحاب الحق بأنهم ضدَّ الوطن والأرض والبلاد، ويُهيِّجون الآخرين عليهم..(٥).

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٤١).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٤٢)، وتفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٥٩).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط (٢/ ١٨٢٠).بتصرف

(٤) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٠/١٣).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٨٠/١٣).

١٥- العقلاء يروْنَ أن الإنسان حين يربي الأولاد ويراهم كما يحب، فليعلم أنه توفيق وعناية من الله ﷻ، بدليل أن الأبناء يُربَّون في بيئة واحدة، وربما كانا توأميْن، ومع ذلك ترى أحدهما صالحاً والآخر طالحاً، فالمسألة عناية إلهية عليا[١]، وقد التقط أحد الشعراء هذا المعنى فقال:

إِذَا لَمْ تُصادِفَ في بَنيكَ عِنَايةً ... فقَدْ كذَبَ الراجي وخَابَ المؤَمَّلُ

فمُوسى الذِي رَبَّاه جِبْرِيلُ كَافِرٌ ... ومُوسَى الذي رَبَّاهُ فِرْعَونُ مُرْسَلُ

١٦- المؤمن لا يأبه من قول المغرضين له، ولا يؤثر فيه تهديدٌ أو وعيدٌ، لأنه يوقن أن الله معه فهو يمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين ولو كلفه ذلك نفسه[٢].

١٧- دل قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ...﴾ وقوله: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ...﴾ على أنه ﷻ يجعل معجزة كل نبي من جنس ما كان غالباً على أهل ذلك الزمان، فلما كان السحر غالباً على أهل زمان موسى عليه السلام، كانت معجزته شبيهة بالسحر، وإن كان مخالفاً للسحر في الحقيقة. ولما كان الطب غالباً على أهل زمان عيسى عليه السلام كانت معجزته من جنس الطب، ولما كانت الفصاحة غالبة على أهل زمان محمد ﷺ كانت معجزته القرآن أبلغ الكلام من جنس الفصاحة[٣].

١٨- إن الخوف انفعال نفسي طبيعي لا عيب فيه لذاته، وإنما يذم إذا زاد عن حده أو اقترن به ما يشين، وإلا فكل إنسان يخاف حتى الأنبياء عليهم السلام ، كما أخبر الله ﷻ عن موسى عليه السلام بقوله: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ وقوله ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠] وغيرها من الآيات، وكما خاطبت الملائكة لوطاً عليه السلام: ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا﴾ [العنكبوت: ٣٣].

١٩- يقوم أصحاب الباطل بالسُّخرية من أصحاب الحق، والتهكم عليهم، واتهامهم في عقولهم وأفكارهم[٤].

٢٠- أيدَّ الله رسله بالمعجزات، ومن ذلك عصا موسى، وإضاءةُ يدِهِ من غير سوء[٥].

---

(١) تفسير الشعراوي (ص: ٦٥١٧)

(٢) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٥٩٣) بتصرف كثير.

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٤٢).

(٤) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٠/١٣).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٨٠/١٣).

## المطلب الثالث

## سياسة الإعلام التحريضي والموجه

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٤ – ٣٧]

**أولاً: المناسبة:**

لما وضح لفرعون الأمر، أراد تمويه عقول قومه خوفاً من إيمانهم فقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[١].

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

فَرْق بين ساحر وسحَّار: ساحر لمن مارس هذه العملية مرة واحدة، إنما سحَّار مبالغة تدل على أنها أصبحت حِرْفته، مثل ناجر ونجّار، وخائط وخيّاط[٢].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أي: فَائِق فِي عِلْم السحر[٣].

٢- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ أي يريد أن يستولي على بلادكم بسحره العظيم[٤].

٣- ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ تشيرون في أمره من حبس أو قتل من المؤامرة وهي المشاورة أو من الأمر الذي هو ضد النهي[٥].

٤- ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ أي: أخِّر أمر موسى وهارون، وأرسِلْ في المدائن جندًا جامعين للسحرة[٦].

٥- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ أي يجيئونك بكل ساحر ماهرٍ، عليم بضروب السحر[٧].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

حاول فرعون تشوية وضع موسى، والتحريض عليه، وحمل قومه على تكذيبه، فذكر أموراً :

١- قال لحاشيته من القادة والأشراف: إن هذا الرجل لبارع في السّحر، وفعله هذا نوع من السّحر.

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي(١٤/ ٢٩) بتصرف.

(٢) تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٦٣).

(٣) تفسير الجلالين (ص: ٤٨٢).

(٤) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٧).

(٥) ينظر: تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٢/ ٥٦١).

(٦) ينظر: التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير (١/ ٣٦٨).

(٧) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٧).

٢- وإنه يريد إخراجكم من بلادكم، والتّغلب عليكم بسحره، وإثارته الفرقة بينكم، فأشيروا علي ماذا أصنع به؟ وأغراهم به، وحرّضهم على إبعاده، والتّخلص منه، فأشاروا عليه بتأخير أمره وأمر أخيه، وجمع السحرة لمقاومته، من طريق طلب مهرة السّحرة وأساطينهم، وتجميعهم من أنحاء البلاد، فيأتونك بكل خبير ماهر في السّحر، فيقابلون موسى بنظير ما جاء به. ولم يشيروا بقتله لأن حجّته نيّرة، وضلالتهم في ربوبية فرعون واضحة، فخشوا الفتنة بالمناظرة، وطمعوا بحجّة تقنع العوام، والسّحّار: بناء للمبالغة لكلمة ساحر. وكان ذلك تدبيراً وإلهاماً إلهيّاً لتظهر حجة موسى عليه السلام، ويتغلّب على كل من ناوأه أو عارضة. وكان هذا من تسخير الله ﷻ لموسى وأخيه، ليجتمع الناس في صعيد واحد، وتظهر آيات الله وحججه وبراهينه على الناس جهاراً نهاراً.

وقيل: معنى ﴿أَرْجِهْ﴾ احبسه، روي أن فرعون أراد قتله، ولم يكن يصل إليه، فقالوا له: لا تفعل، فإنك إن قتلته أدخلت على الناس في أمره شبهة، ولكن أرجئه وأخاه إلى أن تحشر السحرة ليقاوموه، فلا يثبت له عليك حجة، ثم أشاروا عليه بإنفاذ حاشرين يجمعون السحرة، ظناً منهم بأنهم إذا كثروا غلبوه، وكشفوا حاله. وهذا من لطف الله أن يري العباد، بطلان ما موه به فرعون الجاهل الضال، المضل أن ما جاء به موسى سحر[١].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- مكر الملأ وخبثهم إذ اتهموا موسى سياسياً بأنه يريد الملك وهو كذب بحت وإنما يريد إخراج بني إسرائيل من مصر حيث طال استعبادهم وامتهانهم من قبل الأقباط وهم أبناء الأنبياء وأحفاد إسرائيل واسحق وإبراهيم عليهم السلام[٢].

٢- ثبوت السحر وأنه فن من فنون المعرفة وإن كان تعلمه وتعليمه محرمين[٣].

٣- النفوس الفرعونية هي التي تتوقف في الصدق والإيمان على ظهور المعجزة أو الكرامة، وأما النفوس الزكية فلا تحتاج إلى معجزة ولا كرامة، بل يخلق الله فيها الهداية والتصديق بطريقة الخصوصية، من غير توقف على شيء[٤].

٤- ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ وفي هذه الجملة الكريمة تصوير بديع لنفس هذا الطاغية وأمثاله. إنه منذ قليل كان يرغى ويزبد وإذا به بعد أن فاجأه موسى بمعجزته، يصاب بالذعر ويقول لمن زعم أنه ربهم الأعلى فَماذا تَأْمُرُونَ، هكذا الطغاة عند ما يضيق الخناق

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٤٤) و زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٥١) و التفسير الواضح (٢/ ٧٥١) بتصرف.

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢١٧).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٧).

(٤) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٤/ ١٣٢).

حول رقابهم يتذللون ويتباكون. فإذا ما انفك الخناق من حول رقابهم، عادوا إلى طغيانهم وفجورهم[١].

٥- السحر كما دلت الآية مجرد خيال وتمويه لا حقيقة فيه، وهو الذي قام به سحرة فرعون لذا يسمى بالشّعوذة والدجل، وهو إما أن يعتمد على بعض خواص المادة كتمدد الزئبق الذي وضعه سحرة فرعون في حبالهم وعصيهم، وإما أن يستعان فيه بخفة اليد في إخفاء بعض الأشياء وإظهار بعضها، وإما أن يلجأ فيه إلى تأثير النفس القوية في إرادة النفس الضعيفة، وقد يستعان حينئذ بأرواح الشياطين [٢].

٦- الطغاة يستكبرون عن الإيمان مع وضوح الدَّلائل الدَّالة عليه، ويتخبطون في وصف الدعاة و المصلحين، وفي إثارة الشبهات حولهم، فمرة يصفونهم بالجنون، وتارة بالسحر، رغم أن الجنون فقدان العقل، والسحر يحتاج إلى عقل وعلم دقيق، ولا شك أن هذا تخبط منهم يؤكد أنهم على باطل، وأن الدعاة على حق مبين[٣].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٤٤).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٤٣).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٠/١٣).بتصرف

## المطلب الرابع

## تآمر الباطل في مواجهة الحق واستعمال أساليب الإغراء

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾

[الشعراء: ٣٨ – ٤٢]

**أولاً: القراءات :**

- قرأ الكسائي ﴿نَعِم﴾ بكسر العين.
- قرأ الباقون ﴿نَعَمْ﴾ بفتح العين[١].

الملاحظ أن القراءة بالفتح تفيد إجابة فرعون لما طلبه السحرة منه والتصديق لما أخبرهم به من تقريبهم من مجلسه، أما القراءة بكسر العين فتفيد الإعلام والتقرير لما طلبوا من إحسان وقرب، لثقة السحرة وفرعون بأنهم الغالبون.

فالقراءتان فيهما معنى الإجابة والتقرير لما توسموا ورجوا من إحسان وتعظيم بقربهم من فرعون.

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ أي : فَجُمع السحرة، وحُدِّد لهم وقت معلوم، هو وقت الضحى من يوم الزينة الذي يتفرغون فيه من أشغالهم[٢].

٢-﴿وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾: أي زيادة على الأجر مكافأة أخرى وهي أن تكونوا من المقربين لدينا، وفي هذا إغراء كبير لهم على أن يبذلوا أقصى جهدهم في الانتصار على موسى عليه السلام[٣].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

ذكر ﷻ هذه المناظرة بين موسى عليه السلام والقبط في سورة الأعراف وسورة طه وفى هذه السورة.

أراد فرعون وقومه القبط أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، وهذا شأن الإيمان والكفر، والحق والباطل، ما تواجها وتقابلا إلا غلب الإيمانُ الكفرَ:﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨]،﴿ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴾ [الإسراء: ٨١ ] .

---

(١) ينظر: النشر لابن الجزري (٢ /٢٦٩).

(٢) ينظر: تفسير السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٩١).

(٣) أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٦).

وخلاصتها لما جاء السحرة وقد جمعوهم من أقاليم مصر العليا وكانوا أبرع الناس في فن السحر وأشدهم خداعاً وتخيلاً، وكانوا جمعاً كثيراً وجماً غفيراً أحضروا مجلس فرعون، وأراد موسى عليه السلام أن تقع تلك المبارزة يوم عيد لهم، ليكون ذلك أمام حشد عظيم، ولتظهر حجته عليهم أمام الجموع الغفيرة، وهذا كله من لطف الله جل جلاله في إظهار أمر موسى عليه السلام.

وَقِيلَ لِلنَّاسِ: هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ؟ أي طلب من الناس الاجتماع، وحثهم قوم فرعون على الحضور لمشاهدة ما يحدث من الجانبين، ثقة من فرعون بالغلبة، وهم أرادوا ذلك حتى لا يؤمن أحد بموسى، وموسى عليه السلام رغب أيضاً في هذا التجمع لتعلو كلمة الله، وتتغلب حجة الله على حجة الكافرين.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ أي وقال قائلهم: إنا نرجو أن يتغلب السحرة، فنستمر على دينهم، ولا نتبع دين موسى. ولم يقولوا: نتبع الحق، سواء كان من السحرة أو من موسى لأن الرعية على دين ملكهم.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ أي لما قدم السحرة إلى مجلس فرعون، وقد جمع حوله وزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته، قالوا: هل لنا أجر من مال أو غيره إن تغلبنا على موسى، قال: نعم لكم الأجر، وزيادة على ذلك أجعلكم من المقربين عندي ومن جلسائي، فهم ابتدأوا بطلب الجزاء: وهو إما المال وإما الجاه، فبذل لهم كلا الأمرين ولا يتردد فرعون في بذل الجزاء الحسن لهم. إنه ليس جزاء ماديّا وحسب، بل إنهم سيكونون من خاصة فرعون، ومن المقربين عنده﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وينتهى هذا المشهد، ليخلي مكانه لمشهد آخر[1].

**رابعا: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- الرؤساء والقادة وسادة القوم يستعملون الإغراءات المادية للمحافظة على سلطتهم الزمنية، بينما أهل الحق فإن أجرهم على الله ﷻ.

٢- عندما تكون المواجهة بين الحق والباطل يحشد أصحاب الباطل كل ما عندهم، ويدخل صاحب الحق التحدي متوكلاً على الله[2].

٣- يجوز إعطاء المكافأة للفائزين في المباراة وغيرها ومن ذلك السباق في الإسلام[3].

٤- مشروعية طلب الأجرة على العمل الذي يقوم به الإنسان خارجاً عن نطاق العبادة[4].

---

(١) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ٥٩)، والتفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٤٩)، والتفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٨٥).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٥/١٣).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٧).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢١٩).

٥- مشروعية الترقيات الحكومية لذي الخدمة الجُلى للدولة[١].

٦- دل قوله:﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوٓاْ ...﴾ على أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبداً ذليلاً مهيناً عاجزاً، وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى عليه السلام[٢].

٧- السحر الذي هو شعوذة وتخييل صناعة من الصناعات يتعلم ويبرع فيها المرء، ويتقدم حتى يتفوق على غيره[٣].

٨- حرمة السحر وحرمة تعلمه، ووجوب إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به[٤].

٩- إنّ من يعمل لغيره بأجرة ليس كمن يكون عمله لله، ومن لا يكون له ناصر إلّا بضمان الجعالة وبذل الرّشا فعن قريب سيخذل[٥].

١٠- صاحب الحق يحرص على إيصال دعوته إلى أكبر عددٍ ممكن، ليقيم عليهم الحجة، ويشبه قصة موسى عليه السلام قصة أصحاب الأخدود[٦].

١١- المرتزقة المأجورون ليسوا أصحاب رسالاتٍ ومبادئ، وإنما جامعو أموالٍ ودنيا[٧].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢١٩).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٤٢).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢١٧).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٢/ ٢١٧).

(٥) ينظر: لطائف الإشارات تفسير القشيري (٣/ ١١).

(٦) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٥/١٣).

(٧) ينظر: المرجع السابق (٨٦/١٣).

## المطلب الخامس

## المبارزة بين الحق والباطل ونتيجتها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٣ – ٤٨]

**أولاً: المناسبة:**

بعدما اجتمع السحرة والناس في صعيد واحد في الوقت المعلوم، وقد وعدهم فرعون بالأجر الكبير والمكانة المرموقة، انتقلت الآيات لتحدثنا عن مشهد المبارزة الذي تبعه انتصار الحق على الباطل، استمراراً مع تسلسل أحداث القصة.

**ثانياً: القراءات:**

- قرأ البزيّ وصلاً: ﴿تَّلَقَّفُ﴾ بتشديد التاء والقاف مع فتحهما.
- قرأ حفص: ﴿تَلْقَفُ﴾ بتخفيف التاء والقاف وفتحهما مع إسكان اللام.
- قرأ الباقون: ﴿تَلَقَّفُ﴾ بتخفيف التاء وتشديد القاف مع الفتح وفتح اللام[1].

قال ابن جني[2]: أفادت القراءات الثلاث أن عصا موسى عليه السلام تحولت إلى ثعبان مخيف يلتهم ويزدرد بسرعة إفك السحرة وخداعهم وفي ذلك دلالة على صدقه وكذبهم ولكن قراءة التشديد ﴿تَّلَقَّفُ﴾تفيد الكثرة والتكرار[3].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾: ابدءوا بإلقاء ما تريدون فأنا لا أخشاكم، قاله ثقةً بنصرة الله له وتوسلاً لإظهار الحقّ[4].

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢ /٢٧١).

(٢)) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، عن نحو ٦٥ عاما. وكان أبوه مملوكا روميا. توفي ٣٩٢ هـ ، ومن تصانيفه «شرح ديوان المتنبي » و «المبهج » في اشتقاق أسماء رجال الحماسة، و «المحتسب » في شواذ القراءات، ، و «الخصائص » في اللغة، و «اللمع » في النحو، و «المقتضب من كلام العرب » ، وغير ذلك وهو كثير. وكان المتنبي يقول: ابن جني أعرف بشعري مني. ينظر: «الأعلام» للزركلي(٤/٢٠).

(٣) ينظر: الخصائص لابن جني (٢/١٥٥).

(٤) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٤٨).

٢- ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: أقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم أو لإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر[١].

٣- ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع وتأخذ[٢].

٤- ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي: ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم، ويزوّرونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى، بالتمويه على الناظرين أو إفكهم[٣].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

ابتدأ الحوار بين موسى عليه السلام والسّحرة عن أيهما البادئ بالفعل، فقدّمهم موسى، قائلا لهم: ألقوا ما تريدون إلقاءه من العصي والحبال، ثقة وإيماناً منه بأن الله غالبه ومؤيّده، ويجعل ما يلقونه طعمة لعصاه الثعبان المبين. فألقوا ما معهم من الحبال المطلية بالزّئبق والعصي المحشوة به، وقالوا: بعزّة فرعون- أي بقوته وجبروته- إنا لنحن الغالبون.

ولما حميت الشمس، تحركت العصي والحبال، وخيّل إلى موسى أنها تسعى، وسحروا أعين الناس، واسترهبوهم، وجاؤوا بسحر عظيم. ثم ألقى موسى عصاه، فانقلبت ثعبانا عظيما، فابتلعت كل ما وجدته في حلبة المبارزة من عصي وحبال. ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ معناه: تبتلع ما يكذبون معه وبسببه.

فخرّ السّحرة ساجدين لله سبحانه وتعالى بلا مبالاة ولا شعور، لأنهم أدركوا أن ما فعله موسى فوق قدرة البشر، وأنه من فعل الله سبحانه وتعالى ربّ موسى وهارون، وأما فعلهم: فهو مجرد تمويه وتزييف وتخييل. ونائب فاعل فَأُلْقِيَ هو الله عز وجل. ورأوا أن الغنيمة هي الإيمان والتّمسّك بأمر الله عز وجل، فسجدوا كلهم لله جل جلاله مقرّين بوحدانيته وقدرته، ووصلوا إلى إيمانهم بسبب موسى وهارون عليهما السلام، وقالوا: صدّقنا واعترفنا بالله ربّ العالمين، وأكّدوا ذلك بأنه هو ربّ موسى وهارون، غير آبهين بعزة فرعون وجبروته. وهذا دليل على إسقاط ألوهية فرعون وربوبيته . فلما رأى السحرة هذه الآية العظيمة، تيقنوا لعلمهم أن هذا ليس بسحر، وإنما هو آية من آيات الله، ومعجزة تنبئ بصدق موسى، وصحة ما جاء به[٤].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- إن فرعون وقومه أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، وذلك شأن الإيمان والكفر والحق والباطل ما تقابلا إلا غلب الإيمان الكفر: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٢/ ١٥٥).

(٢) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٩١)، وتفسير الجلالين (ص: ٤٨٣)

(٣) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٣١٣).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨٢٨)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٤٧).

٢- كانت الحسابات المتوقعة في منطق القوة التي لا تعتمد على شيء من الإيمان أن موسى عليه السلام سينهزم، وأن السّحرة سيتغلّبون، ولكن في منطق الإيمان بالله ربّ العالمين تتغيّر كل الحسابات، وتنقلب الموازين، وكان لترتيب المبارزة أثر كبير في قلب الأوضاع، حيث أدّت مهارة موسى عليه السلام وتوفيقه من ربّه، بتقديم فعل السّحرة أولاً، وتأخّر فعل موسى، إلى نجاح كبير، وحدث ما لم يتوقعه أحد، وهو إيمان السّحرة بربّ العالمين، ربّ موسى وهارون. وفي ذلك النجاح الباهر حدث كبير، يهزّ مشاعر النفوس المؤمنة، ويدفع أهل الإيمان إلى شدّة الثبات على العقيدة وزيادة الإيمان، كما يخدش كبرياء المتغطرسين الذين يفتقدون معيار الإيمان، ولا يدركون معناه(١).

٣- لا بد أن يعلم الإنسان أن التاريخ يسجل عليه كل شيء، ويُحصي عليه كل عمل، وأن الإنسان في هذه الحياه الدنيا ذكرى؛ فإما أن تكون ذكرى خير، وإما أن تكون ذكرى شر، لذا وجب على العاقل أن يحرص أن تكون له ذكرى خير في هذه الحياة، كما قال ﷺ «**أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ**»(٢) ، فمن شهد له الناس بالخير فليستبشر خيراً، ومن كان غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

٤- الأدب الحسن يفيد في الدنيا والآخرة، لما تواضع السحرة لموسى عليه السلام وقدموه على أنفسهم فهو قدمهم على نفسه على رجاء أن يصير ذلك التواضع سبباً لقبول الحق ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب، وهذا تنبيه على أن اللائق بالمسلم في كل الأحوال التواضع، لأن مثل موسى عليه السلام لما لم يترك التواضع مع أولئك السحرة، فبأن يفعل الواحد منا أولى(٣).

٥- يستفاد من الآيات أن العبرة بالخواتيم، فقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول« **يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**»(٤)،قال القشيري(٥)"فقد كان السحرة قبل قليل يقسمون بعزة فرعون، وهاهم الآن يقولون:﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ "(٦). لذا يدعوا المؤمن دائماً «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»(٧).

٦- بيان سنته ﷻ في أن الحق والباطل إذا التقيا في أي ميدان فالغلبة للحق دائماً

٧- بطلان السحر وعدم فلاح أهله ولقوله ﷻ: ﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾[ طه: ٦٩] .

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨٢٦).

(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز، بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى المَيِّتِ، ٢/٩٧حديث رقم (١٣٦٧)، ومسلم كتاب الجنائز باب٢٠ بَابُ فِيمَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ الْمَوْتَى. ٢/٦٥٥،حديث رقم (٦٠).

(٣) ينظر: تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٥٠٣) بتصرف.

(٤) صحيح مسلم كتاب الايمان،باب٥١ بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ. ١/١١٠،حديث رقم (١٨٦) .

(٥) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوريّ القشيري الشافعي، من بني قشير، الملقب زين الإسلام: شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. فقيه، أصولي، حافظ ومفسر، محدث كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها ٤٦٥ هـ وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه. من مؤلفاته التيسير في التفسير و لطائف الإشارات. ينظر: الادباء(٤/١٥٧٠) و تاريخ اربل ابن المستوفي٢(/٣٦٠).

(٦) ينظر: لطائف الإشارات تفسير القشيري (٣/ ١١).بتصرف

(٧) المستدرك ١/٧٠٦،حديث رقم (١٩٢٦) ،كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ.

٨- فضل العلم وأنه سبب الهداية فإيمان السحرة كان ثمرة العلم، إذ عرفوا أن ما جاء به موسى ليس سحراً وإنما هو آية له من الله فآمنوا[١].

٩- السحر من الكبائر التي نهى الله عنها، وتعلمه للعمل به حرام[٢]، ووجب على الإمام إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به[٣] قال أبو حيان في البحر المحيط: "وأما حكم تعلّم السحر فما كان منه منه ما يعظّم به غير الله من الكواكب والشياطين وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعاً ولا يحل تعلمه ولا العمل به، وكذا ما قصد بتعلّمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء، وأما إذا كان لا يعلم منه شيئا من ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلّمه ولا العمل به" [٤]. وقد عده رسول الله ﷺ من السبع الموبقات في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة وأخرجه الشيخان وقد أمر باجتنابه[٥] باجتنابه[٥] فقال:«**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»، **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ...**»[٦].

١٠- السحر صناعة من الصناعات يتعلم ويبرع فيها المرء، ويتقدم حتى يتفوق على غيره.

١١- إن السحر خطر عظيم وشر مستطير وآفة مدمرة، فقد عالج الإسلام هذه الظاهرة من منطلق الشمولية والوضوح الذي لا يشوبهما شائبة، فوضع القواعد والأسس الصارمة للتعامل معها، وجعل الكفر مصيراً ومآلاً لمن يرتاد هذه الشرذمة من الناس، بل قد جعل حد الساحر القتل وهو الراجح من أقوال أهل العلم، وما كان ذلك إلا لمعالجة هذا الداء كي لا ينتشر بين الناس ويؤدي إلى ما يؤدي إليه من ضياع وتشتت وهدم للعقيدة.

١٢- لم يبادر موسى بإلقاء عصاه أولاً لأن المسألة مسألة علم لا مسألة حرب ففي الحرب تنفع المبادرة بافتكاك زمام المعركة، وأما في العلم فيحسن تقديم الخصم، فإذا أظهر ما عنده كَرَّ موسى عليه بالحجج والبراهين فأبطله وظهر الحق وانتصر على الباطل، هذا الأسلوب الذي اتبع موسى بإلهام من ربه ﷻ[٧].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٢٠).

(٢) ينظر: "كشاف القناع "المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتى الحنبلى (ص:١٨٦).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢١٧).

(٤) تفسير البحر المحيط لابن حيان (٣٢٨/١).

(٥) ينظر: بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العان (٥/ ٦٦).

(٦) رواه البخاري كتاب الوصايا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. ١٠/٤حديث رقم (٢٧٦٦) ، ومسلم كتاب الايمان باب ٣٨ بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا. ٩٢/١،حديث رقم (١٤٥).

(٧) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٩).

١٣- ما سلكه فرعون مع السحرة كله من باب المناورات السياسية الفاشلة، وهكذا أصحاب المناصب والكراسي يفعلون، إنهم يغرون العلماء والمفكرين والإعلاميين وغيرهم ممن لهم تأثير في الجمهور ليقلبوا لهم الموازين، فيصورون الحق باطلاً والباطل حقاً [١].

١٤- تأثير السحر على أعين الناس حقيقة بحيث يرون الشيء على خلاف ما هو عليه إذ العصي والحبال استحالت في أعين الناس إلى حيات وثعابين[٢].

١٥- من شأن خواص الملك ألا يفعلوا شيئاً إلا بإذنٍ من ملكهم، ولذلك أنكر فرعونُ على السحرة المبادرة إلى الإيمان قبل إذنه[٣].

١٦- إذا فاضت مشاعر الإيمان في النفس، هانت أمامها كل الصعاب، فإن السحرة آمنوا برب موسى، غير مبالين بفرعون وسطوته[٤].

١٧- الثبات عند الكربات عنوان الإيمان الصادق: هكذا كان السحرة بعد الإيمان من الصبر والثبات وعدم المبالاة بعدوهم، هكذا ينبغي أن يكون مَن مراده مولاه، لا يلتفت إلى شيء سواه، وعند هذه التصرفات يفتضح المُدّعُون ويثبت الصادقون، عند الامتحان يعز المرء أو يهان[٥].

١٨- احتجّ أهل السّنّة بقوله ﷻ: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ على أن غيرهم ألقاهم ساجدين، وما ذاك إلا الله رب العالمين. وهذا يدلّ على أن فعل العبد من خلق الله ﷻ، فهو خالق الميل إلى الإيمان في قلوبهم[٦].

١٩- السحر حق لا ينكر وقوعه ولا يجوز نفيه لوروده في القرآن وورود أنه مما يتعلم وأنه مما يكفر فيه وأنه مما يفرق ، فلا يمكن القول بعدم حقيقة السحر ومذهب أهل السنة والجماعة على ثبوته وأن له حقيقة كغيره من الأشياء الثابتة، ولا يستنكر عقلا لأن الله ﷻ يخرق العادة عند النطق بكلام مغلق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى لا يعرفها الا الساحر، فإنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله القائل: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة الصّافات:٩٦]، فما يقع من الساحر عبارة عن عادة أجراها الله على يد من شاء من عباده، وأن كل ما يقع في الوجود بقضاء الله وقدره[٧].

٢٠- كل من اعتمد على غير الله، واعتزَّ بغير الله، فهو خاسرٌ ذليلٌ مهزومٌ. لا يصمد الباطل أمام الحق في المواجهة، لأن الحق يدمغه ويُزهقه[٨].

٢١- إذا دخل الإيمان القلب أناره، وغير حياة صاحبه، وجعله أثبت من الجبال[١].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٠).بتصرف

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢١٩).

(٣) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٤/ ١٣٥).

(٤) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٣٤).

(٥) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٢/ ٢٤٨).

(٦) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٤٦).

(٧) ينظر: بيان المعاني، المؤلف: عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العان (١/ ١٨٦) بتصرف.

(٨) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٦/١٣).

## المطلب السادس

## عنجهية فرعون وتمرده على الحق

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [ الشعراء: ٤٩]

**أولاً: المناسبة:**

لما آمن السحرة برب العالمين، وكفروا بربوبية فرعون، خاف فرعون أن يؤمن الناس كذلك بالله وحده ويكفروا به، فلجأ إلى التهديد والوعيد بتقطيع الأيدي والأرجل وتصليب المؤمنين بالله في جذوع النخل ليبقى محافظاً على ملكه وتسلطه.

**ثانيا: المفردات اللغوية:**

١- ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ﴾: أي: بغير إذن مني، قال ذلك لما خاف على قومه أن يتبعوا السحرة، كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم، فإني أنا الحاكم المطاع[٢].

٢- ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: يعني: اليد اليمنى مع الرِّجْل اليُسْرى، أو اليد اليسرى مع الرِّجْل اليمنى[٣].

٣-﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: أي لأشدنكم بعد قطع أيديكم وأرجلكم من خلاف على الأخشاب[٤].٤

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

لما رأى فرعون والملأ إيمان السّحرة، وقامت الحجة بإيمان أهل علمهم ومظنّة نصرتهم، وقع فرعون في الورطة العظمى، فوقف موبّخاً لهم على إيمانهم بموسى قبل إذنه، وقال: أتؤمنون بموسى قبل استئذاني، وكيف تعصون أمري، وأنا الحاكم المطاع؟

وأضاف فرعون قائلاً: وإنكم فعلتم ذلك بتواطؤ بينكم وبينه، ولم تقوموا بمقتضى السّحر، ليتغلّب موسى. وهذا تلبيس على القوم، لئلا يعتقدوا أن إيمان السّحرة حقّ.

ولسوف تعلمون وبال فعلكم، ومدى عقابكم. وهذا تهديد ووعيد.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٨٧/١٣).

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن لمحمد صديق خان القنوجي(٩/ ٣٧٨).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٧٢).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٤٨).

وإني لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، بقطع اليد اليمنى، والرّجل اليسرى، ولأصلبنكم في جذوع النّخل بعد ذلك. فانتقل من التضليل إلى التهديد كشأن الطغاة دائماً إذا ما حل بهم الدليل يسترون عجزهم بالتهديد[١].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- القلوب المظلمة بالكفر ولجرائم أصحابها لا يتورعون عن الكذب واتهام الأبرياء[٢].

٢- شأن الطغاة في كل زمان إذا عجزوا عن مقارعة الحجة بالحجة أن يلجأوا:

**أولاً:** إلى تشويه الدعاة وأهل الخير بما يمتلكون من وسائل الإعلام، وذلك باختلاق الأكاذيب وإلصاق التهم إليهم.

**ثانياً:** ثم يأتي بعد ذلك مرحلة التهديد والوعيد، ويبدأون في التنفيذ مسخرين لذلك المحاكم العميلة و علماء السوء، لتغطية جرائمهم، واختفاء الصبغة القانونية عليها [٣].

٣- قوله ﷻ: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ قال ابن العربي: هذا يدلّ على أنّ الصّلب وقطع اليد والرّجل من خلاف كان عقوبة متأصّلة عند الخلق، تلقّفوها من شرع متقدّم، فحرّفوها حتى أوضحها الله في ملّة الإسلام، وجعلها أعظم العقوبات لأعظم الاجرام أي عقوبة المحاربين[٤].

٤- الفرج الإلهي يأتي بعد الشدة، ونصرة الحق تأتي عند اشتداد الأزمة، فقد دافع رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه عن موسى، وحذر فرعون وآلة بطش الله، غير خائف ولا مبال به وبسلطته، ضارباً الأمثال بالأمم الخالية، كما جاء في قوله ﷻ في سورة غافر: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم ... ﴾ [غافر: ٢٨] [٥].

٥- لم يملك فرعون إلا أن يعلن بأن موسى كبير السحرة ورئيسهم في التعليم، وأنه إنما غلبهم لأنه أحذق منهم ليشبه على الناس، حتى لا يتبعوهم فيؤمنوا كإيمانهم، وإلا فقد علم فرعون أنهم لم يتعلموا من موسى، بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى وولادته[٦].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨٢٨)، وزهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٥٧).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٢/ ٢٢٢)

(٣) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٦/١٣).بتصرف

(٤) ينظر: أحكام القرآن للقرطبي (٧٧٩/٢).

(٥) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٣٤).

(٦) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٦/ ٢٥٠).

## المطلب السابع

## ثبات المؤمنين أمام غطرسة المتمردين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾

[الشعراء: ٥٠ – ٥١]

**أولاً: المناسبة:**

هذا رد السحرة على تهديد فرعون السابق بأنهم ثابتون على الإيمان بالله ﷻ.

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿لَا ضَيْرَ﴾: الضير: مرادف الضر، يقال: ضاره بتخفيف الراء يضيره، و﴿لَا ضَيْرَ﴾ مصدر ضاره الأمر يضوره ويضيره ضيراً، والمعنى :لا يضرنا وعيدك. (١).

٢- ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون إلى ثواب ربنا في الآخرة، وهو خير ثواب وخير عاقبة(٢).

٣- ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بموسى، من هؤلاء الجنود، فثبتهم الله وصبرهم(٣).

**ثانياً: التفسير الإجمالي:**

لم يلتفت السحرة إلى هذا التهديد والوعيد بعد أن استقر الإيمان في قلوبهم، بل قالوا كما حكى القرآن عنهم: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي: لا حرج ولا ضرر علينا من ذلك، ولا نبالي به، فكل إنسان ميت، ولو بعد حين. قال ابن نباتة السعدي(٤):

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الأسباب والموت واحد

والمرجع إلى الله ﷻ، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملا، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا، بل لنا فيه أعظم النفع، لأنا بفعلك هذا وصبرنا عليه، شهادة على حقيته، إلى ثوابه ورحمته راجعون، فننقلب خير منقلب، شهداء سعداء وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء، وهذا دليل على أنهم ما آمنوا رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب، ولهذا قالوا:﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وهذا إشارة منهم إلى الكفر والسحر، أي إنا نأمل أن يغفر لنا ربنا ذنوبنا وما أكرهتنا عليه من السحر، من أجل

---

(١) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٤/ ٩٠)، والتحرير والتنوير (١٩/ ١٢٨).

(٢) ينظر: تفسير الجلالين (ص: ٤٨٣)، والمنتخب في تفسير القرآن الكريم (ص: ٥٤٧)

(٣) ينظر: تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٩٢).

(٤) ابن نباتة السعدي هو الشاعر أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة بن حميد بن نباتة بن الحجاج بن مطر التميمي السعدي، ولد في بغداد عام ٣٢٧هـ/٩٤١م.

أن كنا أول المؤمنين الذين شهدوا هذا الموقف، أو بسبب أنا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان. فما كان من فرعون إلا أن قتلهم جميعاً[١].

**ثالثاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- قوة الإيمان مصدر شجاعة خارقة للعادة بحيث يفرح المؤمن بالموت لأنه يوصله إلى ربه[٢].

٢- بيان فضل من أظهر الإيمان كفاحاً، مجاهرة بالحق بلا تقية[٣].

٣- حسن الرجاء في الله والطمع في رحمته، وفضل الأسبقية في الخير[٤].

٤- إذا كان الإيمان بالدّين الحقّ والصّبر على الشّدائد من خلق الله ﷻ، كما يقول أهل السّنة، فإنّ اتّجاه إرادة الإنسان للأخذ بهما، والاستعانة بالله للثّبات على الإسلام، دليل على استحقاق العبد الثّواب على ما اتّجهت إليه إرادته، إذ لو كان الإيمان مجرّد منحة من الله، لما كان هناك داع لإثابة المؤمن، وتعذيب الكافر.

٥- إنّ الإنسان إذا تجرّد عن هواه، وأذعن للعقل والفكر السّليم، بادر إلى الإيمان عند ظهور الأدلّة عليه. وصلابة السّحرة ومن تابعهم في إيمانهم أحد المظاهر التي تدلّ على أنّ الإيمان الرّاسخ في النّفس يكون أعزّ وأمنع من الجبال الرّاسيات.

٦- دلّت التّجارب وأثبت التاريخ قديماً وحديثاً أنّ أهل الإيمان بالله واليوم الآخر هم أشدّ الناس حزماً، وأكثرهم شجاعة وصبراً في أوقات الأزمات والمحن والحروب، والأمثلة كثيرة في تاريخ الإسلام قديماً في الفتوحات، وحديثاً في لقاء اليهود وأمثالهم في فلسطين وسوريا والجزائر والهند وأفغانستان وغيرها[٥].

٧- ربما يُخلّد ذكر الإنسان ويدخل التاريخ وهو لم يعمل شيئاً في الإسلام، أمثال هؤلاء السحرة الذين كانوا على الكفر ثم دخلوا الإسلام فقتلهم فرعون، فخلّد الله ذكرهم إلى يوم الدين لأنهم أخلصوا لله.

٧- إن أعلى مراتب الإيمان أن يبلغ المرء في حب الله مبلغ التفاني بحيث يكون إيمانه ليس رغبة في ثواب أو رهبة من عقاب.

٩- فضيلة الاسترجاع أن يقول ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٦] حيث فزع إليها السحرة لما هددهم فرعون إذ قالوا ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي راجعون فهان عليهم ما تهددوا به.

---

(١) ينظر: تفسير الألوسي روح المعاني (١٠/ ٧٩)، وتفسير القاسمي محاسن التأويل (٧/ ٤٥٧).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٢).

(٣) ينظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل (٧/ ٤٥٧).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٢).

(٥) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (٩/ ٥١).

١٠- المسلم يلاقي من العذاب والإيلام إذا قال الحق، واتبع الحق، وآمن بالحق، وصدق برسول الحق، ولقد صدق الله حيث يقول﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] .

فصبراً ثم صبراً لكل من عذب في سبيل الله والدعوة لدين الله، فعسى أن يكون هذا تطهيراً لنفوسنا وإصلاحاً لقلوبنا﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [ سورة العنكبوت: ٢] [(١)].

١١- إن أهمّ أمور السحرة بعد إيمانهم بالله ﷻ كان الاستغفار لما سلف من ذنوبهم، وهذه هي غاية همّه الأولياء، أن يستجيروا بالله، وأن يستعيذوا من عقوبة الله، فأعرفهم بالله أخوفهم من الله[(٢)].

١٢-الرواد السابقون إلى الإيمان يدفعون ثمن ذلك غالياً في الدنيا، لكنهم مقربون عند الله[(٣)].

---

(١) ينظر: التفسير الواضح المؤلف: الحجازي، محمد محمود (٢/ ٧٥٤).بتصرف

(٢) ينظر: لطائف الإشارات تفسير القشيري (٣/ ١١).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٨٦/١٣).

## المطلب الثامن

## وحي الله لموسى عليه السلام بالسّري ليلاً

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٥٢ ﴾[الشعراء: ٥٢ ]

**أولاً: المناسبة:**

لما طال مقام موسى في مصر، وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم في ذلك يكابرون ويعاندون، لم يبق إلا العذاب والنكال، فأمر الله ﷻ موسى بأن يخرج ببني إسرائيل ليلا من مصر، وأعلمه أن فرعون سيتبعهم، وأمره بأن يتوجه حيث يؤمر، ففعل موسى ما أمره به ربه[١].

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾: الوحي لغةً: إعلام بخفاء، وشرعاً: إعلام من الله لرسول من رسله بمنهج خير لخَلْقه[٢].

٢- ﴿أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ﴾ ﴿أَسۡرِ﴾ من الإسراء وهو السير ليلاً فلا يقال لمن سار نهاراً أسرى وإنما هو خاصٌ بالليل[٣]. والمعنى: سر بهم ليلًا واخرج ببني إسرائيل من أرض مصر[٤].

٣- ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ أي من قبل فرعون وجنوده ليردوكم إلى أرض مصر ويقتلوكم[٥].

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

دقّ ناقوس الخطر بعرش فرعون ونهاية عهد الفراعنة بمصر، بعد انتشار الطغيان والفساد، وتأليه الظالم الجبار فرعون، لأنهم اعتمدوا على القوة البشرية الذاتية، ناسين الله وقدرته وتدبيره. وتهيأ الأمر لإنجاء بني إسرائيل، بعد أن ظلوا ردحا من الزمان عبيدا وخدما لقوم فرعون. وانتشر الرّعب والخوف من إدراك جيش فرعون للإسرائيليين الفارّين من مصر، وظهر صوت الحق والإيمان على لسان موسى عليه السلام، وحدثت المعجزة الغريبة بانفلاق البحر لقوم موسى وإنجائهم، ثم إطباق البحر على فرعون وجنوده وإغراقهم.

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: أوحى الله إلى موسى أن يسير ليلا باتجاه البحر مع قومه بني إسرائيل وسمّاهم عباده لأنهم آمنوا بموسى، ففعل موسى، وقد أخبره الله أن فرعون وقومه سيتبعونهم، حتى إذا تبعوهم مصبحين، تقدموا عليهم ولم يدركوهم قبل وصولهم إلى البحر، فيدخلون فيه، ثم يلحقهم في مسالكهم فرعون وجنده، فيطبقه عليهم ويغرقهم.

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٨٦٦).

(٢) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٧٣).

(٣) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٠).

(٤) ينظر: جامع البيان (١٦/ ١٩١)، وتفسير كتاب الله العزيز (٤٥/٣) ومعالم التنزيل (٢٨٦/٥)، وتفسير السعدي (ص: ٥٩٢).

(٥) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٦٥١/٣)، وصفوة التفاسير (٣٥٠/٢).

﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ إشارة إلى أن يأخذ موسى وقومه حذرهم، وأن يخرجوا من مصر في خفية وحذر، فإن عيون فرعون ترقبهم، ولهذا جاء الأمر بأن يكون خروجهم ليلاً، من غير أن يراهم أحد [١].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- تقرير النبوة المحمدية إذ مثل هذا القصص لا يقصه إلاّ بوحي إليه إذ لا سبيل إلى معرفته إلاّ من طريق الوحي الإلهي[٢].

٢- تفضل الله على بني إسرائيل بإنقاذهم وإنجائهم من ظلم فرعون وقومه[٣].

٣- ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى﴾ دلالة على أن موسى عليه السلام في تلك الحالة كثر مستجيبوه. فأراد الله ﷻ تمييزهم من طائفة فرعون وخلاصهم فأوحى إليه أن يسري بهم ليلاً[٤].

٤- جرت سنة الله ﷻ أن ينجي عباده المؤمنين، وينقذهم من مكائد أعدائهم الكافرين[٥].

## المطلب التاسع

## إصرار فرعون على الانتقام من الذين آمنوا

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الشعراء: ٥٣ – ٦٠]

**أولاً: المناسبة:**

لما أوحى اللهُ ﷻ لموسى عليه السلام أن يسرى ببني إسرائيل ليلاً خوفاً من فرعون وملئه، عطف عليه قوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ فعلم بهم، فأرسل سريعاً في مدائن مصر من يحشر الجند كالنقباء والحجّاب. حتى يلحقوا بموسى ومن معه[٦].

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٣/ ١٠٠)، والتفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٥٨)، والتفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٩٢).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٣٦٧).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٦/ ٢٥٧).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (٢٢/ ٨٠٩).

(٥) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (١٣/٩٠).

(٦) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٤/ ٣٨) بتصرف.

**ثانياً: القراءات:**

قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان وهشام بخلف عنه ﴿**حاذرون**﴾ بألف بعد الحاء، بينما قرأ الباقون ﴿حَٰذِرُونَ﴾ بحذف الألف[١].

ذهب بعض العلماء إلى أنهما لغتان وبمعنى واحد[٢]، لكن بالنظر إلى القراءتين نجد أن كلاً منهما أفادت معنى جديداً ، فقد أفادت قراءة حذرون التي هي صيغة مبالغة أنهم دائماً متيقظون فالحَذِر من كان الحذَر في خلقته فهو لا يلقاك إلا حذراً دائم اليقظة منتبهاً.

أما قراءة ﴿**حاذرون**﴾ اسم الفاعل فتفيد الاستقبال أي: أنهم مستعدون للقتال في المستقبل[٣].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ يحشرون الناس لطلب موسى وهارون[٤].

٢- ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴾ الشرذمة: الجمع القليل الحقير، والشرذمة الطائفةُ من الناس[٥].

٣- ﴿ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾: أي: فاعلون ما يغيظنا ويغضبنا[٦].

٤- ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ الحذَر والحذِر: التحرز، ورجل حذِر: أي: متيقظ متحرز والجمع حذرون وحذاري بفتح الراء[٧].

٥- ﴿مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾ قال مقاتل: يعني البساتين ﴿وَعُيُونٖ﴾ يعني: أنهارًا جارية[٨].

٦- ﴿ وَكُنُوزٖ ﴾ يعني: الأموال الظاهرة من الذهب والفضة[٩]. وإنما سمي: كنزًا؛ لأنه لم يعط حق الله منها. وكل ما لا يعطى حقُّ الله منه فهو كنز وإن كان ظاهرًا[١٠].

٧- ﴿ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴾ [يعني: المساكن الحسان[١١]. قال المفسرون في قوله: ﴿ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ﴾: هو المجلس الحسن من مجالس الأمراء والرؤساء التي كانت تَحفُّ بها الأتباع[١٢].

---

(١) ينظر: النشر لابن الجزري (٢/٣٣٥).

(٢) ينظر: مجاز القرآن (٢/٨٦) والكشف (٢/١٥١).

(٣) ينظر: روح المعاني (١٠/٨١)، وجامع البيان (١١/١٩/٧٩)، وتفسير أبو السعود (٥/٤٢)

(٤) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٤٩).

(٥) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٠).

(٦) ينظر: تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٩)، و اللباب في علوم الكتاب (١٥/ ٣٠).

(٧) ينظر: مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي الرازي (ص:١٢٧).

(٨) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٤٩).

(٩) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٧٨).

(١٠) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٤٩)، وذكره الثعلبي (٨/١١٠)، والبغوي (٦/١١٤).

(١١) ينظر: تفسير مقاتل (ص:٤٩).

(١٢) ينظر: تفسير الطوسي (٨/٢٥)، والبغوي (٦/١١٤)، والماوردي (٤/١٧٢).

٨- ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي مثل ذلك الإخراج الذي وضعناه فعلنا بهم، وأورثنا بني إسرائيل ديارهم وأموالهم بعد إغراق فرعون وقومه[١].

٩- ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾: لحِقوهم مصبحين حين شرقت الشمس، أي: طلعت، يقال: أشرقنا، أي: دخلنا في الشروق[٢].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

لما أراد الله ﷻ إنجاء بني إسرائيل وإغراق فرعون، أمر موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً باتّجاه البحر، وأخبره أنهم سيتبعون من أعدائهم فرعون وقومه، فخرج موسى وقومه.

فلما علم فرعون في الصباح بخروج بني إسرائيل، اغتاظ وغضب، فأرسل في مدائن مصر من يحشر الجند يجمعهم مستخدما أسلوب التعبئة المعنوية والمادية لتحريض قومه على الخروج معه، واصفاً الإسرائيليين بأنهم جمع قليل محتقر، وإنهم مصدر نكد وإغاظة لنا بأخذهم المال وهروبهم ليلاً، فإنهم قد ذهبوا بأموالنا باستعارة حلي القبط وأموالهم، وإننا قوم نحذر المخاطر، ونستعدّ لإبادتهم بالسلاح.

وألهم الله قوم فرعون بضرورة الخروج، وأخرجهم مما كانوا يتمتعون به من بساتين خضراء، ورياض غنّاء، وأنهار وعيون جارية الماء، وكنوز ذهبية مخزونة، ومنازل عالية. وكان هذا الأمر حقّاً، وكان إخراج الله لهؤلاء كما وصف ﷻ، وورّث بني إسرائيل ثرواتهم، وذلك أن الله ﷻ رد بنى إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه، فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمساكن الحسنة. فتابع قوم فرعون الإسرائيليين، ولحقوا بهم مشرقين عند شروق الشمس على خليج السويس من البحر الأحمر[٣].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- مشروعية التعبئة العامة واستعمال أسلوب خاص في الحرب يهدئ من مخاوف الأمة حكومة وشعباً[٤].

٢- استخدام أسلوب حرب الأعصاب في الحروب والتي تعمل على خفض معنويات الجند والتأثير عليهم وانهزامهم نفسياً، وذلك عندما أوَحْى الله لموسى أن يَسْري ببني إسرائيل تَمَّ قبل أن يبعثَ

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥١).

(٢) ينظر: غريب القرآن، ابن قتيبة (ص:٣١٧)، ومعاني القرآن، للزجاج (٩٢/٤)، ومختصر تفسير ابن كثير (٦٤٨/٢).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٥٩)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٥٠).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٢).

فرعون في المدائن حاشرين، فأخذ فرعون يهيج الناسَ، ويجمعهم ضد موسى ويُجري لهم ما نسميه نحن الآن "غسيل مخ" أو يعلن على موسى وقومه حرب الأعصاب التي تؤثر على خروجهم[١].

٣- من حكمته ﷻ أن يستدرج الظالمين إلى الهاوية والهلاك، فيغرقهم جميعاً ليكون عبرة للمعتبر، وأن يقود جيش الإيمان بقيادة نبيهم إلى ساحل النجاة، ليظهر فضله، وتمام نعمته عليهم، وكان الله ﷻ قادراً أن يهلك فرعون وجنوده في قلب مملكته وفي أرض دولته، وإظهاراً لتلك الحكمة وسنته ﷻ في عباده لإنجاء المؤمنين المصدقين من أوليائه، المعترفين برسالة رسله وأنبيائه، وإهلاك الكافرين المكذبين لهم من أعدائه[٢].

٤- من العلماء من يرى أن بنى إسرائيل لم يعودوا لمصر بعد هلاك فرعون وقومه، وأن الضمير في قوله ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ لا يعود إلى الجنات والعيون التي أخرج الله ﷻ منها فرعون وقومه فيقول: ولا يعرف أن بنى إسرائيل عادوا إلى مصر بعد خروجهم إلى الأرض المقدسة، وورثوا ملك مصر وكنوز فرعون ومقامه، لذلك يقول المفسرون إنهم ورثوا مثل ما كان لفرعون وملئه. فهي وراثة لنوع ما كانوا فيه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم[٣]. وقيل: المراد بالوراثة هنا: وراثة ما استعاره بنو إسرائيل من حلى آل فرعون عند خروجهم من مصر مع موسى ﷺ. ويبدو لنا أنه لا مانع من عودة الضمير في قوله ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ إلى الجنات والعيون والكنوز التي أخرج الله ﷻ منها فرعون وقومه، بأن عاد موسى ومن معه إلى مصر لفترة معينة بعد هلاك فرعون وملئه، ثم خرجوا منها بعد ذلك مواصلين سيرهم إلى الأرض المقدسة، التي أمرهم موسى ﷺ بدخولها.

ولعل مما يؤيد ما نرجحه قوله ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٧].

وقوله ﷻ: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [سورة القصص:٦] [٤].

---

(١) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٧٦) بتصرف.

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/١٦١).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (١٩/٢١٢).

(٤) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٥١).

٥- المؤمن دائماً متيقظ ومستعد ومتأهب لمواجهة العدو في أي لحظة، فقوله ﷻ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾: تفيد هذه الآية بوجوب التيقظ للعدو وأخذ الحيطة والحذر في أي حالٍ من الأحوال قبل أن يستفحل العدو خطب المسلمين ويصعب رأب صدعهم[١].

٦- استعمال الحزم في الأمور وعدم الاستهانة بالعدو سواء من ناحية العدد أو العدة. فلا بد لذوي الحزم والعزم من الضبط والاحتياط في عموم الأحوال[٢].

٧- علينا أن نبيد العدو بأهون الوسائل، ولا خوف منهم إذا نحن اتبعنا آثارهم ورددناهم على أعقابهم حتى لا يعودوا كرة أخرى إلى الإخلال بالأمن والهرج والمرج والاضطراب في البلاد، وهذا ما يقتضيه الحزم واليقظة في الأمور. والذي نجزم به أن بنى إسرائيل كانوا أقل من جند فرعون.

٨- ضرورة سبق العدو في تحضير وإعداد القوات قتالياً وفنياً ونفسياً.

٩- إن الجيوش الجرارة، والأسلحة الفتاكة، والقوة الجبارة، لا يمكن ردها وإلحاق الهزيمة بها، إلا بالتفوق عليها ليس عبر الكلمة، وإنما بإعداد الرجال وامتلاك القوة التي ترهب العدو وترده خاسئاً على أعقابه. فإذا أرادت الأمة العزة والكرامة والحرية والاستقلال. وأرادت أن تبني حضارتها. لابد لها من العدة والإعداد في مواجهة أعدائها.

١٠- جازى الله فرعون وجنوده بما أرادوا أن يجازوا به بنى إسرائيل فأهلكوا جميعا ونجا بنوا إسرائيل[٣].

١١- الطغاة الظالمون يتكبرون وينتفشون، ويستهينون بأصحاب الحق ويحتقرونهم[٤].

١٢- التركيز على الإعلام وعدّه سلاحاً فعالاً في معركتنا ضد الاعداء باختلاف أشكاله وعدم اعتباره أمراً ثانوياً لا يُهتم به كما نرى في كثير من ساحات الصراع الدائرة في بلاد المسلمين.

١٣- الاطلاع على وسائل الاعلام المعادية في حربهم على أهل الإسلام ودراستها عن كثب والاستفادة منها وتسخيرها لخدمة المسلمين .

١٤- عدم التردد في بذل المال اللازم لإنجاح المشروع الإعلامي الإسلامي لأنه واحد من أعظم القربات الى الله ، لكونه سلاح فعال في أرض المعركة يندرج تحت جهاد اللسان والمال ، يقول النبي ﷺ:« **جاهدوا الكفار بأموالكم وانفسكم والسنتكم** »[٥].

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٣٩) بتصرف.

(٢) ينظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية للسمين الحلبي (٢/ ٤٣) بتصرف.

(٣) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ٦٧) بتصرف.

(٤) ينظر: التفسير المنهجي د. صلاح لخالدي (٩٠/١٣).

(٥) رواه الحاكم في المستدرك كتاب الجهاد ٩١/٢،حديث رقم (٢٤٢٧) ،. والنسائي كتاب الجهاد، باب١ باب وجوب الجهاد،٧/٦،حديث رقم(٣٠٩٦)، وحكم الالباني على الحديث صحيح.

## المطلب العاشر

## معية الله مع المؤمنين

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾

[الشعراء: ٦١ – ٦٢]

**أولاً: المفردات اللغوية :**

١- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه(١).

٢-﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي: سيدركنا جمع فرعون هذا الكثير، ولا طاقة لنا بهم(٢).

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

موسى عليه السلام قال ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾، فقدم المعية على ذكر الرب ﷻ: معي ربي، ولكن محمداً ﷺ قال ﴿إن الله معنا﴾ فقدم لفظ الجلالة على المعية، مزيد أدب من رسول الله، ولتربية المهابة في القلوب، فتقديم المعية في شأن موسى عليه السلام، وتأخير الربوبية للدلالة على تخصيص هذه المعية به دون غيره من قومه، إذ أنهم لم يكونوا على درجة من التوكل والثقة بالله، أما النبي ﷺ فبجانب ما فيه من تربية المهابة في القلوب، تدل على أن أمته ﷺ عندهم من اليقين والتوكل على الله لدرجة أن يشركهم فيها معه والله أعلم.

**ثالثاً: التفسير الإجمالي:**

﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي فلما رأى كل من الفريقين صاحبه، قال بنو إسرائيل وقد أيقنوا بالهلاك: إن فرعون وجنوده لحقوا بنا وسيقتلوننا، أو إنا لمتابعون وسنموت على أيديهم.

فطمأنهم موسى عليه السلام وهدّأ نفوسهم قائلاً: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ قال موسى: كلا لا يدركوننا، معي ربي بالحفظ والنصرة سيهديني إلى طريق النجاة والخلاص منهم، وسينصرني عليهم(٣).

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- ظهور آثار الاستعباد في بني إسرائيل متجلية في خوفهم مع مشاهدة الآيات(٤).

٢- ثبوت صفة المعية الإلهية في قول موسى ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى﴾إذ قال له عند إرساله ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] (٥).

---

(١) ينظر: تفسير الثعلبي (١١٠/٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للزجاج (٩٢/٤).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٦٠/١٩).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٦٥٤/٣).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٦٥٤/٣).

٣- الله ﷻ يُنجيّ المؤمنين من كل بلاء، ويخصّهم بكل نعمة[١]، قال ﷻ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

٤- الله مع جنوده وعباده الصالحين بالحفظ والرعاية والتوفيق، لا يخذلهم ولا يسلمهم إلى أعدائهم، وما علينا إلا التوكل على الله، والاطمئنان لنصره[٢].

٥- لا بد للمسلم أن يكون واثقاً بربه، محسن الظن به، متوكلا عليه، لأن من توكل عليه كفاه، قال ﷻ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] ولقد مرّ بنبينا محمد ﷺ بمثل هذا الموقف الذي حدث لموسى عليه السلام، وفي مثل ظرف الابعاد والطرد، حين خرج مهاجراً إلى المدينة المنورة، وقد تبعه المشركون حتى وقفوا على باب الغار، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرأى النبي ﷺ، ولكن معية الله غالبة، قال ﷻ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ...﴾ [التوبة: ٤٠]. فهذه الثقة بالله، والاعتماد عليه ﷻ تأتي بمعية الله ﷻ.

٦- الآية توحي بأن القوم لم يكونوا على درجة من التوكل والثقة بالله ﷻ، حيث قال موسى عليه السلام ﴿إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ فلو كانوا متوكلين على الله حق التوكل لقال موسى عليه السلام « إن معنا ربنا » ولما بدر منهم هذا القنوط الذي دل عليه قولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ ولما قال لهم موسى رادّاً عليهم بأبلغ كلمة زجر ﴿كَلَّآ﴾ وهذا هو ديدنهم، وتلك هي عادتهم، يعتمدون اعتماداً مطلقاً على الماديات والمحسوسات فقط، ويسيئون الظن بالله ﷻ.

٧- إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد علي من زعم أن معية الله للخلق ذاتية، فإن معية الله ﷻ لخلقه تختلف عن معية المخلوقين لمثلهم، ولا يمكن أن تقتضي المزج والاختلاط أو المشاركة في المكان، لأن ذلك ممتنع على الله ﷻ لثبوت مباينته لخلقه وعلوه عليهم [٣].

٨- قال السعدي في تفسيره: "معية الله التي ذكرها في كتابه، نوعان: معية العلم والإحاطة، وهي: المعية العامة، فإنه مع عباده أينما كانوا، ومعية خاصة، وهي: معيته مع خلقه بالنصرة، واللطف، والتأييد"[٤].

٩- على القادة والمسئولين المؤمنين أن يكونوا متوكلين على الله مطمئنين إليه[٥]، فمن صفات القائد والمسئول أن يكون مؤمناً بالله ﷻ متوكلاً عليه، مطمئناً إليه، واثقاً به، متقرباً إليه بأنواع الطاعات، فبقدر ما يكون قريباً من الله بقدر ما يكون قريباً من الناس، وبقدر ما يكون بعيداً عن الله يكون بعيداً عن الناس.

---

(١) ينظر: لطائف الإشارات تفسير القشيري (١٢/٣).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي د .صلاح الخالدي (٩٠/١٣).

(٣) ينظر: شيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، دار ابن حزم (٢٠١١م).

(٤) تفسير السعدي (٩٤٤/١).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٩٠/١٣).

## المطلب الحادي عشر

## نجاة موسى عليه السلام وقومه واغرق فرعون وجنده

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣ – ٦٨]

**أولاً: المناسبة:**

لما أعلن موسى توكله الكامل على الله، واستعانته به، ووثوقه بقدرته الكاملة التي ما فتئ لحظة يشك في أنها ستخلصه من هذا الكرب الذي وقع عليه قومه، تدخلت فوراً قدرة الله، فأنزل وحيه عليه يوجهه إلى طريق الخلاص من عدوه، فقال ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ ..﴾

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

١- الإيجاز بالحذفِ ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ أي فضرب البحر فانفلق[١].

٢- التشبيه المرسل المجمل ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي كالجبل في رسوخه وثباته ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه[٢].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾: أي: فضرب فانفلق[٣]، قال مقاتل: فانشق الماء اثني عشر طريقًا يابسًا، كل طريق طوله: فرسخا[٤]، وقام الماء على يمين الطريق، وعن يساره كالجبل العظيم، أي: أمرنا موسى بطريق الوحي أن يضرب البحر بعصاه[٥].

٢-﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: كل قطعة من الماء[٦]، وكل طائفة من البحر ﴿كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ كالجبل العظيم[٧]، وجمعه: أطواد.

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٣٥٣/٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٣٥٣/٢).

(٣) ينظر: تفسير الطوسي (٢٨/٨).

(٤) الفرسخ: يطلق على معانٍ متعددة؛ منها: الوقت الطويل، كقول: انتظرتك فرسخاً من النهار يعني: طويلاً. ويقاس بالفرسخ الطول؛ وهو يقدر بثلاثة أميال، تهذيب اللغة (٦٦٥/٧) (فرسخ)، المعجم الوسيط (٦٨١/٢).

(٥) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٣٥١/٢).

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي (١١٠/٨).

(٧) ذكره البخاري، عن ابن عباس ﷺ، الفتح (٤٩٦/٨)، تفسير الطبري (٨٠/١٩)، و تفسير ابن أبي حاتم (٢٧٣٧/٨)، وغريب وغريب القرآن (ص :٣١٧).

٣- ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾:قال ابن الأنباري[١]: أزلفنا، مأخوذة من التقريب إما إلى نجاء، وإما إلى بلاء[٢]. قال ابن عباس وقتادة: قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم[٣].

وكلا القولين حسن؛ لأن جمعهم تقريب بعضهم من بعض، وأصل الزلفى في كلام العرب: القربى[٤]. ﴿ثُمَّ﴾: أي: هناك وسط البحر[٥]. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي: المعادين لبني إسرائيل وهم فرعون وجنده[٦].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أي أمر الله موسى بضرب البحر بعصاه، فضربه بها، ففيها سلطان الله الذي أعطاه، فانفلق اثني عشر طريقاً، وصارت كل قطعة من الماء المجوز عن الانسياب الواقف عن التحرك كالجبل الشامخ الكبير، وكانت الطرق الجافة بالهواء والشمس بعدد أسباط بني إسرائيل، لكل سبط منهم طريق، كما قال ﷻ: ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[طه: ٧٧].

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾: أي وقرّبنا من البحر هنالك الآخرين وهم فرعون وجنوده، فتبعوهم.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ أي أنجينا موسى وبني إسرائيل ومن اتبعهم على دينهم، فلم يهلك منهم أحد، وأغرق فرعون وجنوده، ولم يبق منهم أحد.

ثم ختم ﷻ هذه القصة كما ختم غيرها بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾.

أي: إن في ذلك الذي قصصناه عليك أيها الرسول الكريم من قصة موسى وفرعون وما فيها من العجائب لعبرة وآيَةً عظيمة تدعو إلى إخلاص العبادة والطاعة لنا، وآية دالة على قدرة الله ﷻ وعلى صدق موسى عليه السلام، وعلى إنجاء عباد الله المؤمنين وإهلاك الكافرين. ومع ذلك فلم يؤمن بما جاء به نبينا موسى عليه السلام، إلا عدد قليل.

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة والتفسير، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار، قال محمد بن جعفر التميمي: ما رأينا أحدا أحفظ من ابن الأنباري ولا أغر من علمه ، توفي (٣٢٨ هـ) من تصانيفه: (عجائب علوم القرآن) و (غريب الحديث). ينظر: سير أعلام النبلاء(١١/٤٨٩).

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري (٢/٢٦٤).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٢/٧٤)، عن قتادة، وأخرجه ابن جرير الطبري(١٩/٨١)، عن ابن عباس، وقتادة، وأخرجه ابن أبي حاتم (٨/٢٧٧٤)، (٨/٢٧٧٤)، وقال مقاتل: قربنا فرعون وجنوده في مسلك بني إسرائيل (تفسير مقاتل ص٥١).

(٤) ينظر: معاني القرآن، للزجاج (٤/٩٣).

(٥) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/١٠٥٨٠).

(٦) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/٦٥٣).

وفي هذا تسلية للرسول ﷺ عما أغمه وأحزنه من تكذيب قومه، مع قيام ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي وإن الله ﷻ لهو المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين، وهذا بشارة بالنصر للنبي ﷺ في المستقبل القريب. إن في ذلك لآية، ومعجزة لمن ينظر ويتعظ ولقد نصر الله عباده المؤمنين وهزم أعداءه وأحزاب الشياطين على كثرتهم، وهكذا سنة الله في خلقه، ولن تتخلف أبداً وحقاً إن ربك لهو العزيز يعز أولياءه ويهزم أعداءه الرحيم بالخلق جميعاً. وهكذا ساق لنا ﷻ هنا جانباً من قصة موسى عليه السلام بهذا الأسلوب البديع، لتكون عبرة وعظة لقوم يؤمنون[1].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- دمار الظالمين وهلاك المسرفين في الكفر والشر والفساد[2].

٢- آية انفلاق البحر من أعظم الآيات[3]، حيث جرت سنة الله ﷻ في نصرة عباده المؤمنين المخلصين أن يخرق لهم نواميس الكون أحياناً، كما حدث من شق البحر لموسى عليه السلام، وأن يُعمي القوم من رؤية النبي ﷺ وصاحبه في الغار، والأمر غير مقتصر على المرسلين، بل يتعدى ذلك الصالحين، بما يجري على أيديهم من كرامات، وقد حدث للمجاهدين في الحرب الأخيرة على غزة ما يؤكد ذلك، حيث أغلق النفق على مجموعة من المجاهدين أثناء الحرب ما يقارب عشرين يوماً، وأخرج الله لهم الماء نصرة ومعونة، وهو ما شاهده الجميع على شاشات التلفاز، واستفاض به الخبر؛ وصدق الله ﷻ إذ يقول﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣] .

٣- قصص السابقين فيها عبرة للآخرين، لذا كثرت ذكر القصص في كتاب الله ﷻ تسلية لنبيه ﷺ، وتصبيراً له في طريق الدعوة إلى الله ﷻ، فلست وحدك يا محمد من كُذب وعُذب وأوذي، بل السابقون كانوا كذلك، فلا تحزن، وانشط في دعوتك، وهذا فيه تسلية للدعاة إلى الله ﷻ الذين حملوا همّ الدعوة إلى الله في كل زمان وفي كل مكان﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[ آل عمران: ٢٠٠] .

٤- لا بد للمسلم أن يعتقد أن لا عبرة بكثرة العُدة والعدد والعتاد وإنما النصر من عند الله ينصر من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، هو وحده ﷻ مجري الأمور، والقانون الإلهي في معيار النصر والعزيمة﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٩].﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/١٦١)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/٢٥٣)، والتفسير الواضح (٢/٧٥٥).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/٦٥٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٣/٦٥٤).

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، هذا هو القانون الرباني لصناعة النصر والتمكين.

٥- الآيات الخارقة لا تستتبع الإيمان حتماً، وإن خضع لها الناس قسراً، إنما الإيمان هدي في القلوب[١].

٦- يجري الله لجنوده الآيات والخوارق، يكرمهم بها، ويخلصهم من المصائب والمشكلات، ويمكر الله بأعدائه، ويوقع بهم عاقبة بغيهم وعدوانهم[٢].

٧- كانت هذه القصة آية لأنها دالة على أن ذلك الانقلاب العظيم في أحوال الفريقين الخارج عن معتاد تقلبات الدول والأمم دليل على أنه تصرف إلهي خاص أيد به رسوله وأمته وخضد به شوكة أعدائهم ومن كفروا به، فهو آية على عواقب تكذيب رسل الله مع ما تتضمنه القصة من دلائل التوحيد[٣].

٨- المؤمن يعتبر ويتعظ بما يرى أو يستمع من الآيات والأحداث، أما الكافر فإنه مختومٌ على قلبه، لا يعتبر ولا يتأثر[٤].

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٢٥٩٩/٥).

(٢) التفسير المنهجي د. صلاح الخالدي (٩٠/٣٣).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٦/١٩).

(٤) التفسير المنهجي د .صلاح الخالدي (٩٠/٣٣).

# الفصل الرابع

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (٦٩-١١٠)

ويشتمل على مبحثين:

## المبحث الأول

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (٦٩-١٠٤)

## المبحث الثاني

## الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠٥-١١٠)

# المبحث الأول

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (٦٩-١٠٤)

وفيه سبعة مطالب:

**المطلب الأول: دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه إلى التوحيد ونبذ الشرك.**

**المطلب الثاني: بيان صفات الإله الحق.**

**المطلب الثالث: التقرب إلى الله بالدعاء.**

**المطلب الرابع: من مشاهد يوم القيامة الحساب والجزاء.**

**المطلب الخامس: عقيدة الشرك موْرِد المهالك.**

**المطلب السادس: تخاصم أهل النار وأمانيِّهم فيها.**

**المطلب السابع: العبرة في قصة إبراهيم عليه السلام.**

## المطلب الأول

## دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه و قومه إلى التوحيد و نبذ الشرك

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٩ – ٧٧]

**أولاً: المناسبة:**

بعد أن ذكر الله ﷻ في أول السورة شدة حزن محمد ﷺ بسبب كفر قومه، ذكر قصة موسى عليه السلام ليعرف محمد أن مثل تلك المحنة حصلت لموسى فيكون ذلك تسلية له، ثم ذكر عقبها قصة إبراهيم عليه السلام ليعرف محمد أيضاً أن حزن إبراهيم كان أشد من حزنه لأنه يرى أباه وقومه في النار، وهو لا يتمكن من إنقاذهم، وكل ذلك إشارة إلى أن معارضة الرسل من أقوامهم أمر قديم ومستمر، فلا داعي للغم والحزن(١).

**ثانياً: اللطائف البلاغية :**

١- الطباق بين ﴿يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾(٢).

٢- ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ كلمة عدو جاءت مفردة مع أنها مسبوقة بضمير جمع وتعود على جمع ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ ومع ذلك لم يقل: أعداء لي، قالوا: لأن العداوة في أمر الدين واحدة على خلاف العداوة في أمر الدنيا؛ لأنها متعددة الأسباب، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. فجاءت: ﴿أَعْدَآءً﴾ هنا جمع؛ لأنها تعود عداوة الدنيا، وهي متعددة الأسباب، أمّا العداوة في الدين فواحدة على قلب رجل واحد(٣).

٣- وصف الآباء بالأقدمية إيغال في قلة الاكتراث بتقليدهم لأن عرف الأمم أن الآباء كلما تقادم عهدهم كان تقليدهم آكد(٤).

٤- إضافة النبأ إلى إبراهيم، دون إشراك قومه معه، إشارة إلى أن المنظور إليه هو «إبراهيم»، وأنه هو الذي يجب أن يكون موضع القدوة والأسوة، للمؤمنين، ولأصحاب الرسالات الطيبة الداعية إلى

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٦٦).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٣).

(٣) ينظر: على تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٩٢).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ١٤١).

الخير، وعلى رأس أصحاب هذه الرسالات النبي محمد ﷺ حيث يجتمع في قومه، كبر فرعون واستعلاؤه، وصغار قوم إبراهيم، وحماقتهم[١].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ أي: فنقيم عليها عابدين مقيمين على عبادتها لا نعدل بها شيئًا[٢].

٢- ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ أي: فيستجيبون دعاءكم، ويفرجون كربكم، ويزيلون عنكم كل مكروه[٣].

٣- ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: كما نفعل يفعلون، وهذا إخبار أنهم قلدوا آباءهم في عبادة الأصنام، وتركوا الحجة والاستدلال فلما أقروا على أنفسهم وآبائهم بعبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تضر ولا تنفع[٤].

٤- ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي﴾ أي: أعداء لي يوم القيامة إذا أنا عبدتهم لأنهم يتبرؤون من عابديهم[٥].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

واتل يا محمد على كفار مكة وعلى غيرهم نبأ إبراهيم، وخبره المهم ليعرف المشركون خصوصاً أهل مكة ما كان عليه أبوهم إبراهيم، وكيف كانت مواقفه مع قومه وبخاصة أبيه، وفي ذلك عبرة لأولى الألباب.

واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون؟ سألهم عن عبادتهم وهو بها أعرف ليلفت نظرهم إلى ما يعبدون. قالوا: يا إبراهيم: نعبد أصناما فنظل لها عاكفين، وعلى عبادتها مقيمين. قال إبراهيم مناقشاً لهم: عجباً لكم! هل يسمعون دعاءكم إذ تدعون؟ وهل ينفعونكم في شيء أو يضرون؟ قالوا مجيبين له على سؤاله واعتراضه: بل وجدنا آباءنا لها عابدين، يا عجباً! يلفت إبراهيم نظرهم إلى هذه الأصنام التي لا تسمع دعاء، ولا يكون منها نفع ولا ضرر مقصود، يعنى ليس لهم حجة أبداً في عبادتها وتقديسها، وهم لا يرون لهم حجة أبداً إلا التقليد الأعمى فيقولون حجتنا: إنا وجدنا آباءنا لها عابدين، وإنا على آثارهم مقتدون. قال إبراهيم: أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون؟ والمعنى أخبروني عن حال ما كنتم تعبدون.

هل هم يستحقون العبادة أم لا؟ وهذا استهزاء منه بعبدة الأصنام، أخبروني عن حالهم إن كانت لهم قوة حتى أحتاط لنفسي لأنهم أعداء لي لكن الله ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة[٦].

---

(١) ينظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (١٠/ ١٣٥).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل (ص: ٥١) والوسيط (٣/٣٥٥)، ومعاني القرآن، للزجاج (٤/ ٩٣).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٥٩٢).

(٤) ينظر: التفسير البسيط للواحدي (١٧/ ٦٥).

(٥) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٥).

(٦) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨٣٢) التفسير الواضح (٢/ ٧٥٧).

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- تقرير النبوة المحمدية بذكر هذا القصص.

٢- تقرير التوحيد بالحوار الذي دار بين إبراهيم إمام الموحدين وقومه المشركين[١].

٣- توحيد الله لُبُّ دعوة الرسل ومحورهم[٢].

٤- بيان أن كل من عبد معبود غير الله ﷻ سيكون له عدواً لدوداً يوم القيامة[٣].

٥- بيان أن العكوف على الأضرحة والتمرغ في تربتها وطلب الشفاء منها شرك[٤].

٦- بيان الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله ﷻ من طريق السؤال والجواب.

٧-هدف المسلم الداعية هو كيف يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويأخذ بأيدهم من الضلال والانحراف، إلي الهداية والرشاد، وشعاره في ذلك« **لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[٥]، ولأجل هذا المقصد يجتهد في وضع الخطط والأساليب للوصول إلى هذا هذا الهدف.

٨- لا يجوز دعاء غير الله، بل يجب توحيده بالدعاء[٦].

٩- لا بد للداعية أن يبتكر الأساليب ما يُلزم به الخصم بأقوى الحجج والبراهين الدالة على صحة منهجه، وصدق نيته، بحيث لا يكون أمام المدعويين إلا الإذعان والخضوع أو الإنكار.

١٠- خطورة تقليد الآباء واتباعهم على ما هم فيه من باطلٍ، وأخطر ما يكون هذا في العقيدة[٧].

فالتقليد مذموم شرعاً إلا ما كان في حق، والتقليد هو سبب أساس شرك المشركين واستمرارهم عليه، فاستحقوا الذم، لأنهم لم يفكروا بعقولهم إنما فكروا بعقول غيرهم من الآباء والأجداد، وقد حث الإسلام على التفكر والتعقل والتدبر، لأن ذلك يقود إلى الإيمان الصحيح، قال ﷻ ﴿ **قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ...** ﴾[ العنكبوت: ٢٠] نظر تدبر وتعقل للأشياء، وكم هي الآيات التي تنتهي بالتدبر و التفكر و التعقل "يتفكرون – يعقلون– يعلمون–يفقهون– يتدبرون" وقد قال ﷺ:« **لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا... »**[٨].

---

(١) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٧).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي، د صلاح الخالدي. (٩٦/١٣).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٧).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٧).

(٥) رواه البخاري كتاب أصحاب النبي ﷺ بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ٥ /١٨،حديث رقم (٣٧٠١)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ،باب٤ بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ٤/١٨٧٢حديث رقم(٣٤)،

(٦) ينظر: التفسير المنهجي، د صلاح الخالدي (٩٦/١٣).

(٧) ينظر: التفسير المنهجي ، د صلاح الخالدي(١٣ /٩٦).

(٨) رواه الترمذي عن حذيفة منفردا وقال البعض بان حذيفة رفعه، كتاب أبواب البر والصلة، باب ٦٣ بَابُ مَا جَاءَ فِي الإِحْسَانِ وَالعَفْوِ، ٤٣٢/٣،حديث رقم (٢٠٠٧)، حكم الترمذي عليه فقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

١١- وجوب تبليغ الدعوة إلى الأقرب فالأقرب، والقرابة في النسب لا تنفع إذا لم يتبعها عملٌ صالحٌ[١]، إذا أرادت الدعوة أن تكلل بالنجاح لا بد أن يبدأ الداعية بالأقربين، وهو المنهج الذي سار عليه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام والذي سار عليه الحبيب محمد ﷺ حيث قال له ربه ﷻ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فالداعية الناجح يصلح نفسه أولاً ثم ينتقل إلى الغرباء، فإن هذا أدعى للاستجابة له.

١٢- يعلم القرآن المؤمنين أن لا مجاملة في العقيدة لوالد ولا لقوم وأن الرابطة الأولى هي رابطة العقيدة، وأن القيمة الأولى هي قيمة الإيمان. وأن ما عداه تبع له يكون حيث يكون[٢].

١٣- ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ من أمارات المحبة كثرة ذكر محبوبك، والإعراض عن ذكر غيره، فتنزّه المحبين بتقلّبهم في رياض ذكر محبوبهم، والزهّاد يعددون أورادهم، وأرباب الحوائج يعددون مآربهم، فيطنبون في دعائهم، والمحبون يسهبون في الثناء على محبوبهم[٣].

١٤- ينبغي على العبد أن يكون إبراهيمياً حنيفياً، فينبذ جميعَ الأرباب، ويعادي كل ما يشغله عن محبة الحبيب، من العشائر والأصحاب[٤].

١٥- وصف إبراهيم عليه السلام آبائهم بالأقدمين، للدلالة على أن الأقدمية لا تُعطى الباطلَ مشروعيةَ البقاء، ولا تُكسِبُه شيئاً من صفات الحق، فالباطلُ أزلاً باطلٌ أبداً، والباطلُ لذاته فيما مضى باطلٌ داوماً في الماضي والمستقبل[٥].

١٦- وجوب تقديم الدعوة إلى أقرب الناس، والإنكار عليهم مخالفاتهم، والبراءة منهم إن أصروا على كفرهم و مخالفاتهم[٦].

١٧- الأدب مع الله، وفي الكلام عن الله فلا ينسب الشر إلى الله، مع أنه الخالق لكل شيء[٧].

---

(١) ينظر: التفسير المنهجي د صلاح الخالدي (١٠٤/١٣).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٦٠٢).

(٣) ينظر: لطائف الإشارات تفسير القشيري (٣/ ١٣).

(٤) ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ١٤٢).

(٥) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر (٨ /٦٢٥)، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى٢٠٠٢م.

(٦) ينظر: التفسير المنهجي د صلاح الخالدي (١٣ /٩٦).

(٧) ينظر: المرجع السابق (١٣ /٩٦).

## المطلب الثاني

## بيان صفات الإله الحق

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ ﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٢]

**أولاً: المناسبة:**

لما أخبر الله ﷻ مقارعة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه في الأوثان، وهو أعظم آباء العرب، ليكون ذلك حاملاً لهم على تقليده في التوحيد إن كانوا لا ينفكون عن التقليد، وزاجراً عن استعظام تسفيه آبائهم في عبادتها، شَرَعَ إبراهيم عليه السلام يصف ربه بما هم به عالمون من أنه على الضد الأقصى من كل ما عليه أصنامهم. (١).

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

١- الطباق بين ﴿يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ (٢).

٢- مراعاة الأدب ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ لم يقل: وإذا أمرضني بل أسند المرض لنفسه تأدباً مع الله لأنَّ الشرَّ لا يُنسب إليه ﷻ أدباً، وإن كان المرضُ والشفاء كلاهما من الله(٣).

٣- تعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين، مع أنها إنما تغفر في الدنيا، لأن أثرها يومئذ يتبين، ولأن في ذلك تهويلاً له وإشارة إلى وقوع الجزاء فيه، إن لم تغفر(٤).

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾: هو الذي خلقني في أحسن صورة فهو يرشدني إلى مصالح الدنيا والآخرة(٥).

٢- ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾: أي: يرزقني ويغدوني بالطعام والشراب(٦).

٣- ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾: أي: إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره، بما يقدر من الأسباب الموصلة إليه(٧).

---

(١) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (١٤/ ٥١)بتصرف.

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٣).

(٣) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لمحمد صديق خان (٩/ ٣٨٩).

(٤) ينظر: تفسير القاسمي محاسن التأويل (٧/ ٤٦١).

(٥) ينظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير (١/ ٣٧٠).

(٦) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لسراج الدين عمر بن علي الحنبلي الدمشقي النعماني (١٥/ ٤٣).

(٧) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٧).

٤- ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾: أي: هو الذي يحيي ويميت، لا يقدر على ذلك أحد سواه، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد[١].

٥- ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: أي أرجو من واسع رحمته أن يغفر لي ذنبي يوم الحساب والجزاء حيث يُجازى العباد بأعمالهم[٢].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

حكى القرآن الكريم، ما وصف به إبراهيمُ خالقَه من صفات كريمة تليق بجلاله ﷻ فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ أي: أخلص عبادتي لرب العالمين، الذي أوجدني بقدرته، والذي يهديني وحده إلى ما يصلح شأني في دنياي وفي آخرتي.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾ معطوف على ما قبله. أي: وهو ﷻ وحده الذي يطعمني ويسقيني من فضله، ولو شاء لأمسك عنى ذلك.

وأضاف المرض إلى نفسه في قوله ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ وإن كان الكل من الله ﷻ تأدبا مع خالقه ﷻ وشكرا له ﷻ على نعمة الخلق والهداية.

والمراد بالإحياء في قوله ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴾ إعادة الحياة إلى الميت يوم القيامة أي: ومن صفات رب العالمين الذي أخلص له العبادة، أنه ﷻ الذي بقدرته وحده أن يميتني عند حضور أجلى، ثم يعيدني إلى الحياة مرة أخرى يوم البعث والحساب.

ثم ختم إبراهيم هذه الصفات الكريمة بقوله: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: وهو وحده الذي أطمع أن يغفر لي ذنوبي يوم ألقاه لأنه لا يقدر على ذلك أحد سواه ﷻ[٣].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- ثبت أن قوله: ﴿خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ كلمة جامعة حاوية لجميع المنافع في الدنيا والدين، ثم هاهنا دقيقة وهو أنه قال: خلقني فذكره بلفظ الماضي وقال: يهدين ذكره بلفظ المستقبل، والسبب في ذلك أن خلق الذات لا يتجدد في الدنيا، بل لما وقع بقي إلى الأمد المعلوم. أما هدايته ﷻ فهي مما يتكرر كل حين وأوان سواء كان ذلك هداية في المنافع الدنيوية، وذلك بأن تحكم الحواس بتمييز المنافع عن المضار أو في المنافع الدينية وذلك بأن يحكم العقل بتمييز الحق عن الباطل والخير

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٧).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني(٢/ ٣٥٢).

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٦٨)، والتفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٥٦).

عن الشر، فبين بذلك أنه ﷻ هو الذي خلقه بسائر ما تكامل به خلقه في الماضي دفعة واحدة، وأنه يهديه إلى مصالح الدين والدنيا بضروب الهدايات في كل لحظة ولمحة[١].

٢- المسلم مُتأدب مع الله ﷻ، فلا ينسب الشر إليه ﷻ، وإنما ينسب إلى نفسه، وهو يعلم أن كل شيء من خلقه عز وجل.

٣- ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ في هذه الآية أسمى درجات الأدب من إبراهيم مع ربه ﷻ، لأنه يوجه طمعه في المغفرة إليه وحده، ويستعظم عليه السلام ما صدر منه من أمور قد تكون خلاف الأولى، ويعتبرها خطايا، هضما لنفسه، وتعليما للأمة أن تجتنب المعاصي، وأن تكون منها على حذر وأن تفوض رجاءها إلى الله ﷻ وحده[٢].

٤- يلاحظ هنا أن إبراهيم قد ذكر من صفات الله ﷻ ما يتناسب وربوبية الربّ لعباده. فهو الذي يربّى عباده، ويحوطهم بنعمه وآلائه. فيهدى الضالّين، ويطعم الجائعين، ويلقى خطايا المخطئين من عباده بالعفو والغفران، يوم الحساب والجزاء، ويروى الظّماء، ويشفى المرضى، ويحيى الموتى، وفي هذا ما يكشف للقوم عن نعم الله وإحسانه إلى عباده، وفي هذا ما يغريهم باللّياذ به، واللّجأ إليه، حتى لا يحرموا هذا الخير الكثير الذي في يديه[٣].

٥- ﴿ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ فهو إشارة إلى ما هو مطلوب كل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالثواب[٤].

٦- إن صفات هذا المعبود بحق تستوجب عبادته والتقرب إليه، فهو الخالق الهادي المرشد إلى الدين الحق، وهو الذي يرزق الطعام والشراب وغيرهما من المنافع، لا غيره، وهو الشافي المعافي، وهو المميت والمحيي، أي الموجد من العدم، ثم المفني، ثم الباعث البعث، وهو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، الفعال لما يشاء[٥].

٧- إن جميع النعم التي يتمتع بها المرء من النشأة الأولى إلى آخر الدهر هي من الله وحده[٦].

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/ ٥١٢).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٤٢).

(٣) ينظر: التفسير القرآني للقرآن للخطيب (١٠/ ١٣٨).

(٤) ينظر: تفسير الرازي (٢٤/ ٥١٣).

(٥) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٧١).

(٦) ينظر: تفسير المراغي (١٩/ ٧٢).

## المطلب الثالث

## التقرب إلى الله بالدعاء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٣ – ٨٧ ]

**أولاً: المناسبة:**

بعد أن أثنى إبراهيم عليه السلام على ربه وعظم شأنه، وعدّد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، أتبع ذلك بالدعاء بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهال الأوّابين، وهذا على ما هو مطلوب من تقديم الثناء على الدعاء[١].

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

١– الاستعارة اللطيفة ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ استعار اللسان للذكر الجميل والثناء الحسن وهو من ألطف الاستعارات[٢].

٢– قدم قوله: هب لي حكماً على قوله: وألحقني بالصالحين، لأن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية، لأنه يمكنه أن يعلم الحق، وإن لم يعمل به، وعكسه غير ممكن، لأن العلم صفة الروح، والعمل صفة البدن، وكما أن الروح أشرف من البدن، كذلك العلم أفضل من الإصلاح[٣].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١– ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ أي: معرفة بالله وبحدوده وأحكامه[٤].

٢– ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: بأهل الجنة، وقيل: يريد النبيين قبله[٥].

٣– ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: اجعلْ لي ذكراً حسناً وثناءً عاطرا فيمن يأتي بعدي إلى يوم القيامة[٦].

٤– ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: لا تفضحني على رءوس الأشهاد، ولا تعذبني يوم القيامة[٧].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٧٢).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٣).

(٣) ينظر: البحر المحيط في التفسير لابن حيان (٨/ ١٦٧).

(٤) ينظر: تفسير الوسيط (٣٥٦/٣)، وتفسير البغوي (١١٨/٦)، وتفسير القرطبي (١١٢/١٣).

(٥) ينظر: تفسير مقاتل ( ص:٥١).

(٦) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٣٥٣/٢).

(٧) ينظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١١٤).

**رابعا: التفسير الإجمالي:**

بعد أن أثنى إبراهيم عليه السلام على ربه بهذا الثناء الجميل، أتبع ذلك بتلك الدعوات الخاشعات فقال:

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ أي: علماً واسعاً مصحوباً بعمل نافع.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ من عبادك الذين رضيت عنهم ورضوا عنك، بحيث ترافقني بهم في جنتك.

﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أي: واجعل لي ذكراً حسناً، وسمعةً طيبةً، وأثراً كريماً في الأمم الأخرى التي ستأتي من بعدي.

وقد أجاب سبحانه له هذه الدعوة، فجعل أثره خالداً، وجعل من ذريته الأنبياء والصالحين، وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ.

﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: واجعلني في الآخرة عندما ألقاك يا ربي للحساب، من عبادك الذين أكرمتهم بدخول جنتك وبوراثتها فضلاً منك وكرماً.

﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ عن طريق الحق، فإني قد وعدته بأن استغفر له عندك- يا إلهى- وهذا مما رجع عنه إبراهيم عليه السلام كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [التوبة: ١١٤] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ أي: ولا تفضحني يَوْمَ يُبْعَثُونَ أي: يوم تبعث عبادك في الآخرة للحساب، بل استرني واجبرني وتجاوز عن تقصيري وهذا مبالغة منه ﷺ في تحري الكمال والسلامة والنجاة، في يوم شديد الأهوال(١).

**خامسا: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- الدّعاء مخّ العبادة، ودليل الإخلاص وحبّ الله سبحانه، وصدق التّوجه إليه، يحتاج إليه كل مؤمن في كل حال، تتردّد به شفاه المكروب والحزين، ويلجأ إليه المريض المتألّم، ويلوذ إليه الخائف المضطرب، ويضرع به المسافر، ويستعين به للتّغلّب على العدو، والاستعاذة من العذاب الأليم، فهو سلوة المكروب، ورجاء الطامع، وأمل الصّالح، ولا يستغني عنه حتى النّبي المرسل، لذا عبّر إبراهيم الخليل عليه السلام في دعائه عن حرارة الشّوق إلى الله، وإمداده بفضل الله ورحمته في الدنيا والآخرة(٢).

٢- جمع إبراهيم الخليل عليه السلام في دعائه هذا خيري الدنيا والآخرة، فطلب أن يؤتيه الله علماً وفهماً ومعرفة بالله عز وجل وبحدوده وأحكامه(٣).

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٤٧)، التفسير الوسيط لطنطاوي (١٠/ ٢٥٧).

(٢) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨٣٤) بتصرف.

(٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٧٤).

٣- ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثناء الحسن[١]، قال النبي ﷺ فيما يرويه أبي هريرة: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[٢].

٤- ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ إن النص الكريم يدل على أن حب المحمدة بين الناس ليس أمراً غير مشروع ما دام يقصد إليها النفع والخير، وعموم الإصلاح وما دام لَا يتعالى ولا يستطيل على الناس[٣]، قال للكيا الهراسي[٤] وفيه التنبه على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل[٥]، وطلب المؤمن للثناء الحسن من بعده لا يتعارض مع إخلاصه لله، ولا مانع فيه[٦].

٥- المسلم الواعي الكيّس من جمع في دعائه خيري الدنيا والأخرة، ولا يقتصر على إحداها، وهذه كانت دعوة إبراهيم عليه السلام كما بينتها الآيات التي بين أيدينا، وهو ما رغبت فيه الآيات الكريمة ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

٦- ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ عبر بهذا التعبير للإشارة إلى أن جنة النعيمَ تكون ميراثاً للعمل الصالح، وطلبها من اللَّه ﷻ مع أنه عمل عملاً صالحاً، للإشارة إلى أن عمله لَا يعطيه ذلك الحق إنما هبة من اللَّه ﷻ ومنَّة وفضلًا، فلا يستحق عامل بعمله إلا أن يتغمده اللَّه برحمته[٧].

٧- بيان أن الجنة تورث ويذكر ﷻ سبب إرثها وهو التقوى في قوله ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ [مريم: ٦٣] [٨].

٨- ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ إشارة إلى أن الجنة لا تنال إلا بكرمه عز وجل[٩].

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٧٤) بتصرف.

(٢)صحيح مسلم كتاب الوصية، باب ٣ بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ ،٣/١٢٥٥،حديث رقم (١٤).

(٣) ينظر: زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٧٠).

(٤) علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي: فقيه شافعي، مفسر. ولد في طبرستان، وسكن بغداد فدرس بالنظامية. ووعظ. واتهم بمذهب الباطنية فرجم، وأراد السلطان قتله فحماه المستظهر، وشهد له. توفي(٥٠٤ هـ)من كتبه «أحكام القرآن » ينظر: "الأعلام" للزركلي (٤/٣٢٩).

(٥) أحكام القرآن للكيا الهراسي (٤/ ٣٣٣).

(٦) ينظر: التفسير المنهجي، صلاح الخالدي ص (١٣/ ٩٦).

(٧) ينظر: زهرة التفاسير (١٠/ ٥٣٧٠).

(٨) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٩).

(٩) ينظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ١٥١).

٩- الوارث يأخذ الميراث دون مقابل فكأنه هِبة، وعلى هذا المعنى يكون المراد بميراث الجنة أن الله ﷻ أعطى عباده الطائعين الجنة هبةً منه ﷻ، وتفضّلاً عليهم، وليس بعملهم، فالجنة جاءتهم كما يأتي الميراث لأهله دون تعب منهم ودون سَعْي.

وهذا تصديق لقول رسول الله ﷺ في الحديث النبوي: « **لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته** »[١].

١٠- استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم، وتعليم لأممهم ليكونوا على حذر[٢].

١١- تضمّن دعاء إبراهيم الخليل مقوّمات القدوة الحسنة، والصفوة المختارة، والقرب من الله ﷻ، لتعليم الآخرين والاقتداء به[٣].

١٢- مشروعية الاستغفار للوالدين إن ماتا على التوحيد[٤].

١٣- المؤمن يخاف من أهوال يوم القيامة، ولذلك يطلب من الله الستر فيه.

---

(١) رواه البخاري كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، ٩٨/٨،حديث رقم (٦٤٦٧)،. ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب ١٧ بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى. ٢١٧٠/٤ حديث رقم (٧٥).

(٢) ينظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد (٢/ ١٥١).

(٣) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨٣٥).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٩).

## المطلب الرابع

## من مشاهد يوم القيامة الحساب والجزاء

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨ – ٩١]

**أولاً: المناسبة:**

بعد أن دعا إبراهيم عليه السلام بدعوات المخلصين الأوابين، وختمها بألا يخزيه الله يوم البعث، وصف يوم القيامة، وما فيه من ثواب وعقاب، وندم المشركين وحسرتهم على ما كانوا فيه من الضلال، وتمني الكرّة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا[١].

**ثانياً: اللطائف البلاغية:**

المقابلة البديعة﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ مقابل قوله عن السعداء﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

**ثالثاً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي: إلا من جاء ربَّه في الآخرة بقلب نقيّ طاهر، سليم من الشرك والنفاق، والحسد والبغضاء[٣].

٢- ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الإزلاف: التقريب، مشتق من الزلف بالتحريك. ويقال: ازدلف: اقترب، وتزلف: تقرب، فهمزة أزلفنا للتعدية[٤].

أي: قربت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظريها، وهم المتقون الذين رغبوا فيها، وعملوا لها في الدنيا[٥].

٣- ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ أي: أظهرت وكشفت النار غطاءها للكافرين[٦].

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

وصف الله ﷻ يوم القيامة الذي يخاف منه بأنه يوم لا ينفع الإنسان فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم من الشوائب، فينفعه سلامة قلبه. والقلب السليم لله: هو الخالص السليم من الشّرك والمعاصي، ومتاع الدنيا ولو كان مباحاً، كالمال والبنين. ومما لا شك فيه أن الأهم والأخطر

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٧٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٩/ ١٧٧).

(٣) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٢).

(٤) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ١٣٦)

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير(٦/ ١٤٩).

(٦) ينظر: تفسير السمرقندي بحر العلوم (٢/ ٥٥٩).

لسلامة القلوب: هو تخلّصها من الشّرك والنّفاق، والكفر والضّلال، لأن الشّك والشّرك والنّفاق هي أمراض القلوب، كما قال الله ﷻ في وصف المنافقين: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [البقرة: ١٠]. وكان إبراهيم عليه السلام ذا قلب صاف من كل المعكرات، وذا فطرة سليمة من جميع شوائب الضلال.

ثم يبين ﷻ بعد ذلك مشهداً من مشاهد يوم القيامة، وقوله ﷻ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ من الإزلاف بمعنى القرب والدنو، أي: وقربت الجنة يوم القيامة للمتقين، الذين صانوا أنفسهم عن كل ما لا يرضاه الله ﷻ، وصارت بحيث يشاهدونها ويتلذذون برؤيتها.

وبرزت الجحيم للغاوين أي: أما الغاوون الذين استحبوا العمى على الهدى، وآثروا الغواية على الهداية، فقد برزت الجحيم لهم بأهوالها وسعيرها وتكون النار بارزة مكشوفة لهم، بحيث تكون بمرأى منهم، يسمعون زفراتها التي تبلغ منها القلوب الحناجر، ويوقنون بأنهم مواقعوها، لا يجدون عنها مصرفاً، وفى هذا تعجيل للغم والحسرة، إذ نسوا في دنياهم هذا اليوم كما جاء في قوله: ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٤].

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- يوم القيامة قرّبت الجنة وأدنيت لأهل التقوى السعداء، الذين قضوا حياتهم الدنيوية في التزام الأوامر الإلهية، واجتناب النّواهي الرّبانيّة، فعمروا دنياهم بالتّقوى. وفي ذلك اليوم أظهرت الجحيم وهي النار لأهل الغواية والضّلال، البعيدين عن الحقّ والهداية، الغارقين في الشقاء والانحراف[١].

٢- بطلان الانتفاع يوم القيامة بغير الإيمان والعمل الصالح بعد فضل الله ورحمته[٢].

٣- الترغيب في التقوى والتحذير من الغواية[٣].

٤- على المؤمن أن يتذكر أحداث يوم القيامة باستمرار ، ليستقيم على طاعة الله[٤].

٥- القلب إما سليماً وإما مريضاً، والناس على أحد هذين القلبين يتقلبون بين سلامة القلب أو مرضه وفساده، ولا ينفع الإنسان يوم القيامة إلا القلب السليم، ومدار التكليف يرتكز على صلاح القلب وسلامته من الشرك، لذا قال ﷺ «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»[٥]، وكان أكثر دعائه ﷺ : «**اللهم يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك**»[٦].

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط للزحيلي (٢/ ١٨٣٧).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٥٩).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٣/ ٦٥٩).

(٤) ينظر: التفسير المنهجي ،د صلاح الخالدي (١٣ /١٠٠).

(٥) رواه البخاري كتاب الايمان باب ٣٧ باب فضل من استبرأ لدينه ،٢٨/١ حديث رقم (٥٢)، صحيح مسلم كتاب المساقاة باب ٢٠ بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ. ١٢١٩/٣ حديث رقم (١٠٧).

(٦) السنة لابن ابي عاصم بتعليق الالباني ٨٦/١ حديث رقم (٢٣١)،باب ٤٠ باب ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال يا مقلب القلوب القلوب ثبت قلبي على طاعتك.

٦- من المعلوم أن ذكر الله ﷻ على الدوام من أهم حالات وأسباب ترويض القلوب على السلامة والخلوص من الأوصاف الذميمة، والاتصاف بالأوصاف الجميلة[١]، جاء في الأثر أو الحديث القدسي عن الله ﷻ فيما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري: «**من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه** »[٢].

٧- لا تزحم قلبك بما يَشْغَله من أمور الدنيا، واجعله خالياً لله مُنْشغلاً به، فهذه هي سلامة القلب؛ لأن القلب مفطور على هذا، مطبوع عليه[٣].

٨- إخلاص القلب كله لله، وتجرده من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض. وصفائه من الشهوات والانحرافات. وخلوه من التعلق بغير الله. فهذه سلامته تجعل له قيمة ووزنا[٤].

٩- إذا لم يتوفّر الإخلاص في العمل، فالرياء يُحبطه، ويجعله هباءً منثوراً، كما قال ﷻ:

﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [ الفرقان: ٢٣]. إنْ كنتَ تفعل الخير في الدنيا ولا تؤمن بالله ولا تُنزهه ﷻ عن الشريك، فلن ينفعك عملك، ولن يكون لك منه نصيب في ثواب الآخرة.

١٠- لا ينفع المال صاحبه، ولو صرفه في وجوه البر إذا كان صاحبه شاكا أو كافرا، ولا ينفع الولد والده ولو كان صالحا إذا كان أبوه شاكا أو كافرا، فصلاح المال والولد ينفع عند الله إذا كان صاحبهما مؤمنا به، والا فلا[٥].

١١- تقديم الجنة على النار فيه إشارة إلى أن رحمة الله تسبق غضبه، كما جاء في الحديث، «...**إن رحمتي تسبق غضبي**»[٦] ،لأن إظهار جهنم لا يستلزم قربها، وتقريب الجنة هو تقريبها من داخليها[٧]. داخليها[٧].

١٢- تقلب العبد بين الترغيب والترهيب يحمل على الاستقامة على منهج الله والتزام طاعته، فالثواب على الطاعة والعقاب على المعصية مبدأ أصيل في تربية العبد، لذا أكثر القرآن

في كثير من آياته، فيذكر الجنة ويتبعها النار، ويذكر عقوبة القوم المكذبين ونجاة المؤمنين، وهكذا، ترسيخاً لهذا المفهوم في حياة العبد.

---

(١) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٧٥).

(٢) رواه الترمذي أبواب فضائل القرآن، باب ٢٥ ،٣٤/٥،حديث رقم(٢٩٢٦)، قال الترمذي هذا حديث حسن غريب. قال الشيخ الألباني : في السلسلة الضعيفة ( ضعيف) .

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٦٠٥).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب (٥/ ٢٦٠٤).

(٥) ينظر: بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش آل غازي العاني (٢/ ٢٧٦).

(٦) مسند البزار ١١٥/١٦ حديث رقم (٩١٩٥)، مُسْنَدُ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

(٧) ينظر: بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش آل غازي العاني (٢/ ٢٧٦).

## المطلب الخامس

## عقيدة الشرك موْرِد المهالك

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٢ – ٩٥]

**أولا: اللطائف البلاغية:**

مراعاة الفواصل في أواخر الآيات مثل ﴿تَعْبُدُونَ، يَنتَصِرُونَ، وَالْغَاوُونَ، أَجْمَعُونَ﴾ وهو من السجع الحسن الذي يزيد في جمال البيان[١].

**ثانيا: المفردات اللغوية:**

١- ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ أي: هل يمنعونكم من العذاب ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ يمتنعون منه ثم يؤمر بهم فيُلقون في النار[٢]. هل ينصرونكم، فيدفعون العذاب عنكم، أو ينتصرون بدفع العذاب عن أنفسهم[٣].

٢- ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾ أي: أُلْقُوا، وقُلِبَ بعضُهم على بعض[٤].

٣- ﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ أي: الأصنامُ والمشركون والعابدون والمعبودون[٥].

٤- ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ أي: أَتْبَاعه وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ الْجِنّ والإنس[٦].

**ثالثا: التفسير الإجمالي:**

﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ أي أين آلهتكم التي عبدتموها من دون الله من تلك الأصنام والأنداد، هل ينفعونكم بنصرتهم لكم ويمنعونكم من العذاب، وهل ينفعون أنفسهم بانتصارهم ودفع العذاب عنهم؟ لا يحصل كلا الأمرين، فإنهم وآلهتهم وقود النار، وحصب جهنم، هم لها واردون، كما قال: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ والكبكبة تكرير الكب وهو الإلقاء على الوجه، جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها، ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ من الإنس والجن الذين أزَّهم إلى المعاصي أزًّا وتسلط عليهم بشركهم وعدم إيمانهم فصاروا من دعاته والساعين في مرضاته وهم

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني(٢/ ٣٥٤).

(٢) ينظر: تفسير مقاتل، (ص:٥١)، وتفسير هود الهواري (٣/٢٣١).

(٣) ينظر: التفسير الميسر (١/ ٣٧١).

(٤) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي (٨/ ٥٣٤).

(٥) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٣).

(٦) ينظر: تفسير الجلالين، (ص:٤٨٦).

ما بين داع لطاعته ومجيب لهم ومقلد لهم على شركهم فدهوروا فيها وعبدتهم، والقادة وأتباعهم يلقون فيها إلقاء مكرراً، بعضهم على بعض. وتقديم إلقاء الآلهة ليشاهد الغاوون سوء حالهم، وييأسوا من النجاة[١].

**رابعا: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- تقرير أن دعاة الزنى والربا والخرافة والشركيات من الناس هم من جند إبليس[٢].

٢- الغاوون يسبقون مَنْ أغْوَوْهم وأضلوهم؛ ليقطع أمل التابعين لهم في النجاة وليشاهدوا سوء حالهم، فيزدادوا غماً على غم[٣].

٣- يَلقىَ الكفار الإهمال والإذلال في جهنم، حتى إنهم يُكبكبونَ فيها كبكبةً[٤].

٤- الشيطان عدو مُضلٌ مبين، له جنود وأتباع، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، يوجههم إلى إغواء الإنسان وإضلاله، فهم السبب الرئيسي في ضلالا الإنسان وانحرافه، وكان من تبعهم في الدنيا تبعهم كذلك في الأخرة ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ **[النساء: ١١٩]**.

---

(١) ينظر: تفسير الزمخشري (٣/ ٣٢٢)، وتفسير السعدي (ص: ٥٩٣).

(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٦١).

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٦٠٩) بتصرف.

(٤) ينظر: التفسير المنهجي د صلاح الخالدي (١٣/١٠٠)

## المطلب السادس

## تخاصم أهل النار وأمانيِّهم فيها

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

[الشعراء: ٩٦ – ١٠٢]

**أولاً: المناسبة:**

ذكرت الآيات السابقة حالة إلقاء الكفرة وأتباعهم من الإنس والجن والشياطين في جهنم، ثم ذكرت هذه الآيات تخاصمهم فيها بعدما استقر بهم الخال فيها، ورسخت أقدامهم، وسكنوا بعد الكبكبة فيها.

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١-﴿ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ يعني: نطيعكم كما يطيع المؤمنون أمر الله عز وجل في العبادة والمحبة والخوف والرجاء وندعوكم كما ندعوه[١].

٢-﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴾أي: ليس لنا من يشفع لنا من هول هذا اليوم[٢].

٣- ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ معنى الحميم في اللغة: القريب، من قولهم: أَحَمَّ الأمر، وأَحَمَّ إذا قَرُب، ودنا[٣]، والمعنى: ولا قريبٍ أو صديقٍ يشفع لنا ، خالص الود ينقذنا من عذاب الله[٤].

٤- ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي: فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فنصير من جملة المؤمنين الناجين، لنؤمن ونوحد ونعبد ربنا[٥].

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

قال الزمخشري رحمه الله: "وجمع الشافع لكثرة الشافعين، ووحّد الصديق لقلته"[٦]. أي أن الشفعاء يكثرون عادة عند المحنة، وإن لم يكن هناك سبق معرفة، وأما الصديق المخلص في وداده فقليل نادر[٧].

---

(١) ينظر: تفسير السمرقندي بحر العلوم (٢/ ٥٦٠)،و تفسير السعدي (ص: ٥٩٣)

(٢) صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٣)

(٣) ينظر: تهذيب اللغة (١٤/٤) (حمم)، ولسان العرب (١٥٢/١٢)، قال في الكشاف (١١٩/٣) والحميم من الاحتمام، وهو الاهتمام.

(٤) ينظر: صفوة التفاسير (٣٥٣/٢)، والوجيز للواحدي (ص:٧٩٢).

(٥) ينظر: التفسير الميسر (١/ ٣٧١).

(٦) ينظر: تفسير الزمخشري (٣٢٢/٣).

(٧) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٨٢/١٩).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي قال أهل الغواية، وهم في حال الغيظ الشديد من المخاصمة والمحاجة بينهم وبين الآلهة المعبودة والشياطين الداعية لتلك العبادة: والله لقد كنا في ضلال عن الحق واضح بيّن حين نجعلكم أيها الأصنام والأحجار والملائكة وبعض البشر متساوين في استحقاق العبادة وإطاعة الأمر مع رب العالمين من الإنس والجن:﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾ [ص :٦٤].

وهذا خطاب في الحقيقة بدليل قولهم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ عن الهدى﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ يعني من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس والشياطين، وقيل رؤساؤهم الذين أضلوهم، وقيل إبليس وجنوده. أي والحق أنه ما دعانا إلى ذلك الخطأ العظيم إلا المجرمون من الشياطين والقادة والرؤساء، كما قال ﷻ:﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأحزاب :٦٧]. وقد أفلسنا اليوم من وعودهم الكاذبة والآمال المعقودة كما قال: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ أي فليس لنا اليوم شفيع يشفع، ولا صديق ودود قريب يهمه أمرنا، من الذين كنا نعدهم شفعاء وأصدقاء لأنهم كانوا يعتقدون في أصنامهم أنهم شفعاؤهم عند الله ﷻ، وكان لهم أصدقاء من شياطين الإنس يعدونهم بالنجاة والإنقاذ، كما قال ﷻ:﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي . . . ﴾ [الأعراف :٥٣]. والمراد التلهف والتأسف على فقد شفيع يشفع لهم مما هم فيه، أو صديق شفيق يهمه ذلك، وقد ترقوا لمزيد انحطاط حالهم في التأسف، حيث نفوا أولاً أن يكون لهم من ينفعهم في تخليصهم من العذاب بشفاعته، ونفوا ثانياً أن يكون لهم من يهمه أمرهم ويشفق عليهم، ويتوجع لهم، أو يخلصهم،﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا، فنؤمن بالله ربنا وحده لا شريك له، ونؤمن برسله الكرام، ونعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل، ولكن ذلك كذب ومراوغة، كما أخبر ﷻ عنهم بخلاف ذلك ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام :٢٨]. وقال ﷻ أيضا: ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[ المؤمنون:٧٥][1].

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- تقرير أن المجرمين هم الذين أفسدوا نفوسهم ونفوس غيرهم بدعوتهم إلى الضلال وحملهم على المعاصي.

٢- لا يجد الكفار شفعاءً ولا أصدقاء يوم القيامة، فيزدادون حسرةً وندامةً[2].

٣- تقرير أن الشفاعة لن تكون لمن مات على الشرك والكفر.

---

(١) انظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٨٠) فتح البيان في مقاصد القرآن (٩/ ٣٩٦)وتفسير الألوسي روح المعاني (١٠/ ١٠٣).

(٢) ينظر: التفسير المنهجي د صلاح الخالدي (١٣/١٠٠).

٤- إضلال المجرم وإغواءه للآخرين، لا يعفيهم من المسئولية والعذاب يوم القيامة[١].

٥- الصديق الحميم هو الذي يودك ويدافع عنك، وتودهُ وتدافع عنه. فكل خُلة وصداقةٍ في الدنيا بين غير المتقين، تنقلب إلى عداوةٍ شديدة يوم الدين كما قال الله ﷻ: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧ ]، أما المتقون فيحفظ الله لهم خُلَّتِهم ومودتهم، لأنها من عناصر سعاداتهم في جنات النعيم[٢].

٦- ثبوت الشفاعة يوم القيامة، خلافاً للمعتزلة الذين لا يجوزون الشفاعة في الخلاص من النار بعد دخولها أو قبله[٣].

٧- يعترف الكفار في الآخرة بخطئهم وضلالهم، بينما كانوا يرفضون الاعتراف بذلك في الدنيا[٤].

٨- يتمنى الكفار العودة للدنيا ليؤمنوا، لشعورهم بالحسرة والخسارة في الآخرة ولكن دون جدوى[٥].

## المطلب السابع

## العبرة في قصة إبراهيم عليه السلام

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

[الشعراء: ١٠٣-١٠٤]

**أولاً: المناسبة:**

لما كان في هذه القصة أعظم زاجر عن الشرك، وآمر بالإيمان، نبه على ذلك بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ..﴾.

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ أي: وما كان أكثر هؤلاء المشركين الذين تدعوهم إلى الإسلام بمؤمنين.

٢- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه[٦].

---

(١) ينظر: التفسير المنهجي د صلاح الخالدي (١٣/١٠٠).

(٢) ينظر: معارج التفكر ودقائق التدبر (٨/٦٤١).

(٣) ينظر: تفسير الألوسي روح المعاني (١٠/١٠٣).

(٤) ينظر: التفسير المنهجي د صلاح الخالدي (١٣/١٠٠).

(٥) ينظر: المرجع السابق (١٣/١٠٠).

(٦) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/٣٥٣).

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

تكرار الجملة تعداداً على المشركين وتسجيلاً لتصميمهم. واسم الإشارة إشارة إلى كلام إبراهيم عليه السلام فإن فيه دليلاً بينا على الوحدانية لله ﷻ وبطلان إلهية الأصنام(١).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ هي الأمر العجيب الملفت للنظر، وما كان ينبغي أنْ يمرَّ على العقول بدون تأمّل واعتبار ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾، رغم أن هذه الآيات ظاهرة واضحة، ومع ذلك كان أكثرهم غير مؤمنين. وفي ذلك المذكور من قصة إبراهيم، ومحاجته لقومه، وإقامة الحجج عليهم في التوحيد، وتغلبه عليهم، وفي مخاصمة أهل النار، لعظة وعبرة، ودلالة واضحة جلية على أن: لا إله إلا الله، وألا معبود سواه، ولا رب غيره، وما كان أكثر قوم إبراهيم بمؤمنين بالله وبرسوله، وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ عما يلقاه من تكذيب قومه وإعراضهم عن دعوته، مع إقامة الأدلة، وظهور المعجزات. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي وإن ربك الذي أحسن إليهم بإرسالك لهم لهدايتهم، لقادر على الانتقام منهم، ورحيم بهم إذ لم يعجل إهلاكهم، ورحيم بالمؤمنين الطائعين(٢).

**رابعاً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- إن الهدف من القصص في القرآن التقاط مواضع العِبْرة والعِظَة واتخاذ الأُسوة من تاريخ الرسل، ليُثبِّت الله بها فؤاد رسوله ﷺ حينما يواجه الأحداث الشاقة والعصيبة. والمتأمل في رسالة موسى ورسالة إبراهيم عليه السلام يجد أن موسى جاء ليعالج مسألة هي قمة العقيدة، ويواجه مَنِ ادّعى الألوهية وقال: إني إله من دون الله، أما إبراهيم فقد عالج مسألة الشرك مع الله وعبادة الأصنام، فعندهم طَرَف من إيمان، بدليل أنهم إذا ضيّقنا عليهم الخناق قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. لذلك كانت قصة موسى أَوْلَى بالتقديم هنا(٣).

٢- لا تنفع العبر والمواعظ والآيات في هداية قوم كتب الله أزلاً شقاءهم وعلم منهم أنهم لا يؤمنون فكتب ذلك عليهم(٤).

٣- من كمال رحمة الله ﷻ إمهال أكثر قريش حتى آمنوا به، بخلاف الأمم الماضية فإنه عجل عقوبتهم دفعة واحدة(٥).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٥٦/١٩).

(٢) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٨٠/١٩)، وتفسير الشعراوي (١٠٦١٦/١٧)

(٣) ينظر: تفسير الشعراوي (١٠٥٨٤/١٧).

(٤) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٦٦١/٣).

(٥) ينظر: بيان المعاني لعبد القادر بن ملّا حويش آل غازي العاني (٢٧٨/٢).

٤- قال البيضاوي:" في بيان معنى ﴿لَآيَةً﴾ لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير، ويتبعه المتأمل فيها لغزارة علمه، لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها، وحسن دعوته للقوم، وحسن مخالفته معهم وكمال إشفاقه عليهم، وتصور الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد، والوعيد على سبيل الحكاية؛ تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون أدعى للاستماع والقبول.

ومع هذه الحجة الباهرة، والوصايا التي تقنع بذاتها، وتلزم بحقيقتها، كان أكثرهم غير مؤمنين، ولذا قال: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم﴾ وإذا كان الأكثرون غير مؤمنين، فمعنى ذلك أن المؤمنين كانوا الأقل عدداً؛ وذلك لأن الشيطان يتحكم في الكثرة، ويعاون أهل الشر بعضهم بعضاً[1].

(١) تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٤٣/٤).

# المبحث الثاني

# الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠٥-١١٠)

ويشتمل على مطلبان:

**المطلب الأول: دعوة نوح عليه السلام قومه إلى تقوى الله وطاعته.**

**المطلب الثاني: القصص في سورة الشعراء لا تتبع التسلسل التاريخي.**

## المطلب الأول

## دعوة نوح عليه السلام إلى تقوى الله و طاعته

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾

[الشعراء: ١٠٥ – ١١٠]

**أولاً: المنَاسَبَة:**

لما قصَّ ﷻ على نبيه محمد ﷺ خبر موسى وإبراهيم أتبعه بذكر قصة نوح، وكلُّ ذلك تسليةٌ لرسول الله ﷺ فيما يلقاه من قومه، وبيانٌ لسنة الله في عقاب المكذبين(١).

**ثانياً: المفردات اللغوية:**

١- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: كذّب قومُ نوح رسولهم نوحاً، وإنما قال ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لأن من كذَّب رسولاً فقد كذب الرسل(٢).

٢- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ أي: أي ابن أبيهم وهي أخوة نسب لا أخوة دين. وقيل: هي أخوة المجانسة(٣).

٣- ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ أي: رسول من الله إليكم، أمين على وحيه إلي، ورسالته إليكم(٤).

٤- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: أي لا أسألكم على إبلاغ رسالة الله أجرة مقابل البلاغ(٥).

**ثالثاً: اللطائف البلاغية:**

١- إطلاق الكل وإرادة البعض ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أراد بالمرسلين نوحاً وإنما ذكره بصيغة الجمع تعظيماً له وتنبيهاً على أن من كذب رسولاً فقد كذب جميع المرسلين(٦).

٢- السر في تكرار قوله ﷻ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ للتأكيد عليهم، وتقريره في نفوسهم لأن التقوى والطاعة أساس الدين، لكن جعل علة الأول كونه أميناً فيما بينهم، وعلة الثاني حسم طمعه عنهم(٧).

---

(١) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٥).

(٢) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٥٦).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١١٩).

(٤) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب(٨/ ٥٣٢٨).

(٥) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٦٢)

(٦) ينظر: صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ٣٦١).

(٧) ينظر: التفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٨٥).

٣- قدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته، لأن تقوى الله سبب لطاعة نوح عليه السلام. ثم كرر الأمر بالتقوى والطاعة، ليؤكد عليهم ويقرر ذلك في نفوسهم(١).

**رابعاً: التفسير الإجمالي:**

هذه هي قصة نوح عليه السلام الذي عاش في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله، وترك الشرك وعبادة الأوثان، ومع ذلك كذبه قومه فقال الله فيهم: كذبت قوم نوح المرسلين، فإن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الكل لأن الرسول يدعو إلى الإيمان بجميع الرسل ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] . كذبوا إذ قال لهم أخوهم نوح: ألا تتقون! أتدعون صنماً وتذرون أحسن الخالقين، والله ربكم ورب آبائكم الأولين، إنى يا قوم لكم رسول أمين في رسالتي صادق في دعواي أنى رسول رب العالمين، فاتقوا الله، وأطيعوني، وإني لا أرى سبباً لعصياني وتكذيبي وأنا أخوكم تعرفون عنى ما تعرفون من شرف النسب وكرم الخلق وصدق الحديث، وما أجرى إلا على ربي، وليس جزائي إلا عنده فما لكم تكفرون؟ فيا قوم اتقوا الله وأطيعوني أي: فقد وضح لكم صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني الله به، وائتمنني عليه(٢).

**خامساً: تحقيق الأهداف والمقاصد:**

١- بيان أن من كذب رسولاً فكأنما كذب كل الرسل وذلك باعتبار أن دعوتهم واحدة وهي أن يُعْبَدَ الله وحده بما شرع للناس من عبادات تطهرهم وتزكيهم(٣)، فكل رسل الله عز وجل جاءوا في أصول ثابتة ثابتة في العقيدة وفي الأخلاق؛ لذلك فمن كذَّب رسوله فكأنه كذَّب كل الرسل(٤).

٢- إثبات أخوة النسب، ولا تعارض بينها وبين أخوة الدين(٥).

٣- عدم جواز أخذ أجرة على دعوة الله جل جلاله، ووجوب إبلاغها مجاناً، والتعفف عن ما عند الناس، وابتغاء الأجر من الله وحده(٦).

٤- وجوب التقوى لله عز وجل، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- لزوم تحاشي العلماء عن طلب أجر على تعليم القرآن والحديث والعلم، لأنهم ورثة الأنبياء فينبغي أن يقتدوا بمورثيهم ويبثوا ما عندهم من العلوم مجاناً للعامة كما علمهم الله، وكذلك الجهات

---

(١) ينظر: البحر المحيط في التفسير لابن حيان (٨/ ١٧٥).

(٢) ينظر: التفسير الواضح (٢/ ٧٦١)، والتفسير المنير للزحيلي (١٩/ ١٨٥).

(٣) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٦٣).

(٤) ينظر: تفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٦١٧).

(٥) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري (٣/ ٦٦٣).

(٦) ينظر: التفسير المنهجي، د صلاح الخالدي (١٣ /١٠٤).

الدينية كالإمامة والخطابة والأذان والوعظ فلا ينبغي أن يؤخذ عليها أجر ما إلا لحاجة ماسة، كمن ليس له مورد ما ولا شيء من الوقف ولا يقدر على العمل مع القيام بذلك[1].

٦- ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في الآية دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه، وكان الأنبياء متفقين على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع مبرئين عن المطامع الدنيئة والأغراض الدنيوية[2].

٧- لا يجوز للدعاة والقادة المسلمين تفضيل الالتقاء بقادة الكفر على مخالطة الفقراء ومجالستهم[3].

## المطلب الثاني

## القصص في سورة الشعراء لا تتبع التسلسل التاريخي

القصص في هذه السورة لا يتبع الخط التاريخي، لأن العبرة وحدها هي المقصودة، فأما في سورة الأعراف مثلاً فقد كان الخط التاريخي مقصوداً، لعرض خط وراثة الأرض، وتتابع الرسل من عهد آدم عليه السلام فمضى القصص فيها يتبع خط التاريخ، منذ الهبوط من الجنة، وبدء الحياة البشرية.

إن مسألة القصص في القرآن ليست سَرْداً للتاريخ، فإبراهيم عليه السلام كان قبل موسى عليه السلام، ولو أردنا التأريخ لجاءت قصة إبراهيم أولاً، إنما الهدف من القصص في القرآن التقاط مواضع العِبْرة والعِظَة واتخاذ الأُسوة من تاريخ الرسل، ليُثبِّت الله بها فؤاد رسوله ﷺ حينما يواجه الأحداث الشاقة والعصيبة.

والمتأمل في رسالة موسى ورسالة إبراهيم عليه السلام يجد أن موسى جاء ليعالج مسألة هي قمة العقيدة، ويواجه مَنِ ادّعى الألوهية وقال: إني إله من دون الله، أما إبراهيم فقد عالج مسألة الشرك مع الله وعبادة الأصنام في هذا الموضع من هذه السورة، فعندهم طَرَف من إيمان، بدليل أنهم إذا ضيّقنا عليهم الخناق قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. لذلك كانت قصة موسى أَوْلَى بالتقديم هنا[4].

---

(١) ينظر: بيان المعاني للعاني (٢/ ٢٧٨).

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ١٤٥).

(٣) ينظر: التفسير المنهجي، د صلاح الخالدي (١٣ /١٠٤).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن (٥/ ٢٦٠٠)، وتفسير الشعراوي (١٧/ ١٠٥٨٤).

# الخاتمة

في الختام أحمد الله ﷻ إذ يسر وأعان على إتمام هذا البحث بفضله، سائلاً المولى ﷻ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، ولقد اجتهدت ما استطعتُ لاستنباط بعض مقاصد وأهداف الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم، فما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ أو زللٍ أو نسيانٍ فمن نفسي ومن الشيطان واللهَ أسأل أن يتجاوز عني.

وبعد بيان مقاصد وأهداف الحزب السابع والثلاثين من سورة الفرقان والشعراء ودراستها دراسة تحليلية، خرج الباحث بالنتائج والتوصيات الآتية:

## أولاً: نتائج البحث:

١- أنَّ علم مقاصد السور يُعين على فهم كتاب الله فهماً صحيحاً، ويعين على استخراج دقائق معانيه وتدبُّرِه، ويوصل إلى معرفة الحق في تفسير كلام الله، ومقصد السورة هو أصل معانيها التي ترجع إليها.

٢- معرفة المقصد للسورة يبين نظم السورة، والمناسبات بين آياتها، وكذلك معرفة مقاصد السور تظهر بيان إعجاز القرآن وبلاغته.

٣- القرآن الكريم فيه كثير من العقائد، والأحكام، والأخلاق، والوعظ، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن التي جعلها الله هدايةً للبشر، والتي تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآن يبث هذا المعنى من خلال المقاصد والأهداف، والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور.

٤- اهتمت سورة الفرقان بإثبات النبوة والوحدانية، والنعي على عبدة الأصنام والأوثان، وجزاء المكذبين، مع ذكر شبهاتهم التي قالوها في النبي ﷺ وفى القرآن ثم تفنيدها.

٥- الجاحد المعاند يتفنن في مطالبه لتبرير موقفه على ما هو عليه من الكفر، ولو أُعطيَ كل طلب لم يكن ليغير موقفه، لأنه يريد التعجيز لا الوصول إلى الحق.

٦- التحريض على محبة الرسول ﷺ وشد اليد على التمسك بسنته، والاهتداء بهديه، واتباع ما جاء به.

٧- الترغيب في صحبة الأبرار، والترهيب من صحبة الفجار.

٨- التحذير من هجر القرآن والعمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وهجر تحكيمه وتدبره وتفهمه.

٩- من نعم الله العظمى بث دلائل قدرته في الكون، ولفت النظر إليها، ليتدبرها العقلاء ويؤمنون بالخالق جل وعلا عن قناعة، فيقومون بتوجيه العبادة والإخلاص فيها له وحده لا شريك له.

١٠- القرآن الكريم كتاب هداية، والإشارات التي وردت في آياته تنسجم مع هدف إخراج الإنسان من متاهات الضلال وظلمات الشرك إلى نور التوحيد، وتنبيه الغافلين إلى حكمة الله في مخلوقاته والتفكير في الحال والمآل.

١١- على الدعاة إلى الله والمصلحين الذين يسعون إلى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، أن يتوكلوا على الله ﷻ حق التوكل مع اتخاذ الأسباب الظاهرة، وأن لا يتطرق اليأس إلى قلوبهم إذا قابلهم الجاحدون المعاندون بالتهم الباطلة، والاستهزاء والسخرية فإن العاقبة لهم.

١٢- ينبغي على الداعية ألا يأخذ أجراً مقابل دعوته إلى الله، وإن كان ذلك جائزاً، لكن استعفافه أولى، لئلا يقع في الشبهات.

١٣- تميز القرآن الكريم بالعناية بالإيجابيات ومعالجة السلبيات، كما اهتم بالبناء العقدي والخلقي والاجتماعي وعالج الهدم والفوضى والانحلال.

١٤- توحيد الله أساس هذه العقيدة، ومفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة في الاعتقاد والغموض والالتواء والتعقيد، الذي لا يقوم على أساسه نظام صالح للحياة.

١٥- فتح الله ﷻ باب التوبة للترغيب في الإصلاح والعودة إلى الاستقامة.

١٦- كان إرسال موسى وأخيه هارون إلى فرعون الطاغية الجبار الذي ادعى الألوهية، ومعه قومه الظالمون بالشرك واستعباد الضعفاء - إعذاراً وإنذاراً، حتى لا يبقى لهم ولأمثالهم حجة يتذرعون بها للجهل بحقيقة الإيمان والدين.

١٧- صاحب العقيدة الراسخة، عليه أن يصمد أمام المحن والشدائد.

١٨- لا بدّ من اتخاذ الأسباب لكل مهمة خطيرة أو غير خطيرة، فذلك مأمور به شرعاً، كما أن الحذر مطلوب، وتقدير المخاطر مما يوجبه الشرع والعقل.

١٩- من كان أهلاً للوعظ والتذكير لا ينبغي أن يتأخر عنه خوف التكذيب ولا خوف الإذاية، فإن الله معه بالحفظ والرعاية.

٢٠- المؤمن لا يأبه من قول المغرضين له، فهو يمضي في طريقه يصدع بكلمة الحق التي تزلزل الطغاة والمتجبرين ولو كلفه ذلك نفسه.

٢١- حرمة السحر وحرمة تعلمه، ووجوب إقامة الحد على من ظهر عليه وعرف به.

٢٢- ضرورة سبق العدو في تحضير وإعداد القوات قتالياً وفنياً ونفسياً.

٢٣- يعلم القرآن المؤمنين أن لا مجاملة في العقيدة لوالد ولا لقوم وأن الرابطة الأولى هي رابطة العقيدة، وأن القيمة الأولى هي قيمة الإيمان وأن ما عداه تبع له يكون حيث يكون.

٢٤- الصراع بين الحق والباطل ماضٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٢٥- تضمّن دعاء إبراهيم الخليل مقوّمات القدوة الحسنة، والصفوة المختارة، والقرب من الله ﷻ، لتعليم الآخرين والاقتداء به.

٢٦- استخدام أسلوب الحوار الهادف سواء في الجانب السياسي، أو الاجتماعي، فهو أفضل الطرق لإقناع الخصم.

٢٧- إن الهدف من القصص في القرآن التقاط مواضع العِبْرة والعِظَة واتخاذ الأُسوة من تاريخ الرسل.

٢٨- كل رسل الله ﷻ جاءوا في أصول ثابتة في العقيدة وفي الأخلاق لا تتغير في أي دين؛ لذلك فمن كذَّب رسوله فكأنه كذَّب كل الرسل.

٢٩- القصص في سورة الشعراء لا تتبع التسلسل التاريخي، وإنما تأتي وفقاً للحكمة الإلهية.

## ثانياً: أهم التوصيات والمقترحات:

١- أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله ﷻ والعمل على مرضاته، واتباع هدي النبي ﷺ والعمل بمقاصد وأهداف آيات كتابه الكريم، فإنَّ في ذلك الفوز والنجاح.

٢- أوصي طلاب العلم الشرعي، بأن يهتموا بعلم التفسير التحليلي للقرآن الكريم، فهو السبيل لمعرفة وفهم الآيات القرآنية، بما يكشف عما تضمنته الآيات من أحكام ومدلولات وأهداف لهذه الآيات.

٣- أن يعقد الباحثون دراسة مقارنة في الأهداف والمقاصد بين كل سورتين متجاورتين في القرآن الكريم ، حتى يثبت صحة أحد أوجه الإعجاز الموضوعي في القرآن وهو إعجاز المناسبة بين السور.

٤- أن يوجَّه طلاب العلم الشرعي عامَّة والدراسات العليا بقسم التفسير وعلوم القرآن خاصَّة؛ لدراسة كافَّة مقاصد وأهداف القرآن الكريم، لتستفيد منها الأمَّة وطلاب العلم، من خلال السِّلسلة الكريمة التي وضعتها الجامعة.

٥- الإقبال على طلب العلوم الشرعية، والسعي في نشرها، فهي أنفع العلوم في الدنيا والأخرة.

٦- أوصي الدعاة بالاستفادة من القصص التي وردت في سورة الشعراء، بما فيها من عبر وعظات.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن أكون قد ساهمت في خدمة كتابه العزيز، وسهلت الاستفادة منه للقارئ والدارس، كما أسأله ﷻ أن ينفعنا بما علَّمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعلنا من عباده المتقين.

وأخيراً أرجو من المولى ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجه الكريم، فإنه خير مأمول، وأكرم مسئول.

## وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

# الفهارس العامة

وتشمل:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لها.

رابعاً: ثبت المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

## أولا: فهرس الآيات القرآنية:


| م | طرف الآية | رقم الآية | رقم الصفحة |
|---|---|---|---|
| | البقرة | | |
| ١ | ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ..... ﴾ | ٥٥ | |
| ٢ | ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ | ١٥٦ | |
| ٣ | ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ..... ﴾ | ١٦٤ | |
| ٤ | ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا ..... ﴾ | ٢٠١ | |
| ٥ | ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ..... ﴾ | ٢٤٩ | |
| ٦ | ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ..... ﴾ | ٢٨٥ | |
| | آل عمران | | |
| ٧ | ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ .....﴾ | ١٥ | |
| ٨ | ﴿ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ ..... ﴾ | ١٠٣ | |
| ٩ | ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ..... ﴾ | ١٢٣ | |
| ١٠ | ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ .... ﴾ | ١٣٥ - ١٣٦ | |
| ١١ | ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ..... ﴾ | ١٦٠ | |
| ١٢ | ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ ..... ﴾ | ٢٠٠ | |
| | النساء | | |
| ١٣ | ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ..... ﴾ | ١٠ | |
| ١٤ | ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم .....﴾ | ٢٢ | |
| ١٥ | ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ .....﴾ | ٢٣ | |
| ١٦ | ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا .....﴾ | ٦٦ | |
| ١٧ | ﴿ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا ..... ﴾ | ١١٩ | |
| ١٨ | ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ..... ﴾ | ١١٦ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| **المائدة** | | | |
| ١٩ | ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ ..... ﴾ | ٣٢ | |
| **الأنعام** | | | |
| ٢٠ | ﴿ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ ..... ﴾ | ٢٨ | |
| ٢١ | ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾ | ٦٠ | |
| ٢٢ | ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ ..... ﴾ | ٨٨ | |
| ٢٣ | ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ..... ﴾ | ١١١ | |
| **الأعراف** | | | |
| ٢٤ | ﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ | ٣١ | |
| ٢٥ | ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ .... ﴾ | ٥٣ | |
| ٢٦ | ﴿ وَمَا نَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا..... ﴾ | ١٢٦ | |
| ٢٧ | ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ ..... ﴾ | ١٣٧ | |
| **الأنفال** | | | |
| ٢٨ | ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ ..... ﴾ | ٣٣ | |
| **التوبة** | | | |
| ٢٩ | ﴿ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ | ٣٦ | |
| ٣٠ | ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ..... ﴾ | ٤٠ | |
| ٣١ | ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا .....﴾ | ٤٧ | |
| ٣٢ | ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ..... ﴾ | ١١٤ | |
| **يونس** | | | |
| ٣٣ | ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً ..... ﴾ | ٥ | |
| ٣٤ | ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ ..... ﴾ | ٩٩ | |
| **هود** | | | |
| ٣٥ | ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا ..... ﴾ | ١٠٦ – ١٠٧ | |
| ٣٦ | ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً ..... ﴾ | ١١٨ | |
| **الرعد** | | | |
| ٣٧ | ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ..... ﴾ | ٤٣ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| | الحجر | | |
| ٣٨ | ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا ..... ﴾ | ١٦ | |
| ٣٩ | ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا .... ﴾ | ٢٢ | |
| ٤٠ | ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ | ٩٥ | |
| | النحل | | |
| ٤١ | ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا ..... ﴾ | ١٧ | |
| ٤٢ | ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ..... ﴾ | ٢٥ | |
| ٤٣ | ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ .....﴾ | ٣٧ | |
| ٤٤ | ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ .....﴾ | ٤٨ | |
| | الإسراء | | |
| ٤٥ | ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ | ١٥ | |
| ٤٦ | ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا ..... ﴾ | ١٦ | |
| ٤٧ | ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ..... ﴾ | ١٧ | |
| ٤٨ | ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ..... ﴾ | ٢٠ | |
| ٤٩ | ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ..... ﴾ | ٢٧ | |
| ٥٠ | ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ..... ﴾ | ٢٩ | |
| ٥١ | ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ ..... ﴾ | ٣٧ | |
| ٥٢ | ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ ..... ﴾ | ٤١ | |
| ٥٣ | ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ..... ﴾ | ٨١ | |
| ٥٤ | ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ .....ۖ ﴾ | ٨٥ | |
| ٥٥ | ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا ..... ﴾ | ١١٠ | |
| | الكهف | | |
| ٥٦ | ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ ..... ﴾ | ٦ | |
| ٥٧ | ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ | ١١٠ | |
| | مريم | | |
| ٥٨ | ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ..... ﴾ | ٦٤ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٥٩ | ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..... ﴾ | ٩٣ | |
| | طه | | |
| ٦٠ | ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ | ٤٤ | |
| ٦١ | ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ | ٤٦ | |
| ٦٢ | ﴿ فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا ..... ﴾ | ٧٧ | |
| ٦٣ | ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا ..... ﴾ | ١١٣ | |
| ٦٤ | ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ ..... ﴾ | ١٢٤ | |
| | الأنبياء | | |
| ٦٥ | ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ..... ﴾ | ١ – ١١ | |
| ٦٦ | ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ ..... ﴾ | ١٨ | |
| ٦٧ | ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ | ٣٠ | |
| | المؤمنون | | |
| ٦٨ | ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ ..... ﴾ | ٢٤ | |
| ٦٩ | ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ..... ﴾ | ٦٠ | |
| ٧٠ | ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ ..... ﴾ | ٦٤ – ٦٥ | |
| ٧١ | ﴿ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ..... ﴾ | ٧٥ | |
| | النور | | |
| ٧٢ | ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ..... ﴾ | ١٩ | |
| ٧٣ | ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ ..... ﴾ | ٣٩ | |
| ٧٤ | ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ..... ﴾ | ٤٣ | |
| ٧٥ | ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ..... ﴾ | ٤٥ | |
| ٧٦ | ﴿ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ..... ﴾ | ٦٤ | |
| | الفرقان | | |
| ٧٧ | ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ..... ﴾ | ١ | |
| ٧٨ | ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ ..... ﴾ | ٢ | |
| ٧٩ | ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ ..... ﴾ | ٤ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٨٠ | ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ | ٧ | |
| ٨١ | ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ .....﴾ | ١٥ | |
| ٨٢ | ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ .....﴾ | ٢١ – ٢٦ | |
| ٨٣ | ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ .....﴾ | ٢٧ – ٢٩ | |
| ٨٤ | ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى .....﴾ | ٣٠ | |
| ٨٥ | ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ .....﴾ | ٣١ | |
| ٨٦ | ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ .....﴾ | ٣٢–٣٤ | |
| ٨٧ | ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا .....﴾ | ٣٥ – ٤٠ | |
| ٨٨ | ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا ....﴾ | ٤١ – ٤٤ | |
| ٨٩ | ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ .....﴾ | ٤٥ – ٤٩ | |
| ٩٠ | ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ .....﴾ | ٥٠ – ٥٢ | |
| ٩١ | ﴿✸ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا .....﴾ | ٥٠ – ٥٢ | |
| ٩٢ | ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ .....﴾ | ٥٥ | |
| ٩٣ | ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا .....﴾ | ٥٦ – ٥٩ | |
| ٩٤ | ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ .....﴾ | ٦٠ | |
| ٩٥ | ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ .....﴾ | ٦١ – ٦٢ | |
| ٩٦ | ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ .....﴾ | ٦٣ | |
| ٩٧ | ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ...﴾ | ٦٤ | |
| ٩٨ | ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ....﴾ | ٦٥ – ٦٦ | |
| ٩٩ | ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ ....﴾ | ٦٧ | |
| ١٠٠ | ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ....﴾ | ٦٨ – ٦٩ | |
| ١٠١ | - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ ....﴾ | ٧٠ – ٧١ | |
| ١٠٢ | ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ....﴾ | ٧٢ | |
| ١٠٣ | ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ....﴾ | ٧٣ | |
| ١٠٤ | ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا ....﴾ | ٧٤ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٠٥ | ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا.... ﴾ | ٧٥ – ٧٧ | |
| الشعراء | | | |
| ١٠٦ | ﴿ طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ .... ﴾ | ١ – ٥ | |
| ١٠٧ | ﴿ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ.... ﴾ | ٦ | |
| ١٠٨ | ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن .... ﴾ | ٧ – ٩ | |
| ١٠٩ | ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ... ﴾ | ١٠ – ١٧ | |
| ١١٠ | ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا .... ﴾ | ١٨ – ٣٣ | |
| ١١١ | ﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ .... ﴾ | ٣٤ – ٣٧ | |
| ١١٢ | ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ .... ﴾ | ٣٨ – ٤٢ | |
| ١١٣ | ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ..... ﴾ | ٤٣ – ٤٨ | |
| ١١٤ | ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ .... .. ﴾ | ٤٩ | |
| ١١٥ | ﴿ قَالُواْ لَا ضَيۡرٌۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ .... .. ﴾ | ٥٠ – ٥١ | |
| ١١٦ | ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ | ٥٢ | |
| ١١٧ | ﴿ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ..... .. ﴾ | ٥٣ – ٦٠ | |
| ١١٨ | ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ ..... .. ﴾ | ٦١ – ٦٢ | |
| ١١٩ | ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب..... .. ﴾ | ٦٣ – ٦٨ | |
| ١٢٠ | ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ..... ﴾ | ٦٩ – ٧٧ | |
| ١٢١ | ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ..... ﴾ | ٧٨ – ٨٢ | |
| ١٢٢ | ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي ..... .. ﴾ | ٨٣ – ٨٧ | |
| ١٢٣ | ﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا ..... ﴾ | ٨٨ – ٩١ | |
| ١٢٤ | ﴿ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ..... .. ﴾ | ٩٢ – ٩٥ | |
| ١٢٥ | ﴿ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ..... ﴾ | ٩٦ – ١٠٢ | |
| ١٢٦ | ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ ..... ﴾ | ١٠٣–١٠٤ | |
| ١٢٧ | ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ..... .. ﴾ | ١٠٥ – ١١٠ | |
| ١٢٨ | ﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾ | ١٩٧ | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٢٩ | ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ | ٢١٤ | |
| ١٣٠ | ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ..... ﴾ | ٢٢٤-٢٢٧ | |
| | النمل | | |
| ١٣١ | ﴿طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ..... ﴾ | ١ | |
| ١٣٢ | ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ | ١٠ | |
| | القصص | | |
| ١٣٣ | ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ ..... ﴾ | ٦ | |
| ١٣٤ | ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ | ٥٢ | |
| ١٣٥ | ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ ..... ﴾ | ٥٥ | |
| ١٣٦ | ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ..... ﴾ | ٥٦ | |
| ١٣٧ | ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ ..... ﴾ | ٧١-٧٣ | |
| | العنكبوت | | |
| ١٣٨ | ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا ..... ﴾ | ٢ | |
| ١٣٩ | ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ | ١٣ | |
| ١٤٠ | ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ ..... ﴾ | ٢٠ | |
| ١٤١ | ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا ..... ﴾ | ٣٣ | |
| | الروم | | |
| ١٤٢ | ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ..... ﴾ | ٤٨ | |
| | لقمان | | |
| ١٤٣ | ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾ | ١٢ | |
| ١٤٤ | ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن ..... ﴾ | ١٨-١٩ | |
| | السجدة | | |
| ١٤٥ | ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ... ﴾ | ١٦-٣٢ | |
| | الأحزاب | | |
| ١٤٦ | ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ..... ﴾ | ٦٦ -٦٨ | |
| | سبأ | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٤٧ | ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي .....﴾ | ٣٤ | |
| ١٤٨ | ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا .....﴾ | ٣٤ | |
| | فاطر | | |
| ١٤٩ | ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ .....﴾ | ٨ | |
| ١٥٠ | ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا .....﴾ | ٩ | |
| ١٥١ | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى .....﴾ | ١٥ | |
| ١٥٢ | ﴿ۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ | ٢٤ | |
| ١٥٣ | ﴿ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا﴾ | ٤٣ | |
| | يس | | |
| ١٥٤ | ﴿ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ | ٥٨ | |
| | الصافات | | |
| ١٥٥ | ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ | ٩٦ | |
| ١٥٦ | ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾ | ١٣٧ | |
| ١٥٧ | ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ | ١٧١ | |
| | الزمر | | |
| ١٥٨ | ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ | ٣ | |
| ١٥٩ | ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا .....﴾ | ٩ | |
| ١٦٠ | ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ .....﴾ | ١٩ | |
| ١٦١ | ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا .....﴾ | ٤٢ | |
| ١٦٢ | ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ ...﴾ | ٥٣ | |
| ١٦٣ | ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ .....﴾ | ٦٥ | |
| ١٦٤ | ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ .....﴾ | ٧٤ | |
| | غافر | | |
| ١٦٥ | ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ...﴾ | ٢٨ | |
| ١٦٦ | ﴿ وَقَالَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ | ٢٨ | |
| | فصلت | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٦٧ | ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ ..... ﴾ | ٩ – ١٢ | |
| ١٦٨ | ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا ..... | ٢٦ | |
| | الزخرف | | |
| ١٦٩ | ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ..... ﴾ | ٢٣ | |
| ١٧٠ | ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ ..... ﴾ | ٦٧ | |
| | الجاثية | | |
| ١٧١ | ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ ..... ﴾ | ٣٤ | |
| | الأحقاف | | |
| ١٧٢ | ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ | ٣٥ | |
| | محمد | | |
| ١٧٣ | ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ | ٧ | |
| ١٧٤ | ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ..... ﴾ | ١١ | |
| | الفتح | | |
| ١٧٥ | ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن ..... ﴾ | ٢٣ | |
| | الحجرات | | |
| ١٧٦ | ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ ..... ﴾ | ١٣ | |
| | الذاريات | | |
| ١٧٧ | ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ..... ﴾ | ١٧– ١٨ | |
| ١٧٨ | ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ | ٥٦ | |
| | الطور | | |
| ١٧٩ | ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ | ٣٢ | |
| | المجادلة | | |
| ١٨٠ | ﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ | ١٩ | |
| | الصف | | |
| ١٨١ | ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ ..... ﴾ | ٨ | |
| | الطلاق | | |
| ١٨٢ | ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ ﴾ | ٣ | |
| | التحريم | | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٨٣ | ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ....﴾ | ٩ | |
| | **الملك** | | |
| ١٨٤ | ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ .... ﴾ | ٥ | |
| | **الحاقة** | | |
| ١٨٥ | ﴿فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ | ٦ | |
| | **المزمل** | | |
| ١٨٦ | ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ ﴾ | ٦ | |
| | **الإنسان** | | |
| ١٨٧ | ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ | ٢١ | |
| ١٨٨ | ﴿ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ | ٩ | |
| | **الانشقاق** | | |
| ١٨٩ | ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ | ٧ – ٩ | |
| | **التكاثر** | | |
| ١٩٠ | ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ | ٨ | |

## ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية


| م | طرف الحديث | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | « لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ » | |
| ٢ | « فكدت أساوره في الصلاة..... » | |
| ٣ | « من استُرعي رعيةً فلم يَحُطهم بنصيحة، لم يُرِحْ رائحةَ.... » | |
| ٤ | «هو الطهو ماؤه .... » | |
| ٥ | « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» | |
| ٦ | « إذا بلغ الماء قلّتين، لم يحمل الخبث أو لم ينجس» | |
| ٧ | « لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب» | |
| ٨ | « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد من الجنابة.... » | |
| ٩ | « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما،.... » | |
| ١٠ | «"لا يا بنت الصديق" ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق،.... » | |
| ١١ | «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » | |
| ١٢ | « إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس» | |
| ١٣ | «أيما ضيف نزل بقوم فأصبح الضيف محروماً، فله.... » | |
| ١٤ | «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير.... » | |
| ١٥ | « يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ.... » | |
| ١٦ | « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به» | |
| ١٧ | «دُعاة على أبواب جهنَّمَ، من أجابَهم إليها قذَفوه فيها، قلت:.... » | |
| ١٨ | « البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، قريب من النار » | |
| ١٩ | « اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قلبكم حملهم .... » | |
| ٢٠ | «خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الأخلاق » | |
| ٢١ | « أن تدعو لله نداً وهو خلقك. قال ثم أي؟ قال: .... » | |
| ٢٢ | « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه،.... » | |
| ٢٣ | « إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم.... » | |
| ٢٤ | «لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول.... » | |
| ٢٥ | « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ.... » | |
| ٢٦ | «إني لأعرف آخر أهل الجنة خروجا من النار، وآخر .... » | |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٧ | « ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات! قيل: من هم؟.... » | |
| ٢٨ | «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئا فجلس فقال: .... » | |
| ٢٩ | «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث،.... » | |
| ٣٠ | «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً.... » | |
| ٣١ | «أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ» | |
| ٣٢ | « يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا.... » | |
| ٣٣ | «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكِ» | |
| ٣٤ | «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ ...» | |
| ٣٥ | « جاهدوا الكفار بأموالكم وانفسكم والسنتكم » | |
| ٣٦ | « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ.... » | |
| ٣٧ | « لاَ تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا... » | |
| ٣٨ | « لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول.... » | |
| ٣٩ | «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله.... » | |
| ٤٠ | «اللهم يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك» | |
| ٤١ | «من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته.... » | |
| ٤٢ | «....إن رحمتي تسبق غضبي» | |

## ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لها


| م | اسم العلم | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | الضحاك بن مزاحم الهلالي الخرساني: أبو محمد | |
| ٢ | السدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، أبو محمد | |
| ٣ | مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء، البلخى، أبو الحسن | |
| ٤ | ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينورِي | |
| ٥ | بن جني: عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح | |
| ٦ | ابن الأنباري: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري | |
| ٧ | الأزهري: هو محمد بن الأزهر الهروي أبو منصور | |
| ٨ | الزجاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج النحوي | |
| ٩ | القُشَيْري عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوريّ القشيري الشافعي | |
| ١٠ | الواحدي: أبو الحسن، علي بن أحمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي | |
| ١١ | الكيا الهراسي: علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين | |
| ١٢ | الغزالي: محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام | |
| ١٣ | بن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد | |
| ١٤ | البقاعي: برهان الدين،إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي البقاعي | |
| ١٥ | ابن نباتة السعدي: أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن نباتة التميمي السعدي | |
| ١٦ | بن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة، الحسني الأنجري | |
| ١٧ | ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور | |
| ١٨ | محمد عزة بن عبد الهادي دروزة | |

# رابعاً: ثبت المصادر والمراجع

## • القرآن الكريم


١- **أحكام القرآن:** أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، المحقق: محمد صادق القمحاوي – عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.

٢- **أحكام القران:** القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: ١، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٣- **أحكام القرآن للشافعي - جمع البيهقي:** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، مكتبة الخانجي- القاهرة ط٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٤- **أحكام القرآن:** علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، الملقب بعماد الدين، المعروف بالكيا الهراسي الشافعي ، المحقق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، دار الكتب العلمية، بيروت تاريخ الطبع: ط٢- ١٤٠٥هـ .

٥- **إحياء علوم الدين - الغزالي:** محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، دار المعرفة – بيروت.

٦- **أسباب نزول القرآن:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، المحقق: عصام الحميدان ، دار الإصلاح – الدمام ، ط٢ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

٧- **أسد الغابة في معرفة الصحابة:** أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، دار الفكر بيروت ، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٨- **أسرار ترتيب القرآن:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٩- **أساس البلاغة:** أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

١٠- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن:** لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت – لبنان - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م .

١١- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط١ - ١٤١٨ هـ .

١٢- **أوضح التفاسير:** محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: ١٤٠٢هـ) المطبعة المصرية ومكتبتها.

١٣- **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير:** لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة- المملكة العربية السعودية ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٤- **أيسر التفاسير:** أسعد حومد
١٥- **إعلام الموقعين عن رب العالمين:** لمحمد بن أبي بكر بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ – ١٤١١هـ – ١٩٩١م .
١٦- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان:** محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت ط ٢- ١٣٩٥ – ١٩٧٥م .
١٧- **أغراض السور في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور:** محمد بن إبراهيم الحمد.
١٨- **أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم:** عبدالله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١- ١٩٧٩م .
١٩- **إيجاز البيان عن معاني القرآن:** محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، المحقق: د. حنيف بن حسن القاسمي: دار الغرب الإسلامي بيروت ط ١ – ١٤١٥ هـ .
٢٠- **الإكليل في استنباط التنزيل:** الحافظ العلامة الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: سيف الدين عبد القادر، دار الكتب العلمية – بيروت١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م .
٢١- **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط : ١، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م .
٢٢- **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد:** أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ط: ١٤١٩هـ .
٢٣- **البرهان في تناسب سور القرآن:** لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٤- **البرهان في علوم القرآن:** لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، مكتبة التراث – القاهرة ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م .
٢٥- **التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد:** لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ .
٢٦- **التعليقات السنية على العقيدة الواسطية:** لفيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي تحقيق: عبد الإله بن عثمان الشَّايع، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ .

٢٧- **التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية:** صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع .
٢٨- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:** شيخ الإسلام ابن تيمية: دار ابن حزم (٢٠١١م).
٢٩- **المنتخب في تفسير القرآن الكريم:** لجنة من علماء الأزهر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مصر، طبع مؤسسة الأهرام ط: ١٨، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م .
٣٠- **الميسر في القراءات الأربع عشر:** محمد خاروف ومحمد كريم راجح، دار الكلم الطيب دمشق- بيروت ط ١ ٢٠٠٢م.
٣١- **الكشف عن وجوه القراءات السبع:** لمكي بن أبي طالب.
٣٢- **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه:** محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر-ط:١ – ١٤٢٢هـ.
٣٣- **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم:** محمد بن فتوح الحميدي، دار ابن حزم لبنان- بيروت – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
٣٤- **التفسير القرآني للقرآن:** لعبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة .
٣٥- **التفسير الواضح:** الحجازي محمد محمود، دار الجيل الجديد – بيروت، ط١٠- ١٤١٣هـ.
٣٦- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم:** لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، ط١ .
٣٧- **التفسير الميسر:** نخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – السعودية الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م .
٣٨- **الثقات:** محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ط، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.
٣٩- **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية:** خالد بن سليمان المزيني: دار ابن الجوزي، الدمام، ط ١، (١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م) .
٤٠- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ .
٤١- **القراءات وأثرها في التفسير والأحكام** إعداد: محمد سالم بازمول.
٤٢- **الأدب المفرد:** للإمام الحافظ محمد بن اسماعيل البخاري مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

٤٣- **التَّفْسِيرُ البَسِيْط:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي المحقق: رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١، ١٤٣٠ هـ
٤٤- **الأساس في التفسير: لسعيد حوى،** دار السلام للطباعة والنشر والترجمة - القاهرة ط١.
٤٥- **الفوائد:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية(المتوفى: ٧٥١هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ط٢، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
٤٦- **التوقيف على مهمات التعاريف:** زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) ،عالم الكتب، عبد الخالق ثروت- القاهرة ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٤٧- **المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان:** د. مصطفى مسلم، دار القلم دمشق ط١، ٢٠٠٧
٤٨- **الكون والإعجاز العلمي للقرآن:** للدكتور منصور حسب النبي، ط دار الفكر العربي.
٤٩- **التفسير الوسيط للزحيلي:** د وهبة بن مصطفى الزحيلي دار الفكر، دمشق ط١ ، ١٤٢٢هـ.
٥٠- **التفسير المنهجي:** د. صلاح الخالدي. دار المنهل عمان الأردن. الطبعة الأولى ٢٠٠٤ .
٥١- **المحيط في اللغة:** الصاحب بن عباد مصدر الكتاب : موقع الوراق.
٥٢- **المقتضب:** محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب - بيروت.
٥٣- **الخصائص:** أبي الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب - بيروت تحقيق: محمد علي النجار.
٥٤- **الجواهر الحسان في تفسير القرآن:** لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط١- ١٤١٨هـ .
٥٥- **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة:** إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة، المحقق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي ، دار الراية - السعودية / الرياض ط٢ ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .
٥٦- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت .
٥٧- **الفرقان في بيان إعجاز القرآن:** أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
٥٨- **الرحيق المختوم صفي الرحمن المباركفوري:** دار الهلال - بيروت ط١ .
٥٩- **الأخلاق والسير في مداواة النفوس:** لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٦٠- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب:** لأبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م .
٦١- **الزاهر في معاني كلمات الناس:** محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.
٦٢- **الإصابة في تمييز الصحابة:** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ - ١٤١٥هـ.
٦٣- **الأعلام:** خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين ط٥ .
٦٤- **البحر المحيط في التفسير:** لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق الشيخ: عادل محمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد عوض، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٦٥- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج:** د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق - ط ٢ ، ١٤١٨ هـ .
٦٦- **المستدرك على الصحيحين:** الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ)، دار المعرفة - بيروت بإشراف: د. يوسف المرعشلي.
٦٧- **التفسير الحديث:** [مرتب حسب ترتيب النزول] المؤلف: دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة ط١: ١٣٨٣هـ .
٦٨- **الموسوعة القرآنية** المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: ١٤١٤هـ) ، مؤسسة سجل العرب ط١ ، ١٤٠٥هـ .
٦٩- **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:** شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق(الأميرية) القاهرة عام النشر: ١٢٨٥ هـ .
٧٠- **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية:** لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٨هـ .
٧١- **السيرة النبوية لابن هشام:** عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢ ، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م .
٧٢- **الطبقات الكبرى:** لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت ط١ ، ١٩٦٨م .

٧٣- **التسهيل لعلوم التنزيل:** أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت ط١ – ١٤١٦ هـ

٧٣- **العلم والبحث العلمي دراسة في مناهج العلوم:** لحسين عبد الحميد رشوان، المكتب الجامعي – الإسكندرية .

٧٥- **المجموع شرح المهذب:** لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر.

٧٦- **المبسوط:** لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

٧٧- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله:** لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧٨- **العبر في خبر من غبر:** لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت .

٧٩- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٨٠- **المفردات في غريب القرآن:** لأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت ط١- ١٤١٢ هـ.

٨١- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن:** أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ط١، ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

٨٢- **البداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه:** أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة-كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

٨٣- **القاموس المحيط:** مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥م .

٨٤- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنه:** أبو الفتح عثمان بن جنى، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م

٨٥- **القواعد الحسان لتفسير القرآن:** أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) ، مكتبة الرشد الرياض ،ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .
٨٦- **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية:** نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان - دار ركابي للنشر- الغورية، مصر ، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م .
٨٧- **الزواجر عن اقتراف الكبائر:** لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس ، دار الفكر ط١ ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٨٨- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل:** أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي - بيروت ، ط٣ - ١٤٠٧هـ .
٨٩- **الكليات:** لأبي البقاء الكوفي لكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، المحقق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت .
٩٠- **اللباب في علوم الكتاب:** أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني المحقق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ،ط١،١٤١٩ هـ -١٩٩٨م .
٩١- **المحكم والمحيط الأعظم:** أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المحقق: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ط٣، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م .
٩٢- **المُصَنَّف:** أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي. ١٥٩ . ٢٣٥ هـ. دار القبلة المحقق: محمد عوامة.
٩٣- **الفتاوى الكبرى:** أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، دار المعرفة - بيروت ط١ ، ١٣٨٦ تحقيق : حسنين محمد مخلوف.
٩٤- **الأسماء والصفات للبيهقي:** أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣.
٩٥- **الإسلام وضرورات الحياة:** عبدالله قادري الأهدل، دار التراث ط٣، ١٤١٠هـ.
٩٦- **الإتقان في علوم القرآن:** عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت ط١، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.
٩٧- **الإبانة عن أصول:** علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، دار الأنصار - القاهرة ط١ ، ١٣٩٧ تحقيق : د. فوقية حسين محمود .

٩٨- **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة – القراءاتُ الشاذةُ وتوجيهها من لغة العرب:** عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ) دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان .

٩٩- **الحجة للقراء السبعة:** الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت ط٢، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م

١٠٠- **الحجة في القراءات السبع:** الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ) المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت ، دار الشروق – بيروت ط٤، ١٤٠١هـ.

١٠١- **النشر في القراءات العشر:** شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ) المحقق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) المطبعة التجارية الكبرى دار الكتاب العلمية.

١٠٢- **المجتبى من مشكل إعراب القرآن:** أ. د. أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة عام النشر: ١٤٢٦ هـ

١٠٣- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:** أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية – بيروت .

١٠٤- **الموسوعة الفقهية الكويتية:** صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ط٢، دار السلاسل – الكويت، من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ.

١٠٥- **الموطأ:** مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية – أبو ظبي – الإمارات – ، ط١ ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م .

١٠٦- **النكت والعيون:** لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

١٠٧- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق: صفوان عدنان داوودي (المتوفى: ٤٦٨هـ): دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت ط١، ١٤١٥ هـ .

١٠٨-٢٥**الوافي بالوفيات:** صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ) المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث – بيروت عام النشر:١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م .

١٠٩- **المعجم الوسيط:** مجمع اللغة العربية بالقاهرة،(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) دار الدعوة ط٢.
١١٠- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:** ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين ، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب – مصر.
١١١- **المغرب في ترتيب المعرب:** ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِىّ (المتوفى: ٦١٠هـ) دار الكتاب العربي .
١١٢- **الميزان الكبرى:** لعبد الوهاب الأنصاري المعروف بالشعراني ، دار الفكر ط١ .
١١٣- **المغني لابن قدامة:** لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة ، سنة النشر: ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ١١٢
١١٤- **بحر العلوم:** لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي .
١١٥- **بداية المجتهد ونهاية المقتصد:** لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد ، دار الحديث – القاهرة ، سنة النشر: ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
١١٦- **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع:** علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي ،: دار الكتب العلمية – ط٢ ، ١٤٠٦هـ .
١١٧- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:** مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) ، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
١١٨- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة:** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.
١١٩- **بيان المعاني [مرتب حسب ترتيب النزول]:** عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني (المتوفى: ١٣٩٨هـ) مطبعة الترقي – دمشق ط١، ١٣٨٢ هـ – ١٩٦٥ م .
١٢٠- **تاريخ إربل:** المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي، المعروف بابن المستوفي (المتوفى: ٦٣٧هـ) المحقق: سامي بن سيد خماس الصقار: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق عام النشر: ١٩٨٠ م .
١٢١- **تأويل مشكل القرآن:** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٢٢- **تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطف، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٢٣- **تفسير الشعراوي – الخواطر:** محمد متولي الشعراوي ، مطابع أخبار اليوم.
١٢٤- **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١٢٥- **تفسير القران الكريم:** د. عبد الله شحاتة، دار غريب للطباعة والنشر ، وبدون طبعة.
١٢٦- **تفسير المراغي:** أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م .
١٢٧- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل):** لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه: يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م .
١٢٨- **تفسير مقاتل بن سليمان:** لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى المحقق: عبد الله محمود شحاتة ، دار إحياء التراث – بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ .
١٢٩- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان:** لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ، ط١ ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م .
١٣٠- **تفسير مجاهد:** أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ) المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
١٣١- **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:** أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ط٣ - ١٤١٩ هـ .
١٣٢- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة):** محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
١٣٤- **تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي):** أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي دار ابن حزم - بيروت ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
١٣٥- **تفسير القرآن:** أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم دار الوطن، الرياض - السعودية ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م .

١٣٦- **تفسير الراغب الأصفهاني:** أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز ط١ ،١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
١٣٧- **تفسير القرآن الكريم (ابن القيم):** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال - بيروت ط١ - ١٤١٠ هـ
١٣٨- **تفسير الجلالين:** جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار الحديث - القاهرة ط١ .
١٣٩- **تفسير غريب القرآن:** كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري ، دار بن حزم ط١، ٢٠٠٨ .
١٤٠- **تفسير الهواري** المؤلف: الهواري - إباضي مصدر الكتاب: موقع التفاسير
١٤١- **تفسير القرآن الكريم:** محمد أحمد إسماعيل المقدم مصدر الكتاب: **دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية** http://www.islamweb.net
١٤٢- **تتمة الإعلام:** محمد خيري رمضان يوسف، دار ابن حزم- بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
١٤٣- **تهذيب التهذيب:** أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ،_ ط١ - ١٣٢٦هـ .
١٤٤- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال:** يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت ط١ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
١٤٥- **تهذيب اللغة:** أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق: محمد عوض مرعب: دار إحياء التراث العربي ط١- بيروت - ٢٠٠١م .
١٤٦- **تلبيس إبليس:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، دار الفكر للطباعة والنشر، بيرزت- لبنان - ط١ - ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .
١٤٧- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس:** ينسب: لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - (المتوفى: ٦٨هـ) جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) دار الكتب العلمية - لبنان.
١٤٨- **جامع البيان في تأويل القرآن:** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري ، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ،ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م .
١٤٩- **جمهرة اللغة** " أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ،المحقق: رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين - بيروت، ط١ ، ١٩٨٧م .

١٥٠- **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي:** شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر- بيروت.

١٥١- **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر:** أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ) محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر عمان، الأردن ط١، ١٤٣٠ هـ٢٠٠٩ م.

١٥٢- **دعوة التوحيد:** الدكتور محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية بيروت ط١،١٩٨٦م .

١٥٣- **روائع البيان تفسير آيات الأحكام:** لمحمد علي الصابوني، مكتبة الغزالي- دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ، ط٣، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م .

١٥٤- **روح البيان:** لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء ، دار الفكر – بيروت .

١٥٥- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط١-١٤١٥هـ .

١٥٦- **زاد المحتاج بشرح المنهاج:** للعلامة الشيخ عبدالله الكوهجي ، ط١ .

١٥٧- **زاد المسير في علم التفسير:** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت – ط١ - ١٤٢٢ هـ .

١٥٨- **زهرة التفاسير:** محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار الفكر العربي.

١٥٩- **سلسلة الأحاديث الصحيحة:** محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ ط٤ ومكتبة المعارف بالرياض ١٤١٢هـ ط١ .

١٦٠- **سنن ابن ماجه:** أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: بشار عواد، دار الجيل، بيروت ط١، ١٩٩٨م.

١٦١- **سنن أبي داود:** أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت .

١٦٢- **سنن الترمذي:** محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ط٢- ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م .

١٦٣- **سنن الصغرى للنسائي "المجتبى من السنن:** أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، النسائي تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب- ط٢-١٩٨٦م .

١٦٤- **سنن الدارقطنى:** أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٨٦ – ١٩٦٦م .
١٦٥- **سنن الدارمي:** عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي- بيروت ط١، ١٤٠٧ تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي.
١٦٦- **سير أعلام النبلاء:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي دار الحديث- القاهرة ، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .
١٦٧- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب:** عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح، حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .
١٦٨- **شرح العقيدة الطحاوية:** صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي ، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ط١ – ١٤١٨ هـ .
١٦٩- **شعب الإيمان:** لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م .
١٧٠- **صحيح البخاري:** أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير ، اليمامة –بيروت- ط٣، ١٩٨٧م .
١٧١- **صحيح مسلم:** أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت .
١٧٢- **صفوة التفاسير:** محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .
١٧٣- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم:** الشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدايم المعروف بالسمين الحلبي ،تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت ط١، ١٩٩٦م.
١٧٤- **عون المعبود شرح سنن أبي داود:** محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق الصديقي، العظيم آبادي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥ هـ .
١٧٥- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ – ١٤١٦ هـ .
١٧٦- **غريب القرآن لابن قتيبة:** أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: سعيد اللحام

١٧٧- **غيث النفع في القراءات السبع:** علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (المتوفى: ١١١٨هـ) دار الكتب العلمية - بيروت المحقق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٧٨- **طبقات المفسرين للداوودي:** محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ) ، دار الكتب العلمية - بيروت

١٧٩- **طبقات الشافعية الكبرى:** تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي المحقق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ط٢ ، ١٤١٣هـ .

١٨٠- **طبقات خليفة بن خياط:** لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري المحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع سنة النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م .

١٨١- **ذيل طبقات الحفاظ للذهبي:** أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي دراسة وتحقيق: الشيخ: دار الكتب العلمية.

١٨٢- **فتح الباري شرح صحيح البخاري:** أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

١٨٣- **فتحُ البيان في مقاصد القرآن:** أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) قدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا - بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٨٤- **فتح القدير:** لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١- ١٤١٤ هـ

١٨٥- **في ظلال القرآن:** لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق- بيروت- القاهرة - ط١٧ - ١٤١٢ هـ .

١٨٦- **فيض القدير شرح الجامع الصغير:** زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى- مصر، ط١، ١٣٥٦ -١٩٨٣م .

١٨٧- **كتاب التعريفات:** علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ، ط١ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

١٧٩- **كتاب العين:** أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

١٨٨- **لباب التأويل في معاني التنزيل لباب التأويل في معاني التنزيل:** علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن المحقق: محمد علي شاهين دار الكتب العلمية – بيروت ط١، ١٤١٥ هـ .

١٨٩- **لسان العرب:** محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي ، دار صادر – بيروت –ط٣، بيروت – ١٤١٤ هـ .

١٩٠- **مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير:** عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان. ط١ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

١٩١- **مجمل اللغة:** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط٢ – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م .

١٩٢- **محاسن التأويل:** لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية –بيروت ، ط١ – ١٤١٨ هـ .

١٩٣- **مختار الصحاح:** زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٩٤- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين:** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، المحقق ، محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .

١٩٥- **مدخل في علوم القراءات:** السيد رزق الطويل، المكتبة الفيصلية، ط١، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٩٦- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:** علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري ، دار الفكر، بيروت – لبنان ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

١٩٧- **مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور:** عادل بن محمد أبو العلاء ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد١٢٩ – السنة ٣٧ – ١٤٢٥هـ .

١٩٨- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار:** أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد- الرياض ط١، ١٤٠٩هـ.

١٩٩- **معالم التنزيل في تفسير القرآن ""تفسير البغوي:** لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠ هـ .

٢٠٠- **معالم السنن:** لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب ، ط١ ، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢م .

٢٠٢- **معجم مقاييس اللغة:** أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٠٣- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج:** لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ، دار الكتب العلمية ، ط١- ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م .

٢٠٤- **مفاتيح الغيب:** لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ - ١٤٢٠ هـ .

٢٠٥- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ط١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣م .

٢٠٦- **معاني القرآن المؤلف:** أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ) المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ط١.

٢٠٧- **مجاز القرآن:** أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ) المحقق: محمد فواد سزگين ، مكتبة الخانجى – القاهرة ط١: ١٣٨١ هـ .

٢٠٨- **معاني القرآن وإعرابه:** إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: عبد الجليل عبده شلبي الناشر: عالم الكتب – بيروت ط١،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٠٩- **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد:** محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليماً، التناري بلدا(المتوفى: ١٣١٦هـ) المحقق: محمد أمين الصناوي دار الكتب العلمية- بيروت ط،١ ١٤١٧هـ.

٢١٠- **معارج التفكر ودقائق التدب:** عبدالرحمن حبنكة الميداني. دار القلم دمشق. ط١، ٢٠٠٠م.

٢١١- **مختصر تفسير ابن كثير:** (اختصار وتحقيق) محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان ط٧، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م .

٢١٢- **مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السِّوَرِ ويُسَمَّى "المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"**: الإمام الحافظ المفسر المؤرخ / برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي ( المتوفى ٨٨٥ هـ ) مكتبة المعارف- الرياض الطبعة الأولى : ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م .

٢١٣- **معاني القراءات للأزهري:** محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ) مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

٢١٤- **مَتْنُ «طَيِّبَةِ النَّشْرِ» فِي الْقِرَاءَاتِ الْعَشْرِ:** شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) المحقق: محمد تميم الزغبي دار الهدى، جدة ط١- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .

٢١٥- **معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران):** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ): دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٢١٦- **منار الهدى في بيان الوقف و الابتداء:** أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي- مصر ط٢ ١٩٧٣م .

٢١٧- **معجم ألفاظ القرآن الكريم:** مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث.١٩٨٨م.

٢١٨-**متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار:** بن أحمد الهمذاني ، تحقيق د. عدنان زرزور دار التراث القاهرة .

٢١٩- **مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي:** شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) حققه واختصره: محمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلامي الطبعة: ط٢،١٤١٢هـ-١٩٩١م .

٢٢٠- **مسند الإمام أحمد بن حنبل:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر دار الحديث - القاهرة ط٢، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٢٢١- **مسند البزار البَزَّارُ:** أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَمْرٍو البَصْرِيُّ الشَّيْخُ، الإِمَامُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَد بن عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَصْرِيُّ، البَزَّارُ، صَاحِبُ (المُسْنَدِ) الكَبِيْرِ، الَّذِي تَكَلَّمَ عَلَى أَسَانِيدِه. الباحث في القرآن والسنة علي بن نايف الشحود.

٢٢٢- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:** لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

٢٢٣- **نيل المرام من تفسير آيات الأحكام:** لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي ، دار الكتب العلمية .

٢٢٤- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان:** لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي ، المحقق: إحسان عباس ، دار صادر – بيروت.

## المجلات والأبحاث والمواقع الالكترونية:

٢٢٥- **موقع درر الاسلام**

.http://www.alifta.net/Fatawa/fatawaDetails.aspx

٢٢٦- **موقع الدرر السنية**

http://dorr.ps/anthology/١٠٦١٢٤ بتصرف واختصار

٢٢٧- **موقع فرسان السنة**

http://www.forsanhaq.com/showthread.php١٥٤٦٧٦ بتصرف واختصار

٢٢٨- **موقع المنشاوي للبحوث و الدراسات**

http://www.minshawi.com/vb/showthread.php?٩٤٨ بتصرف واختصار

٢٢٩- **مجلة البحوث الاسلامية**

http://www.alifta.net/Fatawa/fatawaDetails.aspx?BookID=٢

&PageID=١&View=Page&PageNo=٣٢٧٥ بتصرف واختصار

٢٣٠- **موقع اسلام ويب**

http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=Fatw

aId&Id=٥٦٨٠٥ بتصرف واختصار

## خامساً: فهرس الموضوعات


| م | الموضوع | رقم الصفحة |
|---|---|---|
| ١ | **الإهداء** | أ |
| ٢ | **الشكر والتقدير** | ب |
| ٣ | **المقدمة** | ج |
| ٤ | **خطة البحث** | و |
| | **التمهيد**<br>**تعريف عام لسورتي الفرقان والشعراء ومناسبتهما وبيان مقاصدهما** | |
| ٥ | **المبحث الأول: تعريف عام بسورة الفرقان** | |
| ٦ | **المطلب الأول:** اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها | |
| ٧ | **المطلب الثاني:** زمن نزول السورة وجو نزولها | |
| ٨ | **المبحث الثاني: محور السورة ومناسبتها لما قبلها وما بعدها** | |
| ٩ | **المطلب الأول:** محور السورة وخطوطها الرئيسة | |
| ١٠ | **المطلب الثاني:** مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها | |
| ١١ | **المبحث الثالث: تعريف عام بسورة الشعراء** | |
| ١٢ | **المطلب الأول:** اسم السورة وترتيبها وعدد آياتها | |
| ١٣ | **المطلب الثاني:** زمن نزول السورة وجو نزولها | |
| ١٤ | **المبحث الرابع: محور السورة ومناسبتها لما قبلها وما بعدها** | |
| ١٥ | **المطلب الأول:** محور السورة وخطوطها الرئيسة | |
| ١٦ | **المطلب الثاني:** مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها | |
| | **الفصل الأول**<br>**الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٣١-٥٥)** | |
| ١٧ | **المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٣١-٣٤)** | |
| ١٨ | **المطلب الأول:** تعنت الكافرين واستكبارهم وبيان مآلهم يوم القيامة | |
| ١٩ | **المطلب الثاني:** ندم الظالمين بعد فوات الأوان | |
| ٢٠ | **المطلب الثالث:** شكوى الرسول ﷺ من هجْرِ القرآن | |

| | | |
|---|---|---|
| ٣١ | **المطلب الرابع:** معاداة المجرمين لرسل الله ﷻ | |
| ٣٢ | **المطلب الخامس:** اعتراض المشركين على عدم نزول القرآن جملة واحدة وبيان عاقبتهم | |
| ٣٣ | **المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٣٥-٤٤)** | |
| ٣٤ | **المطلب الأول:** أمثلة لهلاك المكذبين | |
| ٣٥ | **المطلب الثاني:** استكبار المشركين وتوبيخهم | |
| ٣٦ | **المبحث الثالث: مقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٤٥-٥٥)** | |
| ٣٧ | **المطلب الأول: بعض الدلائل الكونية على قدرة الله ﷻ :** | |
| ٣٨ | **أولاً:** الظل والشمس | |
| ٣٩ | **ثانياً:** الليل والنهار | |
| ٣٠ | **ثالثاً:** الرياح والأمطار | |
| ٣١ | **المطلب الثاني:** الاعتبار بآيات الله ﷻ وتحريم طاعة الكافرين | |
| ٣٢ | **المطلب الثالث: بعض الآيات الكونية على قدرة الله ﷻ :** | |
| ٣٤ | **أولاً:** البرزخ بين البحرين | |
| ٣٥ | **ثانياً:** خلق الإنسان من ماء | |
| ٣٦ | **المطلب الرابع:** التعجيب من حال المشركين مع آيات الله ﷻ | |
| | **الفصل الثاني**<br>**الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٥٦-٧٧)** | |
| ٣٧ | **المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٥٦-٦٣)** | |
| ٣٨ | **المطلب الأول:** مهمة الرسول ﷺ هداية الناس وتعبيدهم للحي الذي لا يموت | |
| ٣٩ | **المطلب الثاني:** مقابلة المشركين لدعوة الرسول ﷺ باستهتار | |
| ٤٠ | **المطلب الثالث: من المظاهر الكونية على قدرة الله ﷻ وتقديسه :** | |
| ٤١ | **أولاً:** البروج في السماء | |
| ٤٢ | **ثانياً:** السراج المنير | |
| ٤٣ | **ثالثاً:** القمر | |
| ٤٥ | **رابعاً:** الليل والنهار خِلفة | |
| ٤٦ | **المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الفرقان من الآية (٦٣-٧٧)** | |

| | | |
|---|---|---|
| " صفات عباد الرحمن وعاقبتهم، وفيه اثنا عشر مطلباً" | | |
| ٤٧ | **المطلب الأول:** التواضع | |
| ٤٨ | **المطلب الثاني:** التهجد | |
| ٤٩ | **المطلب الثالث:** الخوف من الله ﷻ | |
| ٥٠ | **المطلب الرابع:** الاعتدال في الإنفاق | |
| ٥١ | **المطلب الخامس:** التوحيد الخالص | |
| ٥٢ | **المطلب السادس:** تجنب القتل | |
| ٥٣ | **المطلب السابع:** التنزه عن الزنا | |
| ٥٤ | **المطلب الثامن:** التوبة إلى الله ﷻ | |
| ٥٥ | **المطلب التاسع:** تجنب شهادة الزور والكلام الباطل | |
| ٥٦ | **المطلب العاشر:** قبول الموعظة | |
| ٥٧ | **المطلب الحادي عشر:** الدعاء | |
| ٥٨ | **المطلب الثاني عشر:** بيان عاقبة المطيعين وتهديد المخالفين | |
| **الفصل الثالث**<br>**الدارسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١-٦٨)** | | |
| ٥٩ | **المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١-٩)** | |
| ٦٠ | **المطلب الأول:** تسلية الرسول ﷺ على ما يلاقيه من إعراض قومه | |
| ٦١ | **المطلب الثاني:** وعيد المكذبين بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة | |
| ٦٢ | **المطلب الثالث:** دعوة إلى النظر في آيات الله ﷻ | |
| ٦٣ | **المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠-٦٨)** | |
| ٦٤ | **المطلب الأول:** خطاب تكليف موسى وهارون عليهما السلام بالرسالة | |
| ٦٥ | **المطلب الثاني:** المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون | |
| ٦٦ | **المطلب الثالث:** سياسة الإعلام التحريضي والموجه | |
| ٦٧ | **المطلب الرابع:** تآمر الباطل في مواجهة الحق واستعمال أساليب الإغراء | |
| ٦٨ | **المطلب الخامس:** المبارزة بين الحق والباطل ونتيجتها | |
| ٦٩ | **المطلب السادس:** عنجهية فرعون وتمرده على الحق | |
| ٧٠ | **المطلب السابع:** ثبات المؤمنين أمام غطرسة المتمردين | |

| | | |
|---|---|---|
| ٧١ | **المطلب الثامن:** وحي الله لموسى عليه السلام بالسَّري ليلاً | |
| ٧٢ | **المطلب التاسع:** إصرار فرعون على الانتقام من الذين آمنوا | |
| ٧٣ | **المطلب العاشر:** معية الله عز وجل مع المؤمنين | |
| ٧٤ | **المطلب الحادي عشر:** نجاة موسى عليه السلام والمؤمنين وغرق فرعون وجنوده | |
| | **الفصل الرابع**<br>**الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (٦٩-١١٠)** | |
| ٧٥ | **المبحث الأول: مقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (٦٩-١٠٤)** | |
| ٧٦ | **المطلب الأول:** دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه إلى التوحيد ونبذ الشرك | |
| ٧٧ | **المطلب الثاني:** بيان صفات الإله الحق | |
| ٧٨ | **المطلب الثالث:** التقرب إلى الله عز وجل بالدعاء | |
| ٧٩ | **المطلب الرابع:** من مشاهد يوم القيامة الحساب والجزاء | |
| ٨٠ | **المطلب الخامس:** عقيدة الشرك موْرِد المهالك | |
| ٨١ | **المطلب السادس:** تخاصم أهل النار وأمانيّهم فيها | |
| ٨٢ | **المطلب السابع:** العبرة في قصة إبراهيم عليه السلام | |
| ٨٣ | **المبحث الثاني: مقاصد وأهداف سورة الشعراء من الآية (١٠٥-١١٠)** | |
| ٨٤ | **المطلب الأول:** دعوة نوح عليه السلام قومه إلى تقوى الله عز وجل وطاعته | |
| ٨٥ | **المطلب الثاني:** القصص في سورة الشعراء لا تتبع التسلسل التاريخي | |
| | **الخاتمة** | |
| ٨٦ | النتائج | |
| ٨٧ | التوصيات | |
| | **الفهارس العامة** | |
| ٨٨ | فهرس الآيات القرآنية | |
| ٨٩ | فهرس الأحاديث النبوية | |
| ٩٠ | فهرس الأعلام المترجم لها | |
| ٩١ | ثبت المصادر والمراجع | |
| ٩٢ | فهرس الموضوعات | |

| ملخص البحث | | |
|---|---|---|
| ٩٣ | ملخص البحث باللغة العربية | |
| ٩٤ | ملخص البحث باللغة الانجليزية | |

# ملخص الرسالة

تم بحمد الله وتوفيقه إتمام هذه الرسالة، والتي بعنوان: **الدارسة التحليلية لمقاصد وأهدف الحزب السابع والثلاثين من القرآن الكريم من سورة الفرقان من الآية [٢١-٧٧]، ومن سورة الشعراء من الآية [١-١١٠]**، والمكونة من: مقدمةٍ، وفصلٍ تمهيديٍ، وأربعة فصولٍ، وخاتمة.

تحدث الباحث في التمهيد عن التعريف العام لسورتي {الفرقان والشعراء} وبيان محور كل سورة وخطوطها الرئيسية، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها من السور، ثم تناول الباحث في الفصول الأربعة المقاصد والأهداف في الحزب السابع والثلاثين، مقسمةً هذه الفصول لعدة مباحثٍ، بداخلها عدة مطالبٍ، كل مطلبٍ منها يحمل هدفاً أو مقصداً من مقاصد وأهداف القرآن الكريم في السورة، وكذلك استنباط الهدايات من هذه المقاصد والأهداف.

وقد سلك الباحث خلال بحثه المنهج التحليلي الموضوعي في التفسير، حيث تناول في كل مطلبٍ من المطالب، وبعد ذكر الآية المراد إبراز الهدف والمقصد منها، عدة عناوينَ أوجزت في كتابتها لتسهل على القارئ إيجاد المعلومة بشكلٍ سهلٍ ومريحٍ، وهي على الترتيب الآتي:

المناسبة، وسبب النزول إن وجد، والمفردات اللغوية، واللطائف البلاغية، والقراءات، والاستنباطات الفقهية إن وجد، والتفسير الإجمالي للآية، وأخيراً تحقيق الهدف والمقصد في الآيات.

وفي نهاية الرسالة ذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها خلال البحث، والتوصيات النابعة من الدراسة.

# والله الموفق

# summary

The praise of Allah Almighty and the completion of this letter, which entitled: analytical study of the purposes and objectives seventh Party and the thirtieth of the Qur'an from Surah Al-Furqan verse 21-77] And from [ALshoara of verse 1-110] consisting of: an introduction an introductory chapter, and four chapters, and a conclusion.

Researcher occur in the Breseje for the general definition for sora (Al-Furqan and poets) and statement axis every sura and the main lines, and appropriateness of what before and beyond the fence, and then a researcher speaks at the Four Seasons purposes and goals in the seventh party and thirty-divided these chapters for several sections, inside several demands, all of which demand carries a goal or destination of the purposes and objectives of the Koran in Sura, as well as devising binefts of these purposes and goals.

And researcher may wire through his research and analytical approach and objective of interpretation, where speaking about demand of demands, and after mentioning the verse you want to highlight the goal and destination of which, several addresses outlined in writing to make it easier for the reader to find the information is easy and comfortable, and is on the following order: Appropriate, and if any reason to get off, and vocabulary, and to express, if any, and rhetorical subtleties, and readings, and the deduction of jurisprudence, if any, and the overall interpretation of the verse, and finally achieve the goal and destination in the verses. At the end of the message researcher said the most important findings during the search, and the recommendations stemming from the study.

## Allah bless